الفضائل المحمدية

التي فضل الله بها صلى الله عليه وسلم على جميع البرية

تأليف العلامة
يوسف بن اسماعيل النبهاني
رئيس محكمة الحقوق في بيروت
ولادته ١٢٦٥-١٣٥٠ هجرية

تحقيق وترتيب
الأستاذ محمود فاخوري

الفضائل المحمدية

الفضائل المحمدية

التي فضل الله بها صلى الله عليه وسلم على جميع البرية

تأليف العلامة

يوسف بن إسماعيل النبهاني

رئيس محكمة الحقوق في بيروت

ولادته ١٢٦٥-١٣٥٠ هجرية

تحقيق وترتيب

الأستاذ محمود فاخوري

منشورات
دار القلم العربي بحلب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

عنوان الدار
سورية - حلب - خلف الفندق السياحي
شارع هدى الشعراوي
هاتف: ٢١٣١٢٩ - ٢١٣١٢٩ - ص.ب: ٧٨ - تلكس: ٣٣١٦٩٢ ريفكو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً كافةً للناس ورحمةً للعـالمين، وجعله بالمؤمنين رؤوفاً رحيمـاً، وفضّله على الخلائق أجمعين، وخـاطبه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ[1]﴾، وقولـه: ﴿وَكَانَ فَضْـلُ آللهِ عَلَيْكَ عَظيماً[2]﴾ ونادى أنبياءه ورسله بأسمائهم وناداه «بيا أيها النبي»، «يا أيها الرسول»، تكريماً له وتعظيماً، وأخذ العهد عليهم لَيُؤمِنُنَّ به ولَيَنْصُرُنَّهُ، فكانوا بذلك من سـادات أمته وكـان لهم رسولاً كـريماً، وأسـرى به من المسجد الحرام إلى المسجـد الأقصى فصلّى بهم إمامـاً وكلّهم كان بـه مأموماً، وأكرمه بالعروج إلى السموات العلى والمحل الأعلى، وخصّه برؤية ذاته المقدسة بلا كيفٍ ولا حصر وكلّمه تكليّماً، صلى الله عليه وسلم وعلى آلـه وأصحابه وسائر من هداهم من المؤمنين صراطاً مستقيماً، اللهمّ صلّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولـك وخير خلقـك النبي الأمي، وعلى آله وصحبـه وسلم صلاةً وسـلاماً دائمين يمـلأان بكمـالهمـا دائـرة الإمكـان، وينفــردان بجمعهمـا كــلَّ مـا يقتضيــه الكـرم الآلهي من أنــواع الحُسن والإحسان، ويجمعان فضائل الصلوات والتسليمات التي أردتها له أو لسواه في المـاضي والحال والاستقبـال، ولا يشذّ عنهمـا خيرٌ قـدَّرتـه لأحـد في

---

(١) سورة القلم الآية ٤.

(٢) سورة النساء الآية ١١٣.

الدارين من محاسن الصفات والأسماءِ والأفعال، تطهرّني بهما من كل ما لا يرضيك عني من أفعال أو أقوال أو نيات، وتكفيني كل ضَيْر وتُوليني كل خير في الحياة وبعد الممات.

﴿اما بعد﴾ فهذا كتاب صغيرٌ حجمهُ، كبيرٌ كلمه، كثيرٌ فضلهُ، لا يسع مؤْمناً جهلهُ، جمعتُ فيه أنموذجاً من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضائله الواردة في القرآن والكتب السماوية وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فيما تحدث فيه بنعم الله عليه عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وما ورد عن أصحابه وغيرهم من محاسن أسمائه وأوصافه وشمائله ومعجزاته ودلائله، وختمته بالكلام على تعظيمه ومحبته والاستغاثة به وزيارته صلى الله عليه وسلم.

واعلم أنه صلى الله عليه وسلم إنما بيَّن فضائلَ ذاتهِ الكاملة الفاضلة التي لا أكمل ولا أفضل منها، ولم يوجد في الكون فضْل ولا كمال إلا وهو صادر عنها، تحدثاً بنعمة الله تعالى عليه، وليعرِّف أمتَه رفعةَ قدره وعلّو منزلته عند الله تعالى، ليكون إيمانهم به وتوقيرهم له ومحبتهم إياه بحسب ذلك، وذلك من أهم أمور الدين التي يلزمه بيانها، ولا يجوز له كتمانها، ولم يصدر منه صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك إلا بوحي من الله تعالى. قال الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوى، إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾(1) ولذلك كان يقول: ﴿أنا سيد وُلدِ آدمَ يوم القيامة ولا فخر﴾، فنفى الفخر صلى الله عليه وسلم يتوهمه بعض القاصرين فيه فيهلك، فمن شفقته صلى الله عليه

(1) سورة النجم الآيتين ٣ و ٤.

وسلم على أمته لم يقتصر على قوله: ﴿أنا سيد ولد آدم يوم القيامة﴾ لأن هذه العبارة تحتمل ـ لو صدرت من غيره ـ الفخر، فبيّن أنه لم يقلها للفخر وانما قالها لبيان حقيقة حاله وتعريف أمته رفعة مقامه وعلو منزلته عند الله تعالى، وانفراده بالشفاعة العظمى كما هو تتمة الحديث لئلا يتعبوا في المحشر بتطلّب الشفعاء.

قال الإمام الشعراني في كتابه «اليواقيت والجواهر»: قال الشيخ محي الدين رضي الله عنه: وإنما أخبرنا صلى الله عليه وسلم بأنه اول شافع وأول مشفع شفقةً علينا لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب إلى نبي بعد نبي في ذلك اليوم العظيم، وكل منهم يقول: نفسي نفسي، فأراد إعلامنا بمقامه يوم القيامة لنصبر في مكاننا مستريحين، حتى تأتي نوبته صلى الله عليه وسلم ويقول: «أنا لها، أنا لها»، فكل من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسيه لا بدّ من تعبه وذهابه إلى نبي بعد نبي، بخلاف من بلغه ذلك ودام معه إلى يوم القيامة، فصلى الله عليه وسلم ما أكثر شفقته على الأمة. وإنما قال في آخر الحديث: ﴿ولا فخر﴾ أي لا أفتخر بكوني سيد ولد آدم من الانبياء فمن دونهم، وإنما قصدت بذلك راحتكم من التعب يوم القيامة بحكم الوعد السابق لي من الله عزوجل أن أكون أول شافع وأول مشفَّع. فما زكّى صلى الله عليه وسلم نفسه إلا لغرض صحيح، وكذلك تزكية جميع الأئمة لأنفسهم لا تكون إلا لغرض صحيح، فانهم منزَّهون عن رؤية فخر نفوسهم على أحد من الخلق اهـ.

ولهذه الحكمة خص سيادته صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق بيوم القيامة وإلا فهو صلى الله عليه وسلم سيد الناس بل وسيد جميع خلق الله تعالى في الدنيا والآخرة ولكن سيادته على الخلائق إنما تظهر ظهوراً تاماً للعالمين يوم القيامة فيسلم بها ويشاهدها الموافق والمخالف من أمته

وسائر الأمم صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان يقول خوفاً من أن يعتقد أحد فيه الألوهية لكثرة فضائله ومعجزاته صلى الله عليه وسلم كما اعتقدوها في غيره: «إنما أنا عبد، أجلس كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد» وتارة يقول: «لا تطروني[1] كما أطْرَتِ النصارى عيسى، قولوا عبدُ الله ورسوله» وخيّره الملَك بين ان يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً وقال: «أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا جُعت سألتُ الله، وإذا شبعتُ شكرتُ الله»، وما أشبه ذلك من الأحاديث التي بيّن صلى الله عليه وسلم فيها حقيقة عبوديته لله تعالى وأنه سَيدُ المتواضعين، كقوله لامرأة خافته «هوّني عليك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[2]».

واعلم أنه ليس فيما وصَف به صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة وما وصفه به غيره من أصحابه ومن بعدهم من الأوصاف الجميلة والنعوت الجليلة شيء من الإطراء الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تُطْروني» فإن معنى الاطراء مجاوزة الحدفي الثناء وليس في شيء مما وصُف به صلى الله عليه وسلم من الثناءِ الجميل مجاوزة الحدِ فهو جميعه عبارة عن حكاية أحواله الصحيحة وذكر أوصافه الحقيقية والإخبار بالواقع في شؤونه صلى الله عليه وسلم، وليس ذلك من الإطراء في شيء قال الامام الأبوصيري:

دع ما ادّعته النصارى في نبيّهم ... واحكمْ بما شئتَ مدحاً فيه واحتكمِ
فإن فضلَ رسول الله ليس له ... حدٌّ فيعربَ عنه ناطقٌ بفم

---

(١) أطراه يُطْريه: مدحه وبالغ في الثناء عليه.
(٢) اللحم المجفف في الهواء والشمس.

والإطراء الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم هو أن يدّعوا الألوهية فيه كما ادّعاها النصارى في المسيح عليه السلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم؛ «لا تُطْروني كما أطْرَتِ النصارى عيسى»، ولم يوجد أحد ادّعى فيه الألوهية صلى الله عليه وسلم مع كمال فضائله وكثرة معجزاته إلى الغاية التي لم توجد في أحد من خلق الله تعالى حمايةً من الله له، ولكونه دائماً كان يكرر لهم عبوديته لله ويقول: «إنما أنا عبد، إنما أنا مسكين، اللهم أحْيِني مسكيناً وأمتْني مسكيناً واحشُرني في زمرة المساكين». . .

ولم أبسط هذا الكتاب كل البسط، لتسهل مطالعته والحصول عليه لكل أحد، وإلاّ ففضائله صلى الله عليه وسلم كثيرة جداً لا تستوعبها مجلدات كثيرة، ومن جملتها معجزاته صلى الله عليه وسلم وقد جمعت فيها كتابي «حجة الله على العالمين» نحو خمسين كراساً بالقَطْع الكبير وما استوفيتها فيه، والكتب المطولة المشتملة على عدة مجلدات في ذلك كثيرة ولكن هذا الكتاب مع اختصاره يحصل به المقصود من معرفة المؤمن مجمل فضائله صلى الله عليه وسلم مع بعض التفصيل الذي لا يُستغنى عنه، إذ الإحاطة بذلك لا تُمْكِن، وما لا يُدرك كلّه لا يُترك كله، ومن أراد من أصحاب الهمم العلية الاطلاع على كثرة الفضائل المحمدية بجميع أنواعها فليراجع الكتب المطولة المؤلفة في هذا الشأن. وفي نيتي أن أجمع فيها كتاباً كبيراً حافلاً وفقني الله له وقدرني عليه، وسهل لي سبيل الوصول اليه، بجاه هذا النبي الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وبعد أن تم على هذا الوجه الساطع الجميل. والأسلوب النافع الجليل، سميته (الفضائل المحمدية التي فضله الله بها على جميع البرية صلى الله عليه وسلم) ورتبته على مقدمة وستة ابواب وخاتمة.

المقدمة: في تلخيص سيرته النبوية صلى الله عليه وسلم.

الباب الأول: في أسمائه صلى الله عليه وسلم.

الباب الثاني: في الآيات القرانية الواردة في فضائله صلى الله عليه وسلم وتفسيرها.

الباب الثالث: فيما ورد من فضائله صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية السابقة من رواية المحدثين.

الباب الرابع: في الأحاديث التي بيّن فيها صلى الله عليه وسلم فضائل نفسه الكريمة عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

الباب الخامس: في الأحاديث الواردة في شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم.

الباب السادس: في ذكر شيء من دلائل نبوته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم .

خاتمة الكتاب: في الكلام على تعظيمه ومحبته والاستغاثة به وزيارته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

* * *

المقدمة في تلخيص سيرته النبوية صلى الله عليه وسلم

هو ـ صلّى الله عليه وسلم ـ محمد بن عبد الله بن عبد المُطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معَدّ بن عدنان. وهذا مجمع عليه ورفْعُ نسبه صلى الله عليه وسلم إلى آدم كرهه الإمام مالك وغيره لعدم ثبوته.

ولُد صلى الله عليه وسلم بمكة في شهر ربيع الأول يوم الاثنين عام الفيل، وإن أمّه آمنة حين وضعته خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرَى، ووقع وبصره مرتفع إلى السماء، ومات أبوه وعمره عامان أو ثلاثة، وقيل كان حَمْلاً[1]، وأرضعته ثويبة جارية عمه أبي لهب، وبعدها حليمة السعدية فأقام عندها في بني سعد أربعة أعوام، فأتاه جبريل فشق صدره فخافت عليه فردته إلى أمه فخرجت به إلى المدينة لزيارة أخواله فمرضت وهي راجعة به فماتت ودفنت بالأبواء[2]. وكان عمره صلى الله عليه وسلم نحو ست سنين فحملته أم أيمن إلى جده عبد المطلب بمكة فكفله إلى تمام ثمان سنين ومات، وأوصى به إلى عمه أبي طالب فافتخر بشرف كفالته وتربيته. وأمر الله تعالى بشأنه إسرافيل عليه السلام أن يقوم بملازمته بطريق المرافقة

---

(١) الحَمْل، بفتح الحاء وسكون الميم: ما يُحمل في البطن من الولد.
(٢) موضع بين مكة والمدينة.

والمقارنة فكان قرينه إلى أن تم له إحدى عشرة سنة، ثم أمر جبريل بملازمته بطريق المرافقة والمقارنة والحفظ لكن لم يظهر له ويكلمه، وسافر مع عمه إلى الشام حتى وصل إلى بُصرى فرآه بحيرا الراهب فرأى منه علامات النبوة فقال لعمه ارجع به لئلا يقتله اليهود وكان عمره اثنتي عشرة سنة.

ثم سافر إلى الشام مع مَيْسرة[1] في تجارة لخديجة فباع واشترى فرأى منه ميسرةُ العجائبَ وما خُصّ به من المواهب، فأخبر خديجة فخطبته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي بنت أربعين، وصار يدعى بالأمين صلى الله عليه وسلم.

فلما تم له خمس وثلاثون سنة بَنَتْ قريش البيت واختلفوا فيمن يضع الحجر محلّه وتنازعوا. ثم رضوا بأنه الذي يضعه فوضعه بيده صلى الله عليه وسلم، وصار من يومئذٍ يَسمع صوتاً أحياناً ولا يرى شخصاً ثم صار يرى نوراً.

ولما قربت أيام الوحي أحب الخلوة والإنفراد فكان يختلي في جبل حِراء بالذكر، وصار لا يمر على شجر ولا حجر إلا قال له بلسان فصيح: السلام عليك يا رسول الله. فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً. فبينما هو كذلك وذلك عند مضيّ أربعين عاماً من عمره قائماً على جبل حِراء إذ ظهر له شخص فقال: أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة. ثم أخرج له قطعة من حرير مرصعة بجوهر فوضعهافي يده وقال: «اقرأ»، فقال:

---

(١) هو غلام خديجة بنت خويلد.

ما أنا بقارىء. فضمّه وغطّه[1] حتى بلغ منه الجهد ثم قال: «اقرأ»، فقال ما أنا بقارىء. فغطّه كذلك ثلاثاً ثم قال: ﴿اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2] ثم قال: انزلْ من على الجبل. فنزل معه إلى الأرض فأجلسه على دُرْنُوكٍ[3] أبيض وعليه ثوبان أخضران ثم ضرب برجليه الأرض فنبعت عين ماء، فتوضأ جبريل وأمره أن يفعل كفعله، ثم أخذ كفاً من ماءٍ فرشّ به وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صلى به ركعتين وقال: الصلاة هكذا. وغاب فرجع إلى مكة وقصّ على خديجة وقال: خشيت على نفسي فَثَبَّتَتْهُ وصدّقتْه فكانت أولَ من آمن، ثم أتت به وَرقةَ بن نوفل فقص عليه ما رأى فصدّقه، فكان أول من آمن من الرجال، وقال: هذا الناموس[4] الذي أُنزل على موسى. ليتني أكون فيها حياً إذ يخرجك قومك. قال: أَوَ مُخْرِجيَّ هم؟ قال: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عُودي.

ثم أسلم عليّ وأبو بكر. ثم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى الدين، وكان يستقبل في صلاته بيت المقدس ثم بعد الهجرة حُوّلت القبلة إلى الكعبة، وكثر المسلمون فاتخذوا دار الارقم فاختفوا فيها ثلاث سنين، ثم أُمر باظهار الدين فدعا إلى الاسلام جهراً وأنزل الله تعالى القرآن فتحدّاهم بسورة منه فلم يقدروا وعجزوا عن معارضته، وأقرّ جماعة من المشركين بأنه غير مفترى وأنه ليس من كلام البشر لكن غلبت عليهم الشقوة واستهزأ به جماعة فهلكوا وكفاه الله شرّهم.

---

(١) يقال: غطّ الشيءَ: كبسه وعصره عصراً شديداً.

(٢) سورة العلق الآيات ١ ـ ٥.

(٣) الدرنوك: بساط يُجلس عليه، ذو خملٍ قصير.

(٤) الناموس: هو الشرع الذي شرعه الله ـ تعريفات ـ.

ولما فشا الإسلام مشى كفار قريش إلى عمه أبي طالب وشكوا ما سمعوه من سب آلهتهم وذم دينهم وتكرر ذلك وهو يذُبُّ عنه، فمضى صلى الله عليه وسلم يجهر بالتوحيد، فأجمعت قريش أن يقولوا: هذا ساحر، وقعدوا على الطرق أيام الموسم يحذّرون منه الناس، فافترقوا وقد شاع أمره وسار ذكره، فأخذوا في إيذائه وتعذيب من أسلم فطلبوا منه آية فأراهم انشقاق القمر فزاد الذين آمنوا إيماناً والكفار طغياناً، ولمّا اشتد على المسلمين البلاء هاجر جمعٌ منهم للحبشة فأقاموا بها خمس سنين، ثم بلغهم إسلام قريش فعادوا فوجدوه باطلاً فرجعوا فعظمت معاداة قريش له ولصحبه فكتبوا كتاباً أن لا يناكحوا بني هاشم ولا يُوالوهم ولا يبايعوهم.. ولا .. ولا. وعلّقوه بالكعبة وحصروهم بالشِعب ثلاث سنين حتى اشتدّ بهم البلاء وسُمعت أصوات صبيانهم يتضاغَوْن(1) من الجوع وأطلع الله نبيه على الأَرضةِ(2) أكلت ما في الصحيفة من جورٍ وظلم وبقي ذكر الله. فأخبرهم صلى الله عليه وسلم فأخرجوها فوُجدت كذلك وشلّت يد كاتبها فأخرجوهم من الشِعب.

ثم مات عمه أبو طالب ثم خديجة فحزن لذلك، ثم بعد عام ونصف أُسري به صلى الله عليه وسلم من مكة للقدس على ظهر البُراق(3). ثم علا إلى السماء ومعه جبريل فأتى الأنبياء كلَّ واحد في سماء ففرحوا به. ثم علا إلى مستوىً سمِع فيه صرير الأقلام بالأقدار. ثم دنا فتدلّى ففرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة، فلم يزل يراجعه ويسأله التخفيف بإشارة موسى

(1) يصيحون ويتضوّرون.
(2) دويبة تأكل الخشب ونحوه.
(3) نوع من الدواب.

عليه السلام حتى جعلها خمساً. فلما أصبح أخبرهم فصدّقه الصديق وكذّبه الكفار وسألوه عن صفة بيت المقدس ولم يكن رآه قبل. فرفعه إليه جبريل حتى وصفه لهم فلم يمكنهم تكذيبه لكن جحدوا عناداً.

ولما اشتد الأذى للمصطفى صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على القبائل يطلب مَن يؤويه ويحميه ليبلغ رسالة ربه، فكل منهم يُعرض ويهزأ به، حتى أتاح الله له الأنصار فصار الواحد منهم يُسلم فيسلم جميعُ عشيرته، ففشا الاسلام بالمدينة فهاجر إليها المسلمون، وأراد أبو بكر أن يهاجر فمنعه حتى هاجرا معاً فخرجا إلى غارِ ثَوْر ومعهما عامر بن فُهيرة يخدمهما وابن أريقط يدل على الطريق. فسلكوا طريق الساحل وأعمى الله عنهم العدّو فرآهم سُراقة بن مالك الكناني، فتبعهم يريد قتلهم، فدعا عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فساخت فرسه في الأرض فنادى: الأمان يا محمد فدعا له فخلص وحلف أن لا يدل عليه أحداً، ثم مروا بخيمة أم معبد فاستسقوها فقالت ما عندي. فنظر المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كِسر[1] الخيمة، فقال: ما هذه؟ قالت: شاة أَضرَّ بها الجهد وما بها لبَن، فمسح ضرعها فحلبت فشربوا وأبقى لها بقية. وسافر صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى قُبا[2] يوم الاثنين من ربيع أوّل فأقام بها أربعاً ثم رحل يوم الجمعة فصلاّها في الوادي وهي أول جمعة صلاّها. ثم ارتحل إلى المدينة فبركت ناقته بمحل مسجده الآن فنزل بدار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومنازل زوجاته وبنى صحبه حوله. وكانت المدينة كثيرة الوباء فزال بدعائه ونقل الله منها الحمّى إلى الجحفة[3]، ثم نزل إتمام الصلاة أربعاً،

(١) الكِسر، بكسر الكاف: جانب البيت.
(٢) يمّد ويُقصر: وهو موضع قرب المدينة.
(٣) الجحفة: مكان يبعد ٨٢ ميلاً عن مكة، وهو ميقات أهل الشام.

وأقام من ربيع الأول إلى صفَر يبني مسجده. وفي هذا العام كان ابتداء الامر بالأذان، وفي الثاني فرض الصيام وزكاة الفطر والمال، وحُوّلت القبلة للكعبة وغزا بدراً، وفي الثالث أُحداً، وفي الرابع بني النضير، وقصرت الصلاة وحرم الخمر وشُرع التيمم وصلاة الخوف، وفي الخامس غزوة الخندق وبني قُرَيْظة والمُصْطَلق، وفي السادس عمرة الحديبية وبيعة الرضوان وفرض الحج، وفي السابع خيبر وعمرةالقضاء، وفي الثامن وقعة مُؤْتة وفتح مكة وحَنين ، وفي التاسع تَبوك وحجة الصديق، ويسمى عام الوفود، وفي العاشر حجة الوداع، وفي الحادي عشر وفاته صلى الله عليه وسلم، لما أكمل الله تعالى له ولأمته صلى الله عليه وسلم الدّين وأتمّ عليهم النعمة نقله إلى دار كرامته شهيداً من أكْلة من الذراع المسموم الذي أهدي له بخيبر ليجمع الله له شرف النبوة والشهادة فابتدأ مرضه في العشر الأخير من صفر سنة إحدى عشرة في بيت ميمونة. فلما اشتد وجعه تحول لبيت عائشة وأقام مريضاً نحو أثني عشر يوماً.

وتوفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول عند الجمهور، وغسله علي والعباس، وابناه قُثَم والفضل يعيناهما[1]، وأُسامة بن زيد وشُقران يصبان الماء وأُوَيس بن خَولي الخزرجي ينقل الماء. ولم يُجرّد صلى الله عليه وسلم من قميصه وجعل عليّ على يده خرقة وأدخلها تحت قميصه فغسله وذلك بماءٍ وسِدْر[3] ثلاث غسَلات. ثم كُفن في ثلاثة ثيابٍ بيض ليس فيها قميص ولا عِمامةِ صلى الرجال عليه فُرادى، فوجاً بعد فوج، يدخل فوج فيصلون ثم يخرجون ويدخل غيرهم ثم صلى النساء ثم الصبيان.

---

(١) كذا في الطبعة الاولى والأفصح: «يعينانهما» بإثبات نون الأفعال الخمسة.
(٢) كذا في الطبعة الأولى، والصواب «أوس» كما في الإصابة ١/٩٥ وغيره.
(٣) السدّر: الورق المطحون المستعمل في غسل الموتى. وشجره له ثمر حلو طيّب.

ثم دفن صلى الله عليه وسلم في البقعة التي قُبض فيها لكونه كان قال: «ما قُبض نبي إلّا دفن حيث قُبض» فرُفع فراشه وحُفر له تحته ودخل القبر الجماعة المذكورون، وقيل: أسامة وأوْس، وفُرش له في قبره قَطيفة كان يلبسها ويفترشها، فقالوا: لا يلبسها أحد بعده، وهي كساء له خَمَلٌ بجوانبه. وقيل أخرجت قبل الإهالة[1]. واتخذوا له لحداً أي شقّوا له في جانب القبر، ونُصب عليه تسع لَبِنات، ثم أطبقت عليه صلى الله عليه وسلم. وجعلوا قبره الشريف مَسطحاً لا مسنَّماً ولا لاطئاً في الأرض، ورشّوا عليه ماءً بارداً واشترك الناس كلهم في العزاء، وطاشت العقول وخرست الألسن وأظلمت الدنيا. ودفن صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء، وقيل ليلة الثلاثاء. وكانت ليلة ليلاء، أي مظلمة، لفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي، قال أنس: ما نفضنا أيدينا من ترابه صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا، وكان موته أعظم المصائب وأفظع الدواهي، صلى الله عليه وسلم. اهـ، ما جمعته باختصار مما لخصه الإمام المُناوي في مقدمة طبقات الصوفية من السيرة النبوية.

(أمه صلى الله عليه وسلم): آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب.

(زوجاته صلى الله عليه وسلم): هن: خديجة بنت خُوَيْلد، وهي أول من تزوجها وجميع أولاده غير سيدنا إبراهيم منها، ولم يتزوج عليها حتى ماتت رضي الله عنها. وسودة بنت زمعة رضي الله عنها. وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما تزوجها بمكة قبل الهجرة بسنتين ودخل عليها في المدينة المنورة ولم يتزوج بِكراً غيرها. وحفصة بنت عمر رضي الله عنهما. وأم حبيبة

(١) أي قبل أن يهيلوا عليه التراب.

رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما. وهند بنت أبي أمية وهي أم سلمة رضي الله عنها. وزينب بنت جحش رضي الله عنها. وجُويرية بنت الحارث رضي الله عنهما. وصفية بنت حُيَيٍ رضي الله عنها. وميمونة بنت الحارث رضي الله عنها. وزينب بنت خزيمة أم المساكين، رضي الله عنها. وماتت في حياته.

وكان صداقه لنسائه خمسمائة درهم لكل واحدة إلا صفية وأم حبيبة.

(أولاده صلى الله عليه وسلم): القاسم وبه كان يكنى. وعبد الله ويسمى الطيب والطاهر. وزينب. ورقية. وأم كلثوم. وفاطمة. على أبيهم وعليهم الصلاة والسلام. مات البنون منهم قبل الإسلام أطفالاً، والبنات أدركن الاسلام وأسلمن. وكلهن من خديجة رضي الله عنها. وولد له بالمدينة ابراهيم، من سريته مارية القبطية رضي الله عنها، ومات وهو ابن سبعين ليلة. وكلهم ماتوا في حياته صلى الله عليه وسلم، إلا فاطمة فتأخرت بعده سبعة أشهر.

(أعمامه وعماته عليه الصلاة والسلام): الحارث. وقُثم. والزبير. وحمزة. والعباس. وأبو طلحة. وأبو طالب. وأبو لهب. وحِجْل. وضرار. والغيداق. وصفية. وعاتكة. وأروى. وأميمة. وبَرَّة. وأم حكيم البيضاء. أسلم منهم حمزة والعباس وصفية.

(مواليه صلى الله عليه وسلم): زيد بن حارثة، وابنه أسامة. وثَوبان. وأبو كبشة. وأنيسة. وشقُرْان. ورباح. ويسار. وأبو رافع. وفضالة. ورافع. ومَدعم. وكركرة. وزيد جدّ هلال. وعبيد. وأبو عبيد. وطهمان. ومأبور. وواقد. وأبو واقد. وهشام. وأبو ضميرة. وحنين. وأبو عشيب. وسفينة. وأبو هند. وأَنجَشة الحادي. وأبو لبانة. وسلمى أم رافع. وبركة، حاضنته. ومارية. وريحانة. وميمونة بنت سعد. وخضرة. ورضوى.

(**خدّامه صلى الله عليه وسلم**): أنس بن مالك. وهند وأسماء ابنتا حارثة وربيعة بن كعب، الأسلِمِيّون. وعبد الله بن مسعود. وعقبة بن عامر. وبلال. وسعد. ومخمر ابن أخي النجاشي. وكبير بن شداخ الليثي. وأبو ذر الغفاري.

(**حرسه صلى الله عليه وسلم**): سعد بن معاذ. وذكوان بن عبد قيس. ومحمد بن مسلمة. والزبير بن العوام. وعبّاد بن بشر. وسعد بن أبي وقاص. وأبو أيوب الأنصاري. وبلال. ولما نزَلت آية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] ترك الحرَس صلى الله عليه وسلم.

(**رسُله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك**): عمرو بن أمية: إلى النجاشي، واسمه أصحمة، فوضع كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينيه ونزل من سريره وجلس على الأرض وأسلم، ومات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع فصلى عليه صلاة الغائب. ودحية بن خليفة الكلبي: إلى ملك الروم قيصر، وهو هرقل، فثبتت عنده نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فهمَّ بالإسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فأمسك. وعبد الله بن حذافة السهمي: إلى كسرى ملك فارس فمزق الكتاب فقال عليه السلام: «مزّق الله ملكه كل ممزّق» فاستجاب الله له. وحاطب بن أبي بلتعة: إلى المقوقس فقارب الإسلام وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم: مارية، وشيرين، والبغلة الشهباء دُلْدُلٍ، وألف دينار، وعشرين ثوباً. وعمرو بن العاص: إلى جيفر وعبد ابني الجُلُنْدَى ملكي عُمَان فأسلما. وسليط بن عمرو العامري: إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة فأكرمه. وشجاع بن وهب الأسدي: إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء بالشام، فرمى بالكتاب وقال: أنا سائر إليه، فمنعه قيصر ثم أهلكه الله. والمهاجر بن أبي

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

أمية المخزومي: إلى الحارث الحميري. والعلاء بن الحضرمي: إلى المنذر ملك البحرين ابن ساوى فأسلم. وأبو موسى الأشعري: بعثه صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ومعه معاذ بن جبل، فأسلم عامة اليمن وملوكهم من غير قتال.

(كُتّابه صلى الله عليه وسلم): ممن كتب له عليه الصلاة والسلام: الخلفاء الأربعة، وعامر بن فهيرة. وعبد الله بن الأرقم. وأُبي بن كعب. وثابت بن قيس. وخالد بن سعيد. وحنظلة بن الربيع. وزيد بن ثابت. ومعاوية. وشرحبيل بن حسنة، رضي الله عنهم.

(الذين كانوا يضربون الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم): علي. والزبير. ومحمد بن مسلمة. وعاصم بن ثابت. والمقداد.

(النجباء من أصحابه صلى الله عليه وسلم): أبو بكر وعمر. وعلي. وحمزة. وجعفر. وزيد. والمقداد. وسلمان. وحذيفة. وابن مسعود. وعمار بن ياسر. وبلال رضي الله عنهم.

(العشرة المشهود لهم بالجنة): الخلفاء الأربعة، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم.

(دوابّه صلى الله عليه وسلم): وكان له صلى الله عليه وسلم من الخَيل عشرة: السّكب. والمرتجز. وهواء. ولزاز. واللُّحَيْف. والظرب. والورد. والطرس. ولاوح. وسجُة، ومن البغال ثلاث الدلُّدُل. وفضة. والايلية. وكان له حمار يسمى. يعفور. وأما النَّعَم فلم يُنقل أنه اقتنى شيئاً من البقر. وكانت له عشرون لَقْحة[1] من الإبل بالغابة. وأرسل له سعد بن عبادة بمهريّة من نَعَم

(١) اللقحة، بفتح اللام: الناقة الحلوب، الغزيرة اللبن.

بني عقيل، وكانت له صلى الله عليه وسلم القُصوى، وهي التي هاجر عليها، وكان لا يحمله ـ إذا نزل الوحي ـ غيرها، وقيل هي العضباء. وكان له من الغنم شاة يختص بشرب لبنها تُدعى عينة. وكان له ديك أبيض.

(ذكر سلاحه صلى الله عليه وسلم): كان له صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف: ذو الفقار. والقَلَعيّ[1]. والبتّار. والحتْف. والمِخذم. والرسوب. والعَضْب. والقضيب. وهو أول سيف تقلد به صلى الله عليه وسلم، وآخر ورثه من أبيه، وأربعة رماح: المثنى وثلاثة من بني قينقاع، وعنَزَة[2] تحمل بين يديه في العيدين، ومِحجن[3] قدْر الذراع، ومخصرة تسمى العُرْجون. وقضيب يسمى الممشوق. وكان له صلى الله عليه وسلم أربعة قسي، وجَعْبة، وتُرْس عليه تمثال عُقاب[4] أهدي، له فوضع يده على العُقاب فذهب. ودرع تسمى ذات الفضول. ويقال: كان عنده درع داود عليه السلام التي لبسها يوم قتل جالوت. وكان له صلى الله عليه وسلم مِغفر[5] يقال له السّبوغ، ومِنطَقة[6] من أديم مبشور فيها ثلاث حلَقٍ من فضة والابزيم من فضة والطرف كان له لؤلؤ أبيض.

(ذكر أثوابه وأثاثه صلى الله عليه وسلم): ترك صلى الله عليه وسلم ثوبي حَبْرة[7] وإزاراً يمانياً، وثوبين صُحاريين[8]، وقميصاً صحارياً وآخر

---

(١) نسبة إلى مكان تصنع فيه السيوف.
(٢) رمح صغير.
(٣) عصا معوجّة الرأس.
(٤) من كواسر الطيور.
(٥) زرد على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.
(٦) ما يُشدّ به الوسط.
(٧) الحبرة: نوع من برود اليمن.
(٨) نسبة إلى بلدة صُحار في عُمان.

سَحولياً[1]، وجبة يمنية، وخميصة[2]، وكساء أبيض، وقلانسَ صغاراً لاطئة ثلاثاً، وأربعاً غير لاطئة. وملحفة مورَّسة[3]، وكانت له صلى الله عليه وسلم رَبْعة[4] فيها مرآة ومشط عاجٍ ومقراضٌ وسواك. وكان له فراش من أَدَم[5] حشْوُه ليف، وقدح مضبَّب[6] بفضة من ثلاثة مواضع، وقدح آخر، وتَوْر[7] من حجارة ومِخضَب من شَبَه[8]، وقدح زجاج ومغتسَل من صُفْر، وقصعة وصاع ومدّ وسرير وقَطيفة[9] وخاتم فضة، فَصُّه منه نقشُه: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأهدى له النجاشي خُفّين ساذجين، فلبسهما. وكان له كِساء أسود وعمامة سوداء فوهبَها علياً وثَوبان، للجمُعة، غير ثيابه التي كان يلبسها في سائر الأيام، ومنديل يمسح به وجهه من الوضوء صلى الله عليه وسلم. انتهى، من كتاب نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون، للحافظ أبي الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري، وهو من بعد ما نقلته عن المُناوي إلى هنا.

(تكميل في حياته بعد موته صلى الله عليه وسلم): ذكرت في الباب التاسع من كتابي «سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين» صلى الله عليه وسلم الذي بسطت فيه الكلام على رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة ومناماً، من جملة كلام نقلته عن الحافظ السيوطي في كتابه «تنوير الحلَك في

---

(١) نسبة إلى بلدة سحول باليمن.
(٢) نوع من الثياب.
(٣) مصبوغة بالمورس.
(٤) وعاء أشبه بالسلّة الصغيرة، مغطى بالجلد.
(٥) الأدم: الجلْد.
(٦) محلّى وملبّس.
(٧) إناء صغير.
(٨) وعاء لغسل الثياب من النحاس الأصفر.
(٩) كساء ذو خمل.

إمكان رؤْية النبي والملك» ما نصه: ولا تمتنع رؤية ذاته الشريفة فانه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء أحياء ردّت إليهم أرواحهم بعدما قُبضوا، وأذن لهم في الخروج من القبور والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي، وقد ألف البيهقي جزءاً في حياة الأنبياء، وقال في دلائل النبوة: الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء، وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي: المتكلمون المحققون من أصحابنا على أن نبينا صلى الله عليه وسلم حيّ بعد وفاته، وأنه يُسرّ بطاعة أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وأنه تبلغه صلاة من يصلّي عليه من أمته. وقال: الأنبياء لا يَبْلَوْن، ولا تأكل الأرض منهم شيئاً وقد مات موسى في زمانه وأخبر نبينا صلى الله عليه وسلم أنه رآه في السماء الرابعة، ورأى آدم وإبراهيم. واذا صح لنا هذا الأصل قلنا: نبينا صلى الله عليه وسلم قد صار حياً بعد وفاته وهو على نبوته اهـ كلام عبد القاهر.

ونقل الإمام السيوطي قبل هذا وبعده من كتابه المذكور مما نقلته في كتابي «سعادة الدارين» ومما لم أنقله شيئاً كثيراً، وقال في آخره: فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حيّ بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الارض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيّب عن الأبصار كما غُيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك، ولا داعي الى التخصيص برؤية المثال اهـ.

وإذا أردت أن تطلع على كثرة النقول وكلام الأئمة الفحول في ذلك وفي رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة ومناماً فعليك بكتابي المذكور، فاني لا أعلم كتاباً غيره جمع ما جمعه من ذلك، ومن أحكام الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضائلها، وما يناسبها من فرائد الفوائد، والحمد لله رب العالمين.

الباب الأول

في أسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم

مرتبة على الحروف وهي نحو الثمانمائة

(حرف الهمزة وفيه ثمانية وثمانون اسماً): ألآمِرُ. آلآمِنُ. آيَةُ الله. آلأبَرُّ بِآلله. آلأبْطَحِيُّ. آلأبْلَجُ. (البلَج: انفراج ما بين الحاجبين) آلأبْيَضُ. أتْقَى آلنَّاسِ. آلأجَلُّ. آلأجْوَدُ أجْوَدُ آلنَّاسِ. أجِيرُ. أُحَادُ. (معدول عن واحد واحد لأنه واحد في فضائل متعددة). أُحيدُ (أي أحيد أُمتي عن نار جهنم). الأَحَدُ. آلأحْسَنُ. أحسَنُ آلنَّاسِ. آلأحْشَمُ. أحْمَدُ. آلآخِذُ بِآلْحُجُزَاتِ. (الحُجزات جمع حُجْزة وهي حيث يُثنى طرف الإزار ومحلّه الوسط أي يأْخذ بحجزات أُمته لينجيها من النار). آخِذُ آلصَّدَقَاتِ. آلآخِرُ. آخِرَايَا (وهو اسمه صلى الله عليه وسلم في الإنجيل، ومعناه آخر الأَنبياءِ. ذكره السيوطي في الرياض الانيقة). الأَخْشَى لله. أُخُونَاخُ (قال السيوطي ذكره العزفي، وَقال: هو اسمه صلى الله عليه وسلم في صحف شيث ومعناه صحيح الإسلام) آلأدْعَجُ. آلأدْوَمُ. أُذُنُ خَيْرٍ (أي سمَّاع خير وحق). آلأرْجَحُ: أرْجَحُ آالنَّاسِ عَقْلاً. الأَرْحَمُ. أرْحَمُ آلنَّاسِ بِآلِعْبَادِ. آلأزَجُّ (أي مقوّس الحواجب) آلأزْكَى. آلأزْهَرُ. (ومعناه النيّر المشرق الوجه) أشْجَعُ آلنَّاسِ. آلأشَدُّ حَيَاءً مِنَ آلْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا. آلأشْنَبُ. (من الشنب وهو

رونق ٱلأسنان وبريقها). أَصْدَقُ ٱلنَّاسِ لَهْجَةً. ٱلأَصْدَقُ فِي ٱلله. ٱلأَطْيَبُ. أَطْيَبُ ٱلنَّاسِ رِيحاً. ٱلأَعَزُّ. ٱلأَعْظَمُ. ٱلأَعْلَمُ بِٱلله. ٱلأَعْلَى ٱلأَغَرُّ. أَفْصَحُ ٱلْعَرَبِ. أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ تَبعاً. ٱلأَكْرَمُ أَكْرَمُ ٱلنَّاسِ. أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ. ٱلإِكْلِيلُ (أي التاج، لأنه تاج الانبياء، وهو اسمه في الزبور). ٱلأَلْمَعِيُّ (معناه شديد الذكاءِ). إِمَامُ ٱلْخَيْرِ. إِمَامُ ٱلرُّسُلِ. إِمَامُ ٱلْعَالَمِينَ إِمَامُ ٱلْمُتَّقِينَ. إِمَامُ ٱلْعَامِلِينَ. إِمَامُ ٱلنَّاسِ. إِمَامُ ٱلنَّبِيِّينَ.ٱلإِمَامُ. ٱلأَمَانُ. ٱلأَمْجَدُ. ٱلأُمَّةُ. آلم. آلمر. آلمص. ٱلأَمَنَةُ. (بمعنى الامان). أَمَنَةُ أَصْحَابِهِ. (أي سبب لأمنهم وطمأنينتهم). ٱلأَمِينُ. ٱلأُمِّيُّ. أَنْعُمُ ٱلله. أَنْفَسُ ٱلْعَرَبِ. ٱلأَنْقَى. ٱلأَنْوَرُ ٱلأَوَّاهُ (أي الخاشع المتضرع). ٱلأَوْسَطُ. أَوْفَى ٱلنَّاسِ ذِمَاماً. ٱلأَوَّلُ. أَوَّلُ ٱلرُّسُلِ. أَوَّلُ شَافِعٍ.أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمينَ.أَوَّلُ مُشَفَّعٍ. أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ. أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ ٱلأَرْضُ. ٱلأَوْلَى بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

(**حرْفُ الباءِ وفيه ثلاثة وعشرون اسماً**): ٱلْبَارِعُ (أي الفائق). ٱلْبَارِقْلِيطُ. وهوكالفارقليط اسمه صلى الله عليه وسلم في الإنجيل (ومعناهُ روح الحق أو الذي يفرق بين الحق والباطل وقيل الحمّاد وقيل الحمد وقيل الحامد واكثر أهل الإنجيل على أن معناه المخلص. نقله السيوطي عن الشفاءِ، قال: وفي غريب التفسير للكرماني أن معناه ليس بمذموم). ٱلْبَاطِنُ. ٱلْبَالِغُ. ٱلْبَاهِرُ. ٱلْبَاهِي. ٱلْبَحْرُ. ٱلْبَدْءُ. (أي الذي يُبدأُ به إذا عُدّت السادات). ٱلْبَدْرُ. ٱلْبَدِيعُ. ٱلْبَرُّ. ٱلْبَرِقْلِيطِسُ. (قال ابن اسحاق ومتابعوه: هو محمد صلى الله عليه وسلم بالرومية). ٱلْبُرْهَانُ. ٱلْبَشَرُ. بُشْرَى عِيسَى. ٱلْبَشِيرُ. ٱلْبَصِيرُ. ٱلْبَلِيغُ. بِمُؤْذماذ. (قال السيوطي ذكره ابن دحية وقال: ثبت في السفر الأول من التوراة وهو موافق لاسم محمد صلى الله عليه وسلم بالجمَّل. ونقلت في كتابي حجة الله على العالمين عن ابن القيم كلاماً طويلاً يحقق أنه اسمه صلى الله عليه وسلم محمد بلا شك). ٱلْبَهَاءُ. ٱلْبَهِيُّ. ٱلْبَيَانُ. ٱلْبَيِّنَةُ. (أي الحجة الواضحة).

(**حرف التاءِ وفيه ستة أسماءٍ**): أَلتَّـاجُ آلتَّالِي. آلتَّذْكِرَةُ. (أي ما يتذكّر بـه الناسي ويتنبـه بـه الغـافـل). آلتَّقِيُّ. آلتَّنْـزِيـلُ. (بمعنى المنـزَل أي المرسَل). آلتِّهَامِيُّ (نسبة إلى تهامة من أسماءِ مكة).

(**حرف الثاءِ وفيه اسمان**): ثَانِي آثْنَيْنِ (وهما المصطفى والصديق). آلثِّمَالُ (أي المغيث).

(**حرف الجيم وفيه ستة أسماءٍ**): آلْجَامِعُ. آلْجَبَّارُ. (سماه الله به في كتاب داود لقهر أعدائه ونفى عنه جبرية التكبر فقـال: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾[1]. آلْجَدُّ: أي العظيم جليل القـدر. آلْجَلِيلُ آلْجَـوَادُ. آلْجَهْضَمُ. (وهوَ العظيم الهامة المستدير الوجه الرحب الجبين الواسع الصدر.

(**حرف الحاءِ وفيه سبعة وثلاثون اسماً**): آلْحَاتِمُ. (ومعنـاه أحسن الأنبياءِ خَلقاً وخُلقاً). آلْحَاشِرُ. حَاط حَاط. (قال السيوطي ذكره العزفي، وقال: هو اسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور). آلْحَافِظُ. آلْحَاكِمُ بِمَا أَمَرَ الله. آلْحَامِدُ. حَامِلُ لِـوَاءِ آلْحَمْدِ. آلْحَـامِي. آلْحَائِـدُ لأُمَّته عَن آلنَّـار. آلْحَبِيبُ. حَبِيبُ آلـرَّحْمٰنِ. حَبِيبُ آلله. حُبَيْطَى. (قـال السيـوطي ذكـره العزفي وقال هو من أسمائه صلى الله عليه وسلم في الانجيل، وتفسيره: يفرق الله به بين الحق والباطل). آلْحِجَازِيُّ. آلْحُجَّةُ آلْبَالِغَةُ. حُجَّةُ الله علَى آلْخَلاَئِقِ. آلْحَرَمِيُّ (نسبة إلى حرم مكة). آلْحَرِيصُ عَلَى أَهْلِ الإِيْمَانِ. حِـرْزُ آلأُمِّيِّينَ (أي حافـظهم من السوءِ) حِـزْبُ الله (والحزب الـطائفة). آلْحَسِيبُ. آلْحَفِيظُ. آلْحَفِيُّ. آلْحَقُّ. آلْحَكَمُ. آلْحَكِيمُ. آلْحُلاَحِلُ (ومعناه السيد الشجاع). آلْحَلِيمُ. حَمَّادٌ. حَمَّطَايَا. وقيل حمياطا كما في المواهب وشرحها (ومعناه حامي الحَرَم أي حرم مكة وقيل حامي الحُرَم أي النساء).

---

(١) سورة ق: الآية ٤٥.

حمعسق. ٱلْحَمدُ. ٱلْحَمِيدُ. ٱلْحَنَانُ (ومعناه: الرحمة). ٱلْحَنِيفُ ٱلْحَيُّ. ٱلْحَيِيُّ.

(حرف الخاءِ وفيه ستة وعشرون اسماً): خَاتِمُ ٱلْمُرْسَلِينَ. خَاتِمُ ٱلنَّبِيِّينَ ٱلْخَاتِمُ. ٱلْخَازِنُ لِمَال الله. ٱلْخَاشِعُ. ٱلْخَاضِعُ. ٱلْخَافِضُ. ٱلْخَالِصُ ٱلْخَبِيرُ. خَطِيبُ ٱلأُمَمِ. خَطِيبُ ٱلأَنْبِيَاءِ. خَطِيبُ ٱلْوَافِدِينَ عَلَى ٱللهِ. خَلِيلُ ٱلرَّحْمٰنِ. خَلِيلُ ٱللهِ. ٱلخليلُ. ٱلْخَلِيفَةُ. خَلِيفَةُ الله خَيْرُ ٱلأَنْبِيَاءِ. خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ. خَيْرُ ٱلْخَلْقِ. خَيْرُ خَلْقِ ٱللهِ. خَيْرُ ٱلْعَالَمِينَ طُرّاً. خَيْرُ ٱلنَّاسِ. خِيرَةُ ٱللهِ. خَيْرُ هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ. ٱلْخَيِّرُ.

(حرف الدال وفيه عشرة أسماء): دَارُ ٱلْحِكْمَةِ. ٱلدَّاعِي إِلَى ٱللهِ. ٱلدَّامِغُ. (يقال: دمغه أي أصاب دماغه، فهو بمعنى المهلك للباطل). ٱلدَّانِي. دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ. دَعْوَةُ ٱلتَّوْحِيدِ. دَعْوَةُ ٱلنَّبِيِّينَ. ٱلدَّلِيلُ. دَلِيلُ ٱلْخَيْرَاتِ. دَهْثَمُ. (ومعناه: السهل الخُلُق الحسن الخَلْق).

(حرف الذال، وفيه ثمانية وعشرون اسماً): ٱلذَّاكِرُ. ٱلذُّخْرُ. الذَّكَّارُ. ذِكْرُ ٱللهِ. ٱلذِّكْرُ. ٱلذَكَرُ. (ومعناه القوي الشجاع). ذُو ٱلتَّاجِ. ذُو ٱلْجِهَادِ. ذُو ٱلْحَطِيمِ (والحَطيم هو حِجْر البيت على الأصح). ذُو ٱلْحَوْضِ ٱلْمَوْرُودِ. ذُو ٱلْخُلُقِ ٱلْعَظِيمِ. ذُو ٱلسَّكِينَةِ. ذُو ٱلسَّيْفِ. ذُو ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ. ذُو طَيْبَةَ. ذُو ٱلْعَطَايَا. ذُو ٱلْفُتُوحِ. ذُو ٱلْقَضِيبِ. ذُو ٱلْقُوَّةِ. ذُو عِزَّةٍ. ذُو فَضْلٍ. ذُو ٱلْمُعْجِزاتِ. ذُو ٱلْمَقَامِ ٱلْمَحْمُودِ. ذُو مَكَانَةٍ. ذُو ٱلْمَدِينَةِ. ذُو ٱلْمِيسَمِ (المِيسم: العلامة أو الجمال). ذُو ٱلْوَسِيلَةِ. ذُو ٱلْهِرَاوَةِ (وهي العصاة).

(حرف الراءِ، وفيه ستة وثلاثون اسماً): ٱلرَّاغِبُ. ٱلرَّافِعُ. رَافِعُ ٱلرُّتَبِ. رَاكِبُ ٱلْبُرَاقِ. رَاكِبُ ٱلْبَعِيرِ. رَاكِبُ ٱلْجَمَلِ. رَاكِبُ ٱلنَّاقَةِ. رَاكِبُ ٱلنَّجِيبِ. ٱلرَّاجِي. ٱلرَّاضِي. ٱلرَّجُلُ. ٱلرَّجِيحُ. ٱلرَّحْبُ ٱلْكَفِّ. رَحْمَةُ

ٱلْأُمَّةِ. رَحْمَةُ ٱلْعَالَمِينَ. رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ. (قال صلى الله عليه وسلم: إنما أنا رحمة مهداة). ٱلرَّحْمَةُ. ٱلرَّحِيمُ. رَسُولُ ٱلرَّاحَةِ. رَسُولُ ٱلرَّحْمَةِ. رَسُولُ ٱللهِ. رَسُولُ ٱلْمَلَاحِمِ. ٱلرَّسُولُ. ٱلرَّشِيدُ. ٱلرَّضِيُّ. رِضْوَانُ ٱللهِ. رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ. ٱلرَّفِيعُ ٱلذِّكْرِ. ٱلرَّفِيقُ. ٱلرَّقِيبُ. (وهو الذي يراقب ٱلْأَشياءَ ويحفظها). رُكْنُ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ. رُوحُ ٱلْحَقِّ. رُوحِ ٱلْقُدُسِ. ٱلرُّوحُ ٱلرَّؤُوفُ. ٱلرَّهَّابُ (من الرهب، وهو الخوف).

(**حرف الزاي وفيهِ أحد عشر اسماً**): ٱلزَّاجِرُ. ٱلزَّاهِدُ. ٱلزَّاهِرُ. ٱلزَّاهِي. زِرِبْيَال (وهو بمعنى محمد، كما هو مذكور في البشارة الحادية والثلاثين من كتابي حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم نقلاً عن أعلام النبوَّة للماوردي، الناقل لها عن كتاب زكريا بن يوحنا من أنبياءِ بني اسرائيل. ولم أرَ هذا الاسم لأحد ممن ألفوا في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم). زَعِيمُ ٱلْأَنْبِيَاءِ. ٱلزَّكِيُّ. زُلَفُ (ومعناه القريب المتقدم). ٱلزَّمْزَمِيُّ. ٱلزَّيْنُ. زَيْنُ مَنْ وافَى ٱلْقِيَامَةَ.

(**حرف السين وفيه تسعة وعشرون اسماً**): ٱلسَّابِطُ (ومعناه سبط الشعر أي مسترسله). ٱلسَّابِقُ. ٱلسَّابِقُ بِٱلْخَيْرَاتِ. سَابِقُ ٱلْعَرَبِ. ٱلسَّاجِدُ. سَبِيلُ ٱللهِ. ٱلسَّخِيُّ. ٱلسَّدِيدُ (ومعناه المستقيم). ٱلسِّرَاجُ ٱلْمُنِيرُ. سَرِخْلِيطِس (قال العزفي: هو اسمه صلى الله عليه وسلم بالسريانية ومعناه كالبرقليطس: محمد). ٱلسَّرِيعُ. سَعْدُ ٱللهِ. سَعْدُ ٱلْخَلَائِقِ. ٱلسَّعِيدُ. ٱلسَّلَامُ. ٱلسَّمِيُّ (أي العالي). ٱلسَّمِيعُ. ٱلسَّنَا (أي الضوءُ وبالمدّ: الشرف). ٱلسَّنَدُ. ٱلسَّيِّدُ. سَيِّدُ ٱلثَّقَلَيْنِ. سَيِّدُ ٱلْكَوْنَيْنِ. سَيِّدُ ٱلْمُرْسَلِينَ. سَيِّدُ ٱلنَّاسِ. سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ. ٱلسَّيْفُ. سَيْفُ ٱلْإِسْلَامِ. سَيْفُ ٱللهِ ٱلْمَسْلُولُ. ٱلسَّيْفُ ٱلْمُخَذَّمُ. (أي القاطع الماضي).

(**حرف الشين وفيه ثمانية عشر اسماً**): ٱلشَّارِعُ. ٱلشَّافِعُ. ٱلشَّافِي.

ٱلشَّاكِرُ ٱلشَّاهِدُ ٱلشَّثْنُ. (ومعناه: عظيم الكفين والقدَمين والعرب تتمدح به). ٱلشَّدِيدُ. الشُّذْقَمُ (وهو البليغ المفوَّه). ٱلشَّرِيفُ. ٱلشِّفَاءُ. ٱلشَّفْعُ. ٱلشَّفِيعُ. ٱلشَّكَّارُ. ٱلشَّكُورُ. ٱلشَّمْسُ. ٱلشِّهَابُ (ومعناهُ السيد الماضي في الأمر أو النجم المضيءُ). ٱلشَّهْمُ (ومعناه السيد النافذ الحكم). ٱلشَّهِيدُ.

(حرف الصاد وفيه خمسة وستون اسماً): ٱلصَّابِرُ. صَاحِبُ ٱلْأَزْوَاجِ ٱلطَّاهِرَاتِ. صَاحِبُ ٱلْآيَاتِ. صَاحِبُ ٱلْبُرْهَانِ. صَاحِبُ ٱلْبَيَانِ. صَاحِبُ ٱلتَّاجِ. صَاحِبُ ٱلتَّوْحِيدِ. صَاحِبُ ٱلْجَمَلِ. صَاحِبُ ٱلْجِهَادِ. صَاحِبُ ٱلْحُجَّةِ. صَاحِبُ ٱلْحَطِيمِ. صَاحِبُ ٱلْحَوْضِ ٱلْمَوْرُودِ. صَاحِبُ ٱلْخَاتَمِ. صَاحِبُ ٱلْخَيْرِ صَاحِبُ ٱلدَّرَجَةِ ٱلْعَالِيَةِ ٱلرَّفِيعَةِ. صَاحِبُ الرِّدَاءِ. صَاحِبُ زَمْزَمَ. صَاحِبُ ٱلسُّجُودِ لِلرَّبِّ ٱلْمَعْبُودِ. صَاحِبُ ٱلسَّرَايَا. صَاحِبُ ٱلسُّلْطَانِ (أي النبوة). صَاحِبُ ٱلسَّيْفِ. صَاحِبُ ٱلشَّرْعِ. صَاحِبُ ٱلشَّفَاعَةِ ٱلْكُبْرَى. صَاحِبُ ٱلْعَطَايَا. صَاحِبُ ٱلْعَلَامَةِ (أي خاتم النبوة). صَاحِبُ ٱلْعَلَامَاتِ ٱلْبَاهِرَاتِ. صَاحِبُ ٱلْعُلُوِّ عَلَى ٱلدَّرَجَاتِ. صَاحِبُ ٱلْفَرَجِ. صَاحِبُ ٱلْفَضِيلَةِ. صَاحِبُ ٱلْقَدَمِ. صَاحِبُ ٱلْقَضِيبِ (أي السيف وقيل: العصا). صَاحِبُ قَوْلِ لا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ. صَاحِبُ ٱلْكَوْثَرِ. صَاحِبُ ٱللِّوَاءِ. صَاحِبُ ٱلْمَحْشَرِ. صَاحِبُ ٱلْمِدْرَعَةِ (وهي نوع من الثياب ولا تكون إلا من الصوف). صَاحِبُ ٱلْمَدِينَةِ. صَاحِبُ ٱلْمَشْعَرِ. صَاحِبُ ٱلْمَظْهَرِ ٱلْمَشْهُودِ. صَاحِبُ ٱلْمُعْجِزَاتِ. صَاحِبُ ٱلْمِعْرَاجِ. صَاحِبُ ٱلْمَغْنَمِ. صَاحِبُ ٱلْمَقَامِ ٱلْمَحْمُودِ. صَاحِبُ ٱلْمِنْبَرِ. صَاحِبُ ٱلْمِئْزَرِ. صَاحِبُ ٱلنَّعْلَيْنِ (هو وصفه صلى الله عليه وسلم في الإنجيل. صَاحِبُ ٱلْهِرَاوَةِ (أي العصا). صَاحِبُ ٱلْوَسِيلَةِ (وهي أعلى درجة في الجنة. والوسيلة ما يُتوسل به إلى ذي قدْرٍ، وهو وسيلة الخلق إلى ربهم). ٱلصَّاحِبُ. ٱلصَّادِعُ بِمَا أَمَرَ ٱللهُ. ٱلصَّادِقُ صَاعِدُ ٱلْمِعْرَاجِ. ٱلصَّالِحُ. ٱلصَّبُورُ. ٱلصَّبِيحُ. ٱلصِّدْقُ. ٱلصَّدُوقُ. ٱلصِّدِّيقُ. صِرَاطُ ٱللهِ. صِرَاطُ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ. ٱلصِّرَاطُ ٱلْمُسْتَقِيمُ.

ٱلصَّفْوَةُ. ٱلصَّفُوحُ. ٱلصَّفُوحُ عَنِ ٱلزَّلَّاتِ. ٱلصِّنْدِيدُ (وهو السيد الشجاع). ٱلصَّيِّنُ (من الصيانة وهي الحفظ).

(حرف الضاد وفيه ثمانية أسماءٍ): الضَّابِطُ. ٱلضَّارِبُ بِٱلْحُسَامِ. ٱلضَّارِعُ (ومعناه المتذلل إلى الله). ٱلضَّحَّاكُ. ٱلضَّحُوكُ. ٱلضَّمِينُ. ٱلضَّيْغَمُ (وهو البطلُ الشجاع). ٱلضِّيَاءُ.

(حرف الطاءِ وفيه تسعة أسماءٍ): طَابَ طَابَ (قال السيوطي: ذكره العزفي وقال: وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم في التوراة، ومعناه: طيب وقيل: معناه ما ذُكر بين قومٍ إلا طاب ذكره بينهم). ٱلطَّاهِرُ. ٱلطَّبِيبُ. ٱلطِّرَازُ ٱلْمُعْلَمُ (أي العلمَ المشهور ٱلذي يُهتدى به). طس. طسم. طه. ٱلطَّهُورُ. ٱلطَّيِّبُ.

(حرف الظاءِ وفيه اسمان): ٱلظَّاهِرُ. ٱلظَّفُورُ.

(حرف العين وفيه ثمانية وأربعون اسماً): ٱلْعَابِدُ. ٱلْعَادِلُ. ٱلْعَارِفُ ٱلْعَاضِدُ (وهو المعين). ٱلْعَافِي. ٱلْعَاقِبُ. ٱلْعَالِمُ.ٱلْعَالِمُ بِٱلْحَقِّ. ٱلْعَامِلُ ٱلْعَائِلُ. عَبْدُ ٱللهِ. عَبْدُ ٱلْجَبَّارِ. عَبْدُ ٱلْحَمِيدِ. عَبْدُ ٱلْخَالِقِ. عَبْدُ ٱلرَّحِيمِ. عَبْدُ ٱلرَّزَّاقِ. عَبْدُ ٱلسَّلَامِ. عَبْدُ ٱلْغَفَّارِ. عَبْدُ ٱلْغِيَاثِ. عَبْدُ ٱلْقَادِرِ. عَبْدُ ٱلْقُدُّوسِ. عَبْدُ ٱلْقَهَّارِ. عَبْدُ ٱلْكَرِيمِ. عَبْدُ ٱلْمَجِيدِ. عَبْدُ ٱلْمُؤْمِنِ. عَبْدُ ٱلْوَهَّابِ. ٱلْعَبْدُ. ٱلْعُدَّةُ (وهو المعدّ لكشف الشدائد). ٱلْعَدْلُ. ٱلْعَرَبِيُّ (هو من أسمائه صلى الله عليه وسلم فيما أوحى إلى عيسى عليه السلام). ٱلْعُرْوَةُ ٱلْوُثْقَى (ومعناه العقد الوثيق في الدين). ٱلْعَزِيزُ. الْعِصْمَةُ (وهو بمعنى عاصم أو معصوم). عِصْمَةُ ٱللهِ. ٱلْعَطُوفُ ٱلْعَظِيمُ. ٱلْعَفُوُّ. ٱلْعَفِيفُ. عَلَمُ ٱلإِيمَانِ. عَلَمُ ٱلْيَقِينِ. ٱلْعَلَمُ. ٱلْعَلَامَةُ (أي العلَم الذي يُهتدى به). ٱلْعَلِيُّ. ٱلْعَلِيم. ٱلْعِمَادُ. ٱلْعُمْدَةُ (ومعناه الشجاع). ٱلْعَيْنُ (ومعناه الخيار). عَيْنُ ٱلْعِزِّ.

(حرف الغين وفيه ثمانية اسماءٍ): ٱلْغَالِبُ. ٱلْغَطَمْطَمُ (وهو الواسع الأخلاق الحليم). ٱلْغَفُورُ. ٱلْغَنِيُّ. ٱلْغَنِيُّ بِٱللهِ. ٱلْغَوْثُ. ٱلْغِيَاثُ. ٱلْغَيْثُ.

(حرف الفاءِ وفيه عشرون اسماً): ٱلْفَاتِحُ. ٱلْفَارِقُ. ٱلْفَارِقْلِيطُ (وهو كالبارقليط، وتقدَّم معناه). ٱلْفَارُوقُ (وهو كثير الفرق بين الحق والباطل). ٱلْفَاضِلُ. ٱلْفَائِقُ. ٱلْفَتَّاحُ. ٱلْفَجْرُ. ٱلْفَخْرُ (وهو العظيم الجليل). ٱلْفَدْعَمُ (وهو الحسن الجميل). ٱلْفَرْدُ. ٱلْفَرَطُ (وهو السابق يسبق أمته إلى الحوض شافعاً لهم). ٱلْفَصِيحُ. فَضْلُ ٱللهِ. ٱلْفَضْلُ. ٱلْفَطِنُ. ٱلْفَلَاحُ. فَوَاتِحُ ٱلْخَيْرِ. ٱلْفَهِمُ. فِئَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ (أي يفيؤون إليه).

(حرف القاف وفيه اثنان وعشرون اسماً): ٱلْقَارِي (وهو الكريم الجواد من القِرى وهو إكرام الضيف). ٱلْقَاسِمُ. ٱلْقَاضِي. ٱلْقَانِتُ (وهو الطائع). قَائِدُ ٱلْخَيْرِ (أي جالبهُ آلى أمته). قَائِدُ ٱلْغُرِّ ٱلْمُحَجَّلِينَ (وهم أمته صلى الله عليه وسلم). ٱلْقَائِدُ. ٱلْقَائِلُ (أي الحاكم لأنهُ ينفذ قوله). ٱلْقَائِمُ (بمعنى القيم وهو الكامل الجامع لمكارم الأخلاق). ٱلْقَتَّالُ. ٱلْقَتُولُ بالجهاد. قُثَمُ (وهو جامع الخير، ومثله القَثُوم). ٱلْقَثُومُ. قِدْمَايَا (هو اسمه صلى الله عليه وسلم في التوراة ومعناه السابق الأول، ذكره السيوطي). قَدَمُ صِدْقٍ. ٱلْقُرَشِيُّ. ٱلْقَرِيبُ. ٱلْقَسَمُ. ٱلْقُطْبُ. ٱلْقَمَرُ. ٱلْقَوِيُّ. ٱلْقَيِّمُ.

(حرف الكاف وفيه اثنا عشر اسماً): ٱلْكَافُّ، ٱلْكَافَّةُ. كَافَّةُ ٱلنَّاسِ. ٱلْكَامِلُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ. ٱلْكَافِي. ٱلْكَثِيرُ ٱلصَّمْتِ. ٱلْكَرِيمُ. ٱلْكَفِيلُ (وهو السيد المتكفل بأمور قومه). كهيعص. كَنْدِيدَه (قال ابن دحية: هو اسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور). ٱلْكَنْزُ. ٱلْكَوْكَبُ.

(حرف اللام وفيه خمسة اسماءٍ): ٱللَّبِيبُ. ٱللِّسَانُ (أي المتكلم عن القوم). ٱللَّسِنُ. ٱللَّوْذَعِيُّ. ٱللَّيْثُ.

(حرف الميم وفيه مائتان وثمانية اسماء): ٱلْمَاءُ ٱلْمَعِينُ. ٱلْمَاجِدُ. ٱلْمَاحِي (سمّي الماحي لأن الله يمحو به الكفر. قال القاضي عياض: أي من مكة وبلاد العرب وما زُوي له من الأرض[1] ووُعد أنه يبلغه). ملك أمته. مَاذْمَاذْ (قال القاضي عياض: هو اسمه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة ومعناه طيب طيب). ٱلْمَأْمُونُ. ٱلْمَانِحُ. ٱلْمُؤَمَّلُ. ٱلْمُؤَمَّم. ٱلْمُبَارَكُ. ٱلْمُبْتَهِلُ. ٱلْمَبَرُّ. ٱلْمُبَشِّرُ. مُبَشِّرُ ٱلْيَائِسِينَ. ٱلْمَبْعُوثُ. ٱلْمَبْعُوثُ بِٱلْحَقِّ. ٱلْمُبَلِّغُ. ٱلْمُبِيحُ. ٱلْمُبِينُ. ٱلْمُتَبَتِّلُ (أي المنقطع إلى الله بعبادته). ٱلْمُتَبَسِّمُ. ٱلْمُتَّبَعُ. ٱلْمُتَرَبِّصُ (أي المنتظر وعد ربه). ٱلْمُتَرَحِّمُ. ٱلْمُتَضَرِّعُ. ٱلْمُتَّقِي. ٱلْمَتْلُوُّ. ٱلْمَتْلُوُّ عَلَيْهِ. ٱلْمُتَمَكِّنُ. ٱلْمُتَمِّمُ. ٱلْمُتَمِّمُ لِمَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ. ٱلْمُتَهَجِّدُ. ٱلْمُتَوَسِّطُ. ٱلْمُتَوَكِّلُ. ٱلْمَتِينُ. ٱلْمُثَبِّتُ (بكسر الباءِ المشددة وفتحها). ٱلْمُثِيبُ. ٱلْمُجَابُ. ٱلْمُجَادِلُ (وهو المحاجج بالحق). ٱلْمُجْتَبَى. ٱلْمُجِيبُ. ٱلْمَجِيدُ (وهو الرفيع القدر). ٱلْمُجِيرُ. ٱلْمَحَجَّةُ (أصلها جادة الطريق). ٱلْمُحَرِّضُ (حرض المؤمنين على القتال). ٱلْمُحَرِّمُ. ٱلْمَحْفُوظُ. ٱلْمُحَكَّمُ. ٱلْمُحَلِّلُ. مُحَمَّدٌ. ٱلْمَحْمُودُ. ٱلْمُحِيدُ (أي أحاد أمته عن الباطل إلى الحق). ٱلْمُخْبِتُ (وهو الخاشع). ٱلْمُخْبِرُ. ٱلْمُخْتَارُ. ٱلْمُخْتَصُّ. ٱلْمُخْتَّمُ. ٱلْمَخْصُوصُ بِٱلشَّرَفِ. ٱلْمَخْصُوصُ بِٱلْعِزِّ. ٱلْمَخْصُوصُ بِٱلْمَجْدِ. ٱلْمِخْضَمُ (وهو السيد الشريف). ٱلْمُخَلِّصُ. المُدَّثِرُ (وهو المتلفف في ثيابه). ٱلْمَدَنِيُّ. مَدِينَةُ ٱلْعِلْمِ. ٱلْمُذَكِّرُ. ٱلْمَذْكُورُ. ٱلْمَرْءُ (وهو الرجل الكامل المروءة). ٱلْمُرْتَجَى. ٱلْمُرْتَضَى. ٱلْمُرْتَفِعُ ٱلدَّرَجَاتِ. ٱلْمُرَتِّلُ. مَرْحَمَةٌ. ٱلْمَرْحُومُ. ٱلْمُرْسَلُ. ٱلْمُرْشِدُ. ٱلْمُرَغِّبُ. مَرْغَمَةٌ (أي مُذلّ للكفر. والرُّغام: التراب). ٱلْمُزَكِّي (وهو المطهر). ٱلْمُزَمْزَمُ (أي المغسول قلبه بماءِ زمزم). الْمُزَّمِّلُ (وهو المتلفف في ثيابه).

---

(١) زوي: أي جُمع.

مُزِيلُ ٱلْغُمَّةِ. ٱلْمُسَبِّحُ. ٱلْمُسْتَجِيبُ. ٱلْمُسْتَعِيذُ (وهو الملتجئُ إلى الله). ٱلْمُسْتَغْفِرُ. ٱلْمُسْتَغْنِي. ٱلْمُسْتَقِيمُ. المُسَدَّدُ (وهو الموفق لكل جميل). ٱلْمَسْرِيُّ بِهِ (أي أسري به ليلة المعراج). ٱلْمَسْعُودُ. ٱلْمُسَلِّمُ. المسلَّم ٱلْمَسِيحُ (وهو المبارك وٱلذي يمسح العاهات فيبرئها). ٱلْمُشَاوِرُ. ٱلْمُشَذَّبُ. كالمهذب. ٱلْمُشَرِّدُ (ومعناه المنكل بالعدو). ٱلْمُشَفَّحُ (بالفاءِ وروي بالقاف، بمعنى محمد بالسريانية. قال ابن ظفر: وقع هذا الاسم في كتاب شعيا. ذكره السيوطي). ٱلْمُشَفَّعُ. ٱلْمَشْفُوعُ. ٱلْمَشْهُودُ. ٱلْمَشِيحُ (أي عريض الصدر). ٱلْمُشِيرُ. ٱلْمُصَارِعُ (الذي يصرع لقوَّته). ٱلْمُصَافِحُ. ٱلْمِصْبَاحُ. مُصَحِّحُ ٱلْحَسَنَاتِ. ٱلْمُصَدِّقُ. ٱلْمُصَدَّقُ. ٱلْمَصْدُوقُ. ٱلْمُصْطَفَى. ٱلْمُصْلِحُ. ٱلْمُصَمِّمُ. ٱلْمَصُونُ. ٱلْمُصَلَّى عَلَيْهِ. ٱلْمُضَرِيُّ. ٱلْمُضِيءُ. ٱلْمُطَاعُ. ٱلْمُطَهَّرُ. ٱلْمُظْهِرُ. ٱلْمُعْتَضِدُ. ٱلْمَعْرُوفُ. ٱلْمُعَزَّزُ. ٱلْمَعْصُومُ. ٱلْمُعْطِي. ٱلْمُعَقِّبُ (سمي بذلك لأنه عقب الأنبياءَ أي جاءَ بعدهم صلى الله عليه وسلم). ٱلْمُعَلِّمُ. ٱلْمُعَلَّمْ. مُعَلِّمُ أُمَّتِهِ. ٱلْمُعْلِنُ. ٱلْمُعَلَّى. ٱلْمُعِينُ. ٱلْمُغْرَمُ (أي المحب لله). ٱلْمَغْنَمُ. ٱلْمُغْنِي. ٱلْمِفْتَاحُ. مِفْتَاحُ ٱلْجَنَّةِ. ٱلْمُفَخَّمُ. ٱلْمِفْضَالُ. ٱلْمُفَضَّلُ. المُفَلَّجَ (أي مفلَّج الثنايا. والفلَج تباعُد ما بين الأسنان). ٱلْمُفْلِحُ. ٱلْمُقْتَفِي (أي جاءَ على أثر النبيين). ٱلْمقفِي، كالمقتفي. ٱلْمُقَدَّسُ. ٱلْمُقَدِّمُ. ٱلْمُقَدَّمُ. ٱلْمُقْرِىءُ. ٱلْمُقسِطُ (وهو العادل). ٱلْمُقْسِمُ (وهو الحالف). ٱلْمَقْصُوصُ عَلَيْهِ. ٱلْمُقفَّى. ٱلْمُقَوِّمُ. مُقِيلُ ٱلْعَثَرَاتِ. مُقِيمُ ٱلسُّنَّةِ بَعْدَ ٱلْفَتْرَةِ. ٱلْمُكْتَفِي. ٱلْمُكْرِمُ. ٱلْمَكْفِيُّ. ٱلْمُكَلَّم (أي كلّمه الله ليلة المعراج). ٱلْمَكِّيُّ. ٱلْمَكِينُ. ٱلْمَلَاحِمِيُّ (وهو نسبة الى ملاحم القتال لأنهُ بُعث بالسيف وٱلجهاد). المَلَاذُ. ٱلْمُلَبِّي. ٱلْمَلْجَأُ. المَلِكُ. ٱلْمَلِيءُ. ٱلْمَلِيكُ. مُلَقَّى ٱلْقُرْآنِ. ٱلْمَمْنُوحُ. ٱلْمَمْنُوعُ (وهو الذي منعهُ الله من العدا والردى). المُنَادي ٱلْمُنْتَصِرُ. مِنَّةُ الله. ٱلْمُنْجِدُ. ٱلْمُنْجِي. ٱلْمُنْتَجَبُ. ٱلْمُنْحَمِنّى (ذكره في

الشفاءِ وقال: هو اسمه صلى الله عليه وسلم بالسريانية. وقال ابن اسحاق: هو اسمه في الإنجيلَ ومعناه: محمد). آلْمُنْتَخَبُ. آلْمُنْذِرُ. آلْمُنَزَّلُ عَلَيْهِ. آلْمُنْصِفُ. آلْمَنْصُورُ. آلْمُنْقِذُ. آلْمُنِيبُ (أي المقبل على الطاعة). آلْمُنِيرُ. آلْمُهَاجِرُ. آلْمُهْتَدِي. آلْمَهْدِيُّ. المُهْدِي (اسم فاعل واسم مفعول من الهُدى والإهداء). آلْمُهَذَّبُ. آلْمَهيبُ. آلْمُهَيْمِنُ (أي الشاهد الحافظُ). آلْمُؤْتَمَنُ. آلْمُؤَتى. جَوَامِعَ آلْكَلِمِ. مُوذْمُوذ (قال السيوطي: ذكره العزفي وقال: هو اسمه صلى الله عليه وسلم في صحف إبراهيم). آلْمَوْرُودُ حَوْضُهُ. آلْمُوَصِّلُ. آلْمَوْعِظَةُ. آلْمُوَقَّرُ. آلْمُوقِنُ. آلْمَوْلَى. آلْمُومَا إِلَيْهِ. آلْمُؤْمِنُ. آلْمُؤَيِّدُ. آلْمُؤَيَّدُ. مِيذْمَيذْ (قال السيوطي: قال العزفي: هو اسمه صلى الله عليه وسلم في التوراة). آلْمِيزَانُ. آلْمُيَسِّرُ. آلْمُيَمَّمُ (أي المقصود).

(**حرف النون وفيه اربعة واربعون اسماً**): آلنَّابِذُ. (أي الطارح. قال تعالى: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾[1] أي اطرح عهدهم). آلنَّاجِزُ (أي المنجز لما وعد، وكان من ذلك بمكان). آلنَّاسُ. آلنَّاسِخُ. آلنَّاسِكُ. آلنَّاشِرُ (أي نشر الإسلام وأظهر الشرائع، والمظهر للشيءِ بعد طيه). آلنَّاصِبُ. آلنَّاصِحُ. نَاصِرِ آلدِّينِ. آلنَّاصِرُ. آلنَّاطِقُ بِآلْحَقِّ. آلنَّاظِرُ مِنْ خَلْفِهِ. آلنَّاهِي. نَبِيُّ آلأَحْمَرِ. نَبِيُّ آلأَسْوَدِ. نَبِيُّ آلتَّوْبَةِ. نَبِيُّ الْحَرَمَيْنِ. نَبِيُّ آلرَّاحَةِ. نَبِيُّ آلرَّحْمَةِ. آلنَّبِيُّ آلصَّالِحُ. نبيُّ آلله. نَبِيُّ زَمْزَمَ. نَبِيُّ آلْمَرْحَمَةِ. نَبِيُّ آلْمَلْحَمَةِ. نَبِيُّ آلْمَلَاحِمِ (جمع ملحمة، وهي موضع القتال لأنه أرسل بالجهاد كما تقدم). آلنَّبَأُ. آلنَّجْمُ. آلنَّجْمُ آلثَّاقِبُ (هو الذي يثقُب بنوره ما يقع عليه). النَّبِيُّ. نَجِيُّ آلله. آلنَّجِيبُ. آلنَّجِيدُ. آلنَّدْبُ.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٥٨.

ٱلنَّذِيرُ. ٱلنَّسِيبُ. نَصِيحٌ. ٱلنِّعْمَةُ. نِعْمَةُ الله. ٱلنَقِيُّ. ٱلنَّقِيبُ. ٱلنُّورُ. نُورُ ٱلْأُمَمِ. نُورُ ٱلله ٱلَّذِي لَا يُطْفَأُ. ن.

(حرف الواو وفيه ثمانية عشر اسماً): ٱلْوَاجِدُ. ٱلْوَاسِطُ. ٱلْوَاسِعُ. ٱلْوَاصِلُ. ٱلْوَاضِعُ. ٱلْوَاعِدُ. ٱلْوَاعِظُ. ٱلْوَافِي. ٱلْوَالِي. ٱلْوَجِيهُ. ٱلْوَرِعُ. ٱلْوَسِيلَةُ. ٱلْوَسِيمُ. ٱلْوَصِيُّ. ٱلْوَفِيُّ. ٱلْوَلِيُّ. وَلِيُّ ٱلْفَضْلِ. ٱلْوَهَّابُ.

(حرف الياءِ وفيه ثلاثة اسماءٍ): ٱلْيَثْرِبِيُّ. يس (هو السيد وفيه أقوال أُخر). اليتيمُ (عدِيم النظير كالدرة اليتيمة، والذي لا أب له، وسلم، وهو كذلك صلى الله عليه).

تنبيهات

(الأول) قال جامعها على هذا الوجه الحسن الجميل الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: هذا ما انتهى اليه جمع من اطلعت على جمعهم من الأئمة الأعلام، قد ذكر منها الامام الجزولي صاحب دلائل الخيرات مائتين وواحداً. قال شارحها وهي جمع الشيخ أبي عمران الزناتي أتى بها على ترتيبه ولفظه اهـ. ثم جاء بعده الحافظ السيوطي فجمع منها ثلاثمائة وبضعة[1] وأربعين اسماً وشرحها بكتاب سماه «الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة» صلى الله عليه وسلم. قال فيه: قال العلامة النووى في تهذيبه: وغالب الأسماء المذكورة إنما هي صفات كالعاقب والحاشر والخاتم، فإطلاق الاسم عليها مجاز. وفي المبهمات لابن عساكر: اذا اشتقت أسماؤه من صفاته كثرت جداً. قال السيوطي والذي وقفنا عليه من أسمائه

(١) في الطبعة الأولى: «وبضعاً». والصواب ما أثبت لان كلمة «بضع» معناها من ثلاثة إلى تسعة، فتخالف المعدود في التذكير والتأنيث.

صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وبضعة[1] وأربعون، وقسمها ثلاثة أقسام: الأول: ما ورد منها في القرآن بصريح الاسم وهي سبعة وسبعون اسماً، والثاني: ما ورد فيه بصيغة الفعل، وهي أربعة وأربعون اسماً، والثالث: ما ورد منها في الحديث والكتب القديمة، وهو نحو مائتين وثلاثين اسماً. قال: وله صلى الله عليه وسلم أربع كنى: أبو القاسم، أبو إبراهيم، أبو المؤمنين، أبو الأرامل ا هـ.

ثم إن الحافظ السخاوي جمع منها في كتابه (القول البديع) نحو أربعمائة وثلاثين اسماً. قال رحمه الله: قال ابن دحية في تصنيفٍ له مفرد في الأسماء النبوية: قال بعضهم: أسماء النبي صلى الله عليه وسلم عدد أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون اسماً، قال: ولو بحث عنها باحث لبلغت ثلاثمائة اسم. وأفاد مغلطاي أن عدة ما في الكتاب المذكور قريب من ثلاثمائة اسم. وعين ابن دحية في التصنيف المشار إليه أماكنها من القرآن والأخبار، وضبط ألفاظها وشرح معانيها واستطرد كعادته إلى فوائد كثيرة. وغالب الاسماء التي ذكرها وصف بها صلى الله عليه وسلم ولم يرد الكثير منها على سبيل التسمية. وقد نقل العربي في شرح الترمذي عن بعض الصوفية أن لله الف اسم ولرسوله ألف اسم. قال السخاوي: وقد جمعت منها ما وقفت عليه في كلام القاضي عياض وابن العربي وابن سيد الناس وأبي الربيع بن سبع، ومغلطاى، والشرف البارزي في توثيق عرى الإيمان، له، نقلاً عن أبيه، والبرهان الحلبي، وشيخنا يعني الحافظ ابن حجر، وغيرهم. ثم بعد أن سردها قال: فهذه تزيد على الأربعمائة بنحو الثلاثين، مع اني لم أرَ مصنف ابن دحية في ذلك ولا وقفت على من سبقني لجمعها وترتيبها، وقد كتبها عني جماعة وهي جديرة بأن تشرح ألفاظها في جزء،

(١) في الطبعة الاولى: «وبضع» والصواب ما أثبت لأن المعدود مذكر.

يسّر الله ذلك بمنّه وكأنّ من اقتصر على التسعة والتسعين أراد مناسبة عدد الأسماء الحسنى التي ورد بها الخبر. قال: ثم وقفت على كراسة للقاضي ناصر الدين ابن الميلق لخص فيها كتاب ابن دحية وأفاد أن لابن فارس في ذلك تصنيفاً سماه «المنبي في اسماء النبي» وجمع ابو عبدالله القرطبي أيضاً كتاباً في ذلك نظمه أرجوزةً وشرحها. ولعل عدة الاسماء التي اشتملت عليه تزيد على الثلاثمائة. قال السخاوي: إلا اني لم اقف عليه إلى الآن ا هـ.

ثم ذكرها تلميذه الإمام القسطلاني في «المواهب اللدنية» قائلاً، والذي رأيته في كلام شيخنا في(القول البديع)،والقاضي عياض في(الشفاء)، وابن العربي في القبس والأحكام، له، وابن سيد الناس وغيرهم يزيد على الاربعمائة وسردها كما سردها الحافظ السخاوي ولم يزد عليه إلاّ قليلاً. قال: والمراد الأوصاف، فكل الأسماء التي وردت أوصافُ مدح، وإذا كان كذلك فله صلى الله عليه وسلم من كل وصف اسم، ومنها ما هو مختص به أو الغالب عليه، ومنها ما هو مشترك ا هـ.

ثم أوصلها الحافظ شمس الدين الشامي تلميذ الحافظ السيوطي صاحب السيرة الشامية إلى نحو الثمانمائة أو أكثر، فزاد عليهم نحو النصف، وذكر الزيادة العلامة الزرقاني شارح المواهب مفرقةً عند شرحه للأسماء المذكورة في المواهب، وقد رتبوها، ما عدا صاحب الدلائل، على حروف المعجم معتبرين أوائل الاسماء، فجمعتها ورتبتها هنا كترتيبهم جامعةً لنحو ثمانمائة اسم.

(التنبيه الثاني): قال القاضي عياض: اعلم أن الله خص كثيراً من أنبيائه بكرامات خلعها عليهم من أسمائه كتسمية إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم وإبراهيم بحليم و نوحاًبشكور، وفضّل محمداً صلى الله عليه وسلم بأن حلاّه منها في كتابه وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها ثلاثون

اسماً، فمن أسمائه تعالى: الحميد ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده، ويكون أيضاً بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعة، وسمّي النبي صلى الله عليه وسلم محمداً وأحمد بمعنى محمود، وكذا وقع اسمه في زبور داود، وأحمد بمعنى أكبر من حمِدَ وأجلّ من حُمد. وقد أشار إلى هذا حسان بن ثابت بقوله:

أغرُّ عليه للنبوة خاتمٌ من الله من نورٍ يلوح ويُشهدُ
وضم الآله اسمَ النبي إلى آسمه إذا قال في الخمس المؤذنُ أشهدُ
وشَقّ له من اسمه ليجلَّه فذو العرش محمود وهذا محمد[1]

قال الحافظ السيوطي: والأسماءُ التي ذكر القاضي عياض أنها اجتمعت له هي: الأكرم. الأمين. الأول. الآخر. البشير. الجبار. الحق. الخبير. ذو القوة. الرؤوف. الرحيم. الشهيد. الشكور. الصادق. العظيم. العفو. العالم. العليم. العزيز. الفاتح. الكريم. المهيمن. المقدّس. المولى. الوليّ. النور. الهادي. طه. يس.

قال السيوطي: وقد وقع لنا زيادة على ذلك عدة أسماء وهي: الأحد. الأصدق. الأحسن. الأجود. الأعلى. الآمر. الناهي. الباطن. البرهان. الحاشر. الحافظ. الحفيظ. الحسيب. الحكيم. الحليم. الحييّ. الخليفة. الداعي. الرافع. الواضع. رفيع. الدرجات. السلام. السيد. الشاكر. الصابر. الصاحب. الظاهر. العدل. العلي. الغالب. الغفور. الغني. القائم. القريب. الماجد. المعطى. الناسخ. الناشر. الوفيّ. آلمر. آلمص. طس. طسم. حمعسق. كهيعص ا هـ.

قلت: وقد زاد عليها، من أسمائه تعالى الحافظ شمس الدين، الشامي، ونقلها عنه الزرقاني شارح المواهب. وقد تقدمت جميعها.

---

(١) ديوان حسان ٧٨ (ط. البرقوقي). ورواية عجز البيت الأول فيه: «من الله مشهود يلوح ويشهد». ومعنى (أغرّ) تحريم الأفعال.

(التنبيه الثالث): تقدّم أسماء عربية مذكورة في الكتب السماوية المبشرة به صلى الله عليه وسلم غير أسمائه السريانية والعبرانية والرومية التي تقدمت، ولعلها مترجمة عنها، فمنها: محمد وأحمد والماحي والمقفّي.

روى الحافظ السيوطي بالسند إلى ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمى في الكتب القديمة أحمدَ ومحمداً والماحي والمقفي ونبي الملاحم وحمطايا وفارقليطا وماذماذ ومنها الأكليل. ذكره العزفي وقال: قال في الزبور: إن الله أظهر نبياً من مكة إكليلاً محموداً، والإكليل التاج، وهو صلى الله عليه وسلم تاج الأنبياءِ ورأس الاصفياءِ.

ومنها: حامد. روي عن ابن إسحاق أنه قال: رأت أمه صلى الله عليه وسلم في منامها قائلاً يقول لها: إنك قد حملت بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدتيه فسميه محمداً، فإن اسمه في التوراة حامد وفي الإنجيل أحمد.

ومنها محمود. ذكره ابن دحية وغيره وقال: هو اسمه في الزبور. ومنها أُجيرٌ. ذكره الحافظ ابو العباس العزفي في مولده بالجيم والراءِ فقال: وفي بعض الصحف المنزلة اسمه أُجيرٌ يعني لأنه يجير أمته من النار. قال الحافظ السيوطي: ولم ارَ من ذكره غيره وأخشى أن يكون تصحيف الاسم الآتي بعده أي أحيد.

ومنها أحيد. ذكره القاضي في الشفاء وقال: اسمه في التوراة أحيد، أي يحيد أمته عن نار جهنم. ومنها حرز الأمّيين. روى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمّيين. قال ابن دحية: الحرز المنع، والأمّيون: العرب، أي يمنعهم من العذاب والذل.

ومنها الجبار. ذكره ابن دحية والقاضي عياض فيما سماه الله به من أسمائه، وقال: سماه الله به في كتاب داود فقال: تقلّد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشريعتك مقرونة بهيبة يمينك. ومنها: روح الحق. وروح القدس. ذكرهما ابن دحية وقال: وردا في الانجيل. ومنها: ركن المتواضعين. ونور الله الذي لا يطفأ. ذكرهما في كتاب شعيا، قال في وصفه صلى الله عليه وسلم من جملة كلام: يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأُ، أثر سلطانه على كتفه. ومنها راكب الجمل. ذكره ابن دحية وقال: ورد في كتاب نبوة شعيا وهو ذو الكفل عليه السلام أنه قال: قيل لي قم نظّارا فانظر ماذا ترى. فأخبر به فقلت: أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار، والآخر على جمل فنزل يقول لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها قال: فراكب الحمار عيسى عليه السلام، وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم،لأن ملك بابل إنما ذهب بنبوته وسيفه على يد أصحابه كما وعدهم به. قال الحافظ السيوطي: ولهذا قال النجاشي لما جاءَه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به اشهد أن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل.

ومنها: النبي الأمِي العربي، صاحب الجمل وصاحب المِدرعة، وصاحب التاج وصاحب النعلين وصاحب الهراوة. أخرج البيهقي في الدلائل عن مقاتل بن حيان قال: أوحى الله إلى عيسى بن مريم: جِدَّ في أمري ولا تهزل واسمع وأطع يا بْنَ الطاهرة البِكر البتول، إني خلقتك من غير فحل آيةً للعالمين، فإياي فاعبد، وعليّ فتوكل، بلّغ من بين يديك أني أنا الله الحي القيوم الذي لا أزول، صدقوا بالنبي الأمي العربي صاحبِ الجمل والمِدرعة والتاج والنعلين والهراوة، الجعدِ الرأس، الصَّلْتِ الجبين، المقرون الحاجبين الأنْجَل العينين، الأهدبِ الأشفار، الأدعج العين،

الأقنى الأنف، الواضح الخدين، الكثّ اللحية[1]، عرَقُه في وجهه كاللؤلؤ، ريح المسك ينفح منه.

قال ابن عساكر: إن قيل: لِمَ خَص بركوب الجمل وقد كان يركب الفرس والحمار، وبالهراوة وهي العصا، وقد كان غيره من الأنبياء يمسكها؟ فالجواب: أن المعنيَّ بها أنه من العرب لا من غيرهم لأن الجمل مَرْكب للعرب مختص بهم لا ينسب لغيرهم من الأمم، والهراوة كثيراً ما تستعمل في ضرب الإبل، فهما كنايتان عن كونه عربياً.

ومنها: صاحب السيف. ذكره ابن دحية وقال: إنه في الكتب المتقدمة. قلت: وتقدمت عبارة الزبور: تقلّد أيها الجبار سيفك. ومنها: صاحب السلطان. ذكره في الشفاء وقال: إنه من أسمائه في الكتب المتقدمة. ووقع في كتاب نبوة شعيا كما نقله ابن ظفر أثر سلطانه على كتفه كما تقدم. قال: وفي رواية العبرانيين بدل هذه على كتفه خاتم النبوة، فالمراد بالسلطان النبوة. ومنها: صاحب القضيب، ذكره في الشفاء، قال: والمراد السيف، وقع كذلك مفسراً في الإنجيل، قال: معه قضيب من حديد يقاتل به.

ومنها: صاحب الخاتم. قال الحافظ السيوطي: المراد به خاتم النبوة، وهو كان من علاماته صلى الله عليه وسلم التي يعرفه بها أهل الكتاب.

ومنها: صاحب لا آله إلا الله. قال الحافظ السيوطي: ومن صفته في التوراة: ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملّة العوجاء بأن يقولوا لا إلّه إلا الله.

---

(١) سيشرح المؤلف هذه الكلمات بالتفصيل في الصفحات القادمة.

ومنها: الضحوك، والقتّال، وراكب البعير. روى ابن فارس بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: اسمه في التوارة أحمد الضحوك قتّال يركب البعير ويلبس الشملة ويجتزىء بالكسرة، سيفه على عاتقه. وأخرج أحمد عن أبي الدرداء قال: لم أرَه صلى الله عليه وسلم يحدّث حديثاً إلا تبسم.

ومنها: العظيم. ذكره القاضي عياض وابن دحية، وقال: وقع في أول سِفر من التوراة: وستلد عظيماً لأمةٍ عظيمة. فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خُلق عظيم.

ومنها: العفوّ. ذكره القاضي عياض وابن دحية. وفي التوراة: ولكن يعفو ويصفح.

ومنها: الغفور. قال الحافظ السيوطي: أخذته من قوله في التوراة: ولكن يعفو ويغفر.

ومنها: الفارق. ذكره العزفي وقال: هو اسمه في الزبور، ومعناه: يفرق بين الحق والباطل.

ومنها: الفلاح. ذكره العزفي وقال: هو اسمه في الزبور.

ومنها القيّم. قال الحافظ السيوطي في كتب الأنبياء إنَ داود قال: اللهم ابعث لنا محمداً يُقيم السنة بعد الفترة. وقد يكون القيّم بمعناه.

ومنها: المتوكل. ذكره جماعة وهو اسمه في التوراة ونصها: أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل. والمتوكل: الذي يَكِل أمره إلى الله.

ومنها: مقيم السنة. ذكره القاضي عياض والعزفي وابن دحية، وقالوا: هو اسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور. قال داود: اللهم ابعث

لنا محمداً يقيم السنة بعد الفترة. قال السيوطي: وفي التوراة: ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملّة العوجاء بأن يقولوا لا إلّه إلا الله.

ومنها: الموصّل. قال السيوطي: ذكره العزفي وقال: اسمه في التوراة.

ومنها: الأمين، والصادق، واليتيم. قال العزفي، في مولده، عن وهب بن منبه: من اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة محمد أمين صادق يتيم، وكذا قال القاضي عياض إنه موصوف باليتيم في الكتب المتقدمة.

(التنبيه الرابع): جميع ما ذكرته هنا وفيما تقدم من الأسماء النبوية وتفسيرها والكلام عليها قد أخذته من المواهب اللدنّية للقسطلاني، وشرحها للزرقاني، والرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة للسيوطي، ولكني لم أتقيّد بترتيبهم. رضي الله عنهم، ونفعني ببركاتهم، وجعلني وإياهم من المقبولين عند الله تعالى وعند حبيبه الأعظم، وحشرنا تحت لوائه في زمرة أحبابه صلى الله عليه وسلم.

الباب الثاني

في الآيات القرآنية الواردة في فضائله

صلى الله عليه وسلم وتفسيرها من البيضاوي باختصار

قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيراً للمؤمنين وَنذِيراً للكافرين﴾.

وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ ويُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. قبل هذه الآية قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ، رَبَّنَا وٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ، رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً﴾ إلى آخر الآية السابقة. قال: ولم يبعث الله تعالى من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما، كما قال صلى الله عليه وسلم: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي».

وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ أي خياراً أو عدولاً مزكَّيْن بالعلم والعمل. ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ

ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾. روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ، وهو أعلم بهم، إقامةً للحجة على المنكرين، فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون، فيقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيُسأل عن حال أمته فيشهد بعد التهم.

وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾. أي يحملكم على ما تصيرون به أزكياء ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً ﴿تِلْكَ آيَاتُ ٱللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾. أي بالوجه المطابق الذي لا يشكّ فيه أهل الكتاب وأرباب التواريخ ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

وقال تعالى في سورة آل عمران ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ﴾المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركَ فيه بحيث يحملها على ما يقرّبها إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله، وبالله، لم يكن حبه إلا لله وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقرب إليه، فلذلك فُسرت المحبة بإدارة الطاعة، وجُعلت مستلزمة لاتّباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته «فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» أي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرطَ منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه ﴿والله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال تعالى في سورة آل عمران أيضاً: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ﴾

قيل إنه على ظاهره، وإذا كان هذا حكم الأنبياءِ كان الأمم به أولى. وقيل: معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ: أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ والإصر: العهد. ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا. قَالَ: فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾.

وقال تعالى في سورة آل عمران أيضاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ أي فبرحمة. وما: مزيدة للتأكيد ﴿مِنَ ٱللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً﴾ أي سيّء الخلق جافياً ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي قاسيه ﴿لَٱنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشَاوِرْهُمْ في الأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ، إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾. وقال الله تعالى في سورة آل عمران أيضاً: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي من نسبهم أو من جنسهم عربياً مثلهم يفهم كلامهم بسهولة، ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به، وقيل: من أَنْفَسهم، أي أشرفهم، لأنه عليه الصلاة والسلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والاعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ﴾ أي القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي السنة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وقال الله تعالى في سورة النساءِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يعني بنبيهم ﴿وجِئْنَا بِكَ عَلَى هٰؤُلَاءِ شهِيداً﴾ أي تشهد على صدق هؤُلاءِ الشهداء وهم أنبياؤهم. وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي اختلف واختلط ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ﴾ أي ضِيقاً مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله، فان الشاكّ في ضيقٍ من أمره ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ أي ينقادوا إليك انقياداً بظاهرهم وباطنهم.

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً ﴿مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ﴾ لأنه عليه الصلاة والسلام في الحقيقة مبلّغ، والآمر هو الله. روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله. وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَاكَ ٱللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ أي لا تكن لأجل الخائنين خصيماً للأبرياء. وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿وَأَنْزَلَ ٱللهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ أي من خفيّات الأمور، أو من أمور الدين والأحكام ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ إذ لا فضل أعظم من النبوة.

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ خصّ هؤلاء الرسل بالذكر تعظيماً لهم فإن ابراهيم أول أُولي العزم منهم، وعيسى آخرهم، والباقين أشراف الأنبياء ومشاهيرهم. وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿لٰكِنِ ٱللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ﴾ أي من القرآن المعجز الدال على نبوتك ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ وهو العلم بتأليفه على نظمٍ يعجز عنه كل بليغ ﴿وَٱلْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً بنبوتك ﴿وَكَفَى بِٱللهِ شَهِيداً﴾ وكفى ما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره.

وقال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ من ٱلْكِتَابِ﴾ أي كنعت محمد صلى الله عليه وسلم، وآية الرجم في التوارة، وبشارة عيسى بأحمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ ٱللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ أي القرآن، فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز

وقيل يريد بالنور محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ أي من أنواع الكفر إلى الاسلام ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أيْ طريق هو أقرب الطرق الى الله تعالى ومؤدٍّ إليه لا محالة.

وقال تعالى في سورة المائدة أيضاً يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رسولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ﴾. أي يبيّن لكم الدين على انقطاع زمن الوحي كراهة أن تقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير لا تعتذروا ﴿فَقَد جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على الإرسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي، وعلى الإرسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام بينهما ستمائة سنة وأربعة أنبياء، ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي. وفي الآية امتنان عليهم بأن بُعث صلى الله عليه وسلم إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكون إليه.

وقال تعالى في سورة المائدة أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي عِدَة وضمان من الله بعصمته وحفظه من تعرض الأعادي.

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ، وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع أميّته إحدى معجزاته ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ﴾ أي اسماً وصفة «يَأْمُرُهُمْ بِٱلمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾. أصل الاصر الثقل ومعناه هنا ما كُلّفوا به من التكاليف الشاقّة ﴿وَٱلأَغْلاَلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، فَٱلَّذِينَ

آمَنُوا بِهِ وعزَّرُوهُ﴾ أي عظّموه ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي القرآن وانما سماه نوراً لأنه باعجازه كاشف الحقائق ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلمُفْلِحُونَ﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف أيضاً قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الثقلين وسائرُ الرسل إلى أقوامهم ﴿ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللهُ وَٱللهُ خَيْرُ ٱلمَاكِرِينَ﴾. تذكار لما مكر قريش به صلى الله عليه وسلم حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم، والمعنى: وإذكر إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ بالوثاق والحبس والإثخان بالجرح أَوْ يَقْتُلُوكَ بسيوفهم أَوْ يُخْرِجُوكَ من مكة.

وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومتابعتهم فَرِقوا[1] فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال: أنا من نجد سمعت اجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً فقال أبو البَخْتَري[2]: رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدّوا منافذه غير كوّة تُلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت. فقال الشيخ: بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم. فقال هشام بن عمرو: رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضرّكم ما صنع.

---

(١) فرق، بفتح فكسر: خاف.

(٢) من أشراف قريش، اسمه العاص بن هشام. وورد في الطبعة الأولى بالحاء «أبو البحتري» وهو تصحيف.

فقال: بئس الرأي، يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم. فقال أبو جهل: أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاماً وتعطوه سيفاً صارماً فيضربوه ضربةً واحدةً فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل[1] عقلناه. فقال: صدق هذا الفتى. فتفرقوا على رأيه.

فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيّت علياً رضي الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى الغار ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللهُ﴾ بردّ مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر وقلّل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقُتلوا ﴿وَٱللهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ﴾ إذ لا يُؤبه بمكرهم دون مكره. وإسناد أمثال هذا إلى الله إنما يحسن للمزاوجة، ولا يجوز إطلاقها ابتداءً لما فيه من إيهام الذم.

وقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾. في هذه الآية بيان لما كان الموجب لإمهالهم وللدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال، والنبي عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم خارج عن عادته.

وقال تعالى في سورة التوبة ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَى وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ الضمير في قوله ﴿ليظهره﴾ للدين الحق أو للرسول عليه الصلاة والسلام، واللام في «الدين» للجنس، أي على سائر الأديان فينسخها، أو على أهلها فيخذلهم.

وقال تعالى في سورة التوبة أيضاً إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللهُ أي: إن

---

(١) العقْل: مصدر عقل القتيلَ: اعطى وليّه ديته.

لم تنصروه فقد أوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾. والغار نقبٌ في أعلى ثور، وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة، مكثا فيه ثلاثة أيام، هو وصاحبه أبو بكر الصديق ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أي بالعصمة والمعونة. روي أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام: ما ظنُّك باثنينِ الله ثالثهما، فأعماهم الله عن الغار، فجعلوا يترددون حوله فلم يروه، ولما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله، والعنكبوت فنسجت عليه، ﴿فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾. أي أمنته التي تسكن عندها القلوب ﴿عَلَيْهِ﴾ أي على النبي أو على صاحبه، وهو الأظهر، لأنه كان منزعجاً ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ أي الملائكة، أنزلهم ليحرسوه في الغار أو ليعينوه يوم بدر والأحزاب وحنين ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَى﴾ كلمة الكفر أي الشرك ﴿وَكَلِمَةَ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ كلمة الله التوحيد ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِين يُؤْذُون ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ يسمع كل ما يقال له ويصدقه. روي أنهم قالوا: محمد أذن سامعة، نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول. ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ تصديق لهم بأنه أُذن، ولكن لا على الوجه الذي ذمّوا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يصدّق به لما قام عنده من الأدلة ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويصدقهم لما علم من خلوصهم ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾. لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقال تعالى في سورة التوبة أيضاً: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ

﴿أَنْفُسِكُمْ﴾. أي من جنسكم. وقرىء: مِن أنفَسكم، أي من أشرفكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ أي شديد شاقّ ﴿ما عَنِتُّمْ﴾ عنَتُكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾. أي على إيمانكم وصلاح شأنكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ والرؤوف أبلغ لأن الرأفة شدّة الرحمة.

وقال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا: لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِٱللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾. فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهدٍ يشهد عليها ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ﴾ أي علْم القرآن وما أُلِّف عليه من النظم المعجِز أو علْم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه.

وقال تعالى في سورة الحجْر: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ أي بعمرِك قسم بحياة المخاطب، وهو النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِم﴾. أي غوايتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون.

وقال تعالى في سورة الحجر أيضاً ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ ٱلْمَثَانِي﴾ أي سبع آيات، وهي الفاتحة، وقيل سبع سور وهي الطوال، وسابعتها الأنفال والتوبة فإنها في حكم سورة، ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية، وقيل غير ذلك، من المثاني: بيان للسبع. والمثاني: من التثنية أو الثناء، تكرر قراءته ويثنى عليه بالبلاغة، ويثنى به على الله بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى ﴿وَٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

وقال تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَنْـزَلْنَا إِلَيْـكَ ٱلذِّكْـرَ﴾ أي القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقال تعالى في سورة النحل أيضاً ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من التوحيد والقدَر وأحوال المعاد وأحكام الافعال ﴿وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقال تعالى في سورة النحل أيضاً: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني نبيهم، فإن نبيّ كل أمةٍ بُعث منهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ أي يا محمد ﴿شهيداً على هؤلاءِ﴾ أي على أمتك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي من أمور الدين على التفصيل أو الإجمال بالإحالة إلى السنة أو القياس ﴿وَهُدىً وَرَحْمَةً﴾ أي للجميع، وانما حرمان المحروم من تفريطه ﴿وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ خاصة.

وقال تعالى في سورة النحل أيضاً: ﴿أُدْعُ﴾ أي من بعثت إليهم ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ أي إلى الاسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالمقالة المحكمة، وهي الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة ﴿وَالْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ الخطابات المقنعة والعِبَر النافعة، والأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق، والثانية لدعوة عوامّهم ﴿وَجَادِلْهُمْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات التي هي أشهر، فان ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي إنما عليك البلاغ والدعوة، وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم.

وقال الله تعالى في سورة الإسراءِ: ﴿سُبْحَانَ﴾ كلمة تنزيه كالتسبيح، ﴿ٱلَّذِي أَسْرَى﴾ وأسرى وسرَى بمعنىً. ﴿بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي مسجد مكة ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى﴾ أي مسجد بيت المقدس ﴿ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أي ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبَّد الأنبياء ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر، ومشاهدته بيت المقدس، وتمثل الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام له، ووقوفه على مقاماتهم ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وقال تعالى في سورة الإسراءِ أيضاً: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ المشهور أنه مقام الشفاعة، لما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنهُ عليه الصلاة والسلام قال: هو الذِي أشفع فيه لأمتي، ولإشعاره أن الناس يحمدونه لقيامه فيه، وما ذاك إلا مقام الشفاعة.

وقال تعالى في سورة الإسراءِ أيضاً:﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً﴾ أي كإرساله صلى الله عليه وسلم، وإنزال الكتاب عليه، وإبقائه في حفظه.

وقال تعالى في سورة الإسراء أيضاً: ﴿وَبِٱلْحَقِ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي وما أنزلنا القرآن إلا بالحق المقتضي لإنزاله ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي وما نزل إلا بالحق الذي اشتمل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً﴾ أي للمطيع بالثواب ﴿وَنَذِيراً﴾ أي للعاصي من العقاب فلا عليك إلا التبشير والانذار.

وقال تعالى في سورة طٰهٰ: ﴿طٰه﴾ قيل: معناه يا رجل ﴿ما أَنْـزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ أي لتتعب بفرط تأسفك على كفار قـريش، إذ ما عليك إلا أن تبلّغ، أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجـد والقيام على سـاق، والشقاء شائع بمعنى التعب.

وقال تعالى في سورة طٰه أيضاً: ﴿كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أي من أخبار القرون الماضية والأمم الدارجة تبصرةً لك وزيادة في عملك وتكثيراً لمعجزاتك وتنبيهاً وتـذكيراً للمستبصـرين من أمتك ﴿وَقَـدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً﴾ كتاباً مشتملاً على هذه الأقاصيص والأخبار حقيقـاً بالتفكر والاعتبار. وقيل: ذكراً جميلاً وصيتاً عظيماً بين الناس.

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي لأن ما بعث به صلى الله عليه وسلم سبب لإسعادهم، ومـوجب لصلاح

معاشهم ومعادهم، وقيل: كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال.

وقال الله تعالى في سورة الحج: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي أوضح لكم ما أنذركم به.

وقال تعالى في سورة الحج أيضاً: ﴿وَٱدْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي إلى توحيده وعبادته ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾ أي طريق إلى الحقّ سويّ.

وقال تعالى في سورة الحج أيضاً: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾. أي يوم القيامة بأنه قد بلّغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتماداً على عصمته صلى الله عليه وسلم ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتبليغ الرسل إليهم.

وقال الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ٱلْقَوْلَ﴾ أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم بإعجاز لفظه ووضوح مدلوله ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَائَهُمُ ٱلأَوَّلِينَ﴾ من الرسل والكتاب ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بالأمانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم، إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياءِ ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلاً وأتقنهم نظراً ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم، فلذلك أنكروه ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ بان كان في الواقع آلهة شتى ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾. كما قال تعالى: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أي بالكتاب الذي فيه ذكرهم ووعظهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ لا يلتفتون إليه. ﴿أَمْ تَسأَلُهُمْ خَرْجاً أجراً على أداء الرسالة ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ رزقه في الدنيا، أو ثوابه في العقبى ﴿خَيْرٌ﴾ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ. وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ تشهد العقول السليمة على استقامته، لا عِوج فيه يوجب اتهامهم له. واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة وأزاح العلة في هذه الآيات بأن حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام وبيّن انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة.

وقال الله تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون في الايمان ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ﴾ من صميم قلوبهم ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم، واعتباره في كمال الايمان لأنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق، فان ديدنه التسلل والفرار، ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام بغير إذنه، أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ﴾ فإنه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة وأن الذاهب بغير إذن ليس كذلك ﴿فَإِنِ ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ ما يعرض لهم من المهام ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ تفويض للأمر، إلى رأي الرسول عليه الصلاة والسلام، واستُدِلّ به على أن بعض الأحكام مفوّضة إلى رأيه عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللهَ﴾ بعد الإذن، فإن الاستئذان ولو لعذرٍ قصور، لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لفرطات[1] العباد ﴿رَحِيمٌ﴾ بالتيسير عليهم ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاءِ بعضكم بعضاً في جواز الإعراض والمساهلة في الإجابة والرجوع بغير إذن، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة، والمراجعة بغير إذنه محرمة. وقيل: لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفْع الصوت به والنداء وراء الحجرة، ولكن بلقبه المعظّم مثل: يا نبي الله،ويا رسول الله، مع

(١) فَرَطَ في الأمر: قصَّرَ فيه وضَيَّعَهُ حتى فات اهـ. مصححة.

التوقير والتواضع وخفض الصوت، أوْلا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه، فان دعاءه موجب، أوْلا تجعلوا دعاءه ربَّه كدعاء صغيركم كبيرَكم يجيبه مرة ويردّه أخرى، فان دعاءه مستجاب «قَدْ يَعْلَمُ ٱللهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ﴾ ينسلّون قليلاً قليلاً من الجماعة ﴿لِوَاذاً﴾ ملاوذةً بأن يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج أو يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كأنه تابعه ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتاً(١) خلاف سمته، أو يصدون عن أمره دون المؤمنين والضمير لله فإن الأمر له في الحقيقة أو للرسول فانه المقصود بالذكر ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في ٱلآخرة﴾.

وقال الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عبدِهِ﴾ تكاثَر خيره، من البركة: وهي كثرة الخير، أو تزايَد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، فان البركة تتضمن معنى الزيادة، وترتيبه على إنزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير. والفرقان: القرآن لفصله بين الحق والباطل وعبده رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن ﴿نَذِيراً﴾ منذراً.

وقال تعالى في سورة الفرقان أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً للمؤمنين وَنَذِيراً للكَافِرِينَ﴾.

وقال الله تعالى في سورة النمل: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْآنَ﴾ لَتؤتاه ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أيِّ حكيم وايِّ عليم، والجمع بينهما، مع أن العلم داخل في الحكمة، لعموم العلم، ودلالة الحكمة على إتقان الفعل والإشعار بأن علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك كالقصص والإخبار عن المغيبات.

---

(١) السَّمْتُ: هيئة أهل الخير اهـ. مصححة.

. وقال تعالى في سورة النمل أيضاً: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ﴾ ولا تبالِ بمعاداتهم ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره.

وقال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى. وقرىء: آيات ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَاتُ عِنْدَ ٱللهِ﴾ ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته بما أعطيتُ من الآيات ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ آية مغنية كما اقترحوه ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ تدوم تلاوته عليهم متحدّثين به فلا يزال معهم آيةً ثابتة لا تضمحل، بخلاف سائر الآيات، أو يتلى عليهم يعني اليهود، بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة بينة ﴿لَرَحْمَةً﴾ لنعمة عظيمة ﴿وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وتذكرة لمن همّه الإيمان دون التعنت.

وقال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَى بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي في الأمور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس، فلذلك أطلق، فيجب أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ عليهم من أمرها، وشفقته عليهم اتم من شفقتها عليهم ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم، وفيما عدا ذلك فكالأجنبيات.

وقال الله تعالى في سورة الأحزاب أيضاً: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً﴾ أي عهدهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم ﴿غَلِيظاً أي عظيم الشأن﴾.

وقال تعالى في سورة الأحزاب أيضاً: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾. أي على الحقيقة فيثبت بينه وبين الأحد ما بين الوالد والولد من حرمة المصاهرة وغيرها، ولا ينتقض عمومه لكونه صلى الله عليه وسلم أباً للطاهر الطيب والقاسم وإبراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله صلى الله عليه وسلم لا رجالهم ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ آللهِ﴾ وكل رسولٍ أبو أمته لا مطلقاً بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم ﴿وَخَاتِمَ آلنَّبِيِّينَ﴾ آخرهم الذي ختمهم، ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دينه ﴿وَكَانَ آللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.

وقال تعالى في سورة الأحزاب أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا آلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ أي على من بُعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم ﴿وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى آللهِ﴾ أي إلى الله به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي بتيسيره ﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ يستضاء به عن ظلمات الجهالة وتقتبس من نوره أنوار البصائر.

وقال تعالى في سورة الأحزاب أيضاً: إِنَّ آللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى آلنَّبِيِّ﴾ أي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه ﴿يَا أَيُّهَا آلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ أي اعتنوا انتم أيضاً. فإنكم أولى بذلك، وقولوا: اللهم صلّ على محمد ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ وقولوا: السلام عليك أيها النبي. وقيل: وانقادوا لأوامره. والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة. وقيل: تجب الصلاة كلما جرى ذكره صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى في سورة الأحزاب أيضاً: ﴿إِنَّ آلَّذِينَ يُؤْذُونَ آللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي أي يؤذون رسول الله بكسر رعايته وقولهم: شاعر ومجنون ونحو ذلك، وذكر الله للتعظيم له ﴿لَعَنَهُمُ آللهُ﴾ أبعدهم من رحمته ﴿فِي آلدُّنْيَا وَآلآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً

مُهِيناً﴾ يهينهم مع الايلام.

وقال الله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ويعلم أولوا العلم من الصحابة ومَن شايعهم من الامة أو من مسلمي أهل الكتاب ﴿ٱلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى.

وقال تعالى في سورة سبأ أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ أي إلا إرسالةً عامة لهم.

وقال الله تعالى في سورة يس: ﴿يٰس﴾ قيل معناه: يا إنسان ﴿وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ والصراط المستقيم هنا التوحيد والاستقامة في الأمور.

وقال تعالى في سورة صۤ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ أي على القرآن أو على تبليغ الوحي ﴿وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي المتصفين بما ليسوا من أهله، على ما عرفتم من حالي، فأنتحلُ النبوة وأتقوّل القرآن.

وقال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللهَ مُخْلِصاً لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي ممحضاً له الدين من الشرك والرياء.

وقال تعالى في سورة الزمر أيضاً: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللهَ مُخْلِصاً لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أو موحداً له ﴿وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدَّمهم في الدنيا والآخرة، لأن إحراز قصب السبق في الدّين بالإخلاص، أو لأنه صلى الله عليه وسلم أول من أسلم وجهه لله من قريش.

وقال تعالى في سورة الزمر أيضاً: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي لأجل الناس، فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم.

وقال الله تعالى في سورة غافر: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ ٱلْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي﴾ أي من الحجج والآيات، أو من الآيات، فإنها مقوية لأدلة العقل منبهة عليها ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ أي أنقاد له وأخلص له ديني.

وقال الله تعالى في سورة الشورى: ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ فلأجل ذلك التفرق أو الكتاب أو العلم الذي أوتيته ﴿فَٱدْعُ﴾ إلى الاتفاق على الملة الحنيفية أو الاتباع لما اوتيت ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ واستقم على الدعوة كما أمرك الله تعالى.

وقال الله تعالى في سورة الزخرف: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ من الآيات والشرائع ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا عوج له.

وقال الله تعالى في سورة الجاثية: ﴿تِلْكَ آيَاتُ ٱللهِ﴾ أي تلك آيات دلائله ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي بعد آيات الله أو بعد حديث الله وهو القرآن وآياته دلائله المتلوة أو القرآن.

وقال تعالى في سورة الجاثية أيضاً: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ أي طريقة ﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي أمر الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾ فاتبع شريعتك الثابتة الحجج ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا تتبع آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش.

وقال الله تعالى في سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ وعد بفتح مكة عظمها الله، والتعبير عنه بالماضي لتحققه، وقيل غير ذلك ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ جميع ما فرط منك مما يصح أن يعاتب عليه ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ باعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة

﴿وَيَنْصُرَكَ آللهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾ نصراً فيه عز ومنعة.

وقال تعالى في سورة الفتح أيضاً: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِآللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي تقووه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تعظموه وَتُسَبِّحُوهُ تعالى ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي غدوةً وعشياً.

وقال تعالى في سورة الفتح أيضاً: ﴿إِنَّ آلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ والمبايعة المعاهدة ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ آللهَ﴾ لأنه سبحانه وتعالى هو المقصود بمبايعة النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال: ﴿يَدُ آللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

وقال تعالى في سورة الفتح أيضاً: ﴿هُوَ آلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِآلْهُدَى وَدِينِ آلْحَقِّ﴾ أي دين الاسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى آلدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقاً وإظهار فساد ما كان باطلاً، أو بتسليط المسلمين على أهله إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون ﴿وَكَفَى بِآللهِ شَهِيداً﴾.

وقال تعالى في سورة الفتح أيضاً: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ آللهِ وَآلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى آلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ آللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ﴾ والسيما: العلامة ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ آلسُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي آلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي آلْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ وشطء الزرع فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي قوّاه ﴿فَآسْتَغْلَظَ فَآسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ آلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ آلْكُفَّارَ وَعَدَ آللهُ آلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا آلصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً.

وقال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا آلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ آللهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي لا تقدّموا أمراً أو لا تتقدموا، والمعنى: لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكم به الله ورسوله. وقيل: المراد بين يدي رسول الله

وذكر الله تعظيماً له ﴿وَٱتَّقُوا الله إِنَّ ٱلله سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ أي إذا كلمتموه فلا تجاوزوا أصواتكم عن صوته ﴿وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته مراعاة للادب، وقيل: معناه لا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضاً وخاطبوه بالنبي والرسول ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ لأنّ في الرفع والجهر استخفافاً قد يؤدي إلى الكفر المحبط، وذلك إذا ضم إليه قصد الإهانة وعدم المبالاة ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾.

وقال تعالى في سورة الحجرات أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ أي يخفضونها ﴿عِنْدَ رَسُولِ ٱلله أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱلله قُلُوبَهُمْ﴾ أي جربها ومرنها عليها ﴿لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ. إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ﴾ أي الغرفات، وهي هنا حُجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَٱلله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال الله تعالى في سورة الطّور: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك. وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ.

وقال الله تعالى في سورة النجم: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ أقسم تعالى بجنس النجوم أو الثريا ﴿إِذَا هَوَى﴾ سقطَ وغاب ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ أي ما عدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيمة ﴿وَمَا غَوَى﴾ أي وما اعتقد باطلا. وٱلخطاب لقريش ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى﴾ أي ما ينطق عن هواه ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي الذي ينطق به ﴿إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ أي يوحيه الله إليه ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَى﴾ ملك شديدٌ قواه وهو جبرائيل ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ حصافة في

عقله ورأيه ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها. قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في السماءِ ومرة في الأرض ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي أفق السماء. ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ أي ثم تدلى من الأفق فدنا من الرسول ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي مقدارهما، وقابا القوس جانباه المتقابلان تحت معقد الوتر ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي أقرب ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ أي ببصره من صورة جبريل، أو الله تعالى. والمعنى لم يكن تخيلاً كاذباً ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أي أفتغلبونه في المراء ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي مرة أخرى ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ﴾ التي ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم، أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ الجنة التي يأوى إليها المتقون ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ تعظيم وتكثير لما يغشاها، وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي وما تجاوزه بل أثبته إثباتاً صحيحاً مستيقناً ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج.

وقال الله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ أي تصدّقوا قدّامها. وفي هذا الأمر تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام وانتفاع الفقراء والنهي عن الإفراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا. واختُلف في أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله: أأشفقتم. وهو وإن اتصل به تلاوةً لم يتصل به نزولاً. وعن علي رضي الله تعالى عنه: إن في كتاب الله آيةً ما عمل بها أحد غيري، كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم. وروي أنه لم يبق حكم هذه الآية إلا عشراً وقيل إلا

ساعةً ﴿ذٰلِكَ﴾ أي ذلك التصدق ﴿خَيْرٌ لَكُمْ وأَطْهَرُ﴾ أي لأنفسكم من الزينة وحب المال ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال الله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ وما أعطاكم من الفيء أو من الأمر فخذوه لأنه حلال لكم، أو فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ أي عن أخذه أو عن اتيانه ﴿فَٱنْتَهُوا﴾ عنه ﴿وَٱتَّقُوا ٱللهَ﴾ في مخالفة رسوله ﴿إِنَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وقال الله تعالى في سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني محمداً عليه الصلاة والسلام. والمعنى ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه، فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبيّ الذي هو خاتم المرسلين.

وقال الله تعالى في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ﴾ أي في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ أي من جملتهم أمياً مثلهم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ مع كونه أمياً مثلهم لم يعلم منه قراءة ولا تعلم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من خبائث العقائد والاعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي القرآن والشريعة، أو معالم الدين من المنقول والمعقول، ولو لم يكن له سواه معجزةً لكفاه ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وقال الله تعالى في سورة الطلاق: ﴿قَدْ أَنْزَلَ ٱللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً﴾ يعني بالذكر محمداً عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه ﴿عَلَيْكُمْ آيَاتِ ٱللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلى ٱلنُّورِ﴾ من الضلالة إلى الهدى.

وقال الله تعالى في سورة التحريم: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي وإن

تظاهرا عليه بما يسوؤه ﴿فَإِنَّ الله مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين، فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين[1] قرينه، ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه ﴿وَٱلْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه.

وقال الله تعالى في سورة التحريم أيضاً: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أي على الصراط يقولون إذا طفىء نور المنافقين ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم، فيسألون إتمامه تفضلاً.

وقال الله تعالى في سورة نٓ ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي ما أنت بمجنون منعماً عليك بالنبوة وحصافة الرأي ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي مقطوع أو ممنون به عليك من الناس، فانه تعالى يعطيك بلا توسط ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله أمثالك. وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خُلقه صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان خُلقه القرآن، ألست تقرأ القرآن: قد أفلح المؤمنون.

وقال الله تعالى في سورة التكوير ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ أي النبي صلى الله عليه وسلم، والأوصاف السابقة لجبريل عليه السلام والمقصود منه نفي قولهم: إنما يعلمه بشر، افترى على الله كذباً أم به جِنّة، لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما، يعني أن القرآن جاء به عن الله تعالى ملك وهو جبريل عليه السلام موصوف بهذه الأوصاف الجليلة، وتلقاه عنه رسول الله

---

(١) الكرُوبِّيون: سادة الملائكة.

الذي ليس بمجنون حتى لا يُحسن ضبط ما يتلقاه من الوحي عن جبريل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ أي رأى رسولُ الله جبريلَ ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي بمطلع الشمس الأعلى ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي وما محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي على ما يخبر به من الوحي إليه وغيره من الغيوب ﴿بِضَنِينٍ﴾ أي بمتّهم، وحينئذٍ يعلم أن هذا القرآن هو كلام الله بيقينٍ لم يحصل فيهِ أدنى تبديل لكمال أهلية الملَك المبلّغ وأهلية الرسول المتلّقى، ويدل على أن هذا هو معنى الآية قوله تعالى في الآية التي بعدها: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ هو نفي لقولهم: إنه لكهانة وسحر ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ استضلال لهم فيما يسكلونه في أمر الرسول والقرآن ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾. فقوله ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾. تأكيد للمقصود من قوله: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ رداً على قولهم: أم به جِّنة.

يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: ليس المقصود من هذه الآيات تعداد فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، وجبريل عليه السلام حتى يقال لِمَ وصف الله جبريل بعدة أوصاف جميلة واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل المقصود هو تحقيق كون القرآن من كلام الله تعالى، وإنما وصف جبريل بعدة اوصاف جميلة تدفع الاشتباه في القرآن لكونه هو المتلقى له عن الله تعالى، أي فهو وارد من قول ملَك تلقاه عن الله تعالى صفاتُه كذا وكذا وما هو بقول شيطان رجيم كما زعموا، فاحتاج الأمر في جبريل عليه السلام لزيادة الأوصاف الجميلة، واقتُصر في جانب النبي صلى الله عليه وسلم، على نفي الجنون الذي زعموه، لأن ذلك كافٍ في حسن ضبط ما يتلقاه من القرآن عن جبريل عليه السلام مع علمهم بوفور عقله وكمال ذكائه وكثرة فضله واتصافه بسائر أوصاف الكمال، وانما كان شكهم في أن هذا القرآن من قول شيطان رجيم، فنفى الله ذلك عنه وأثبت له العقل بنفي الجنون فقط لعدم الحاجة

إلى أوصاف جميلة أخرى يصفه بها كما وصف جبريل لأن أوصافه الجميلة معلومة عندهم بخلاف جبريل فإنهم لا علم لهم به قبل ذلك.

واعلم أن من تتبع القرآن وجد فيه مواضع كثيرة ردّ الله بها على المشركين ما زعموه تعنّتاً وجهلاً من كونه من أساطير الأولين أو تنزّلت به الشياطين ونحو ذلك من افتراءاتهم ومكابراتهم، وقد وصف الله تعالى نفس القرآن بكمال الإعجاز بحيث لو اجتمع جميع الخلق على أن يأتوا بمثل سورة منه لعجزوا عن ذلك، ووصف جبريل عليه السلام الذي تلقاه عنه تعالى بأكمل الاوصاف التي تقتضي صحة ما تلقاه في سورة التكوير وغيرها، كسورة النجم في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ الآيات، ونفى عن النبي صلى الله عليه وسلم، الأوصاف التي يحصل معها الاشتباه في صحة كلامه تعالى الذي تلقاه عن جبريل، كالجنون، فنفاه عنه صلى الله عليه وسلم، في سورة التكوير وغيرها كسورة نٓ بقوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ وأثبت له فيها أحسن الاوصاف بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ونفى عنه في سورة النجم الضلال والغيّ والنطق عن الهوى بقوله تعالى: ﴿ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ كل ذلك لشدة اعتناء الحق سبحانه وتعالى في إثبات كون القرآن كلامه القديم، ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

ومن هنا تعلم أن كثرة أوصاف سيدنا جبريل عليه السلام الجميلة في هذا المعرض ونفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم فقط لا يمنع من كونه صلى الله عليه وسلم أفضل من سيدنا جبريل عليه السلام ومن الخلق أجمعين. كما أجمعت على ذلك أمته التي لا تجتمع على ضلالة، سوى بعض ضُلَّال المعتزلة الذين لا يعتدّ بخلافهم، مع أن الجم الغفير من المفسرين ذهبوا ـ كما في الانتصاف على الكشاف ـ إلى أن المراد بالرسول

الكريم هاهنا إلى آخر النعوت محمد صلى الله عليه وسلم. ودلائل أفضلية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، على سيدنا جبريل كثيرة لا تحصى، ومن أصحّها وأوضحها وقوف سيدنا جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى ليلة المعراج، وتقدّم النبي صلى الله عليه وسلم، وحده إلى أعلى مقام سمع فيه صريف الأقلام، إلى آخر ما هو معلوم في ذلك من الكلام.

ومما ظهر لي ولم أرَه لأحد، مما يدل على أفضلية نبينا على جبريل كونه صلى الله عليه وسلم: كثيراً ما كان يخاطبه عليه السلام بقوله: يا أخي يا جبريل، فهذا ملاطفةٌ منه صلى الله عليه وسلم له عليه السلام، كما جرت العادة في مخاطبة الكبير لمن هو دونه على وجه الملاطفة والمؤانسة والبر والتواضع، ولو كان صلى الله عليه وسلم دونه لخاطبه بقوله يا سيدي يا جبريل، كما يقتضيه الأدب في مخاطبة الصغير للكبير في العادة الجارية في مخاطبات الناس بعضهم بعضاً، ولو قال عندهم الصغير لمن هو أكبر منه قدراً: يا أخي يا فلان لحسبوه من سوء الأدب، وإنما أطلت الكلام في هذا المقام لرفع الشكوك والأوهام ودفع مازل به صاحب الكشاف ونعوذ بالله من زلة الاقدام.

وقال الله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي ما قطعك قطْع المودّع ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي ما أبغضك ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ فإنها باقية خالصة من الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضارّ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ أي من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين وما ادخره له مما لا يعرف كنهه سواه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾ تعديد لما أنعم عليه، تنبيهاً على أنه كما أحسن إليه فيما مضى، يُحسن إليه فيما يستقبل ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ أي عن علمَ الحِكَم والاحكام ﴿فَهَدَىٰ﴾ فعلّمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر. وقيل: وجدك

ضالاً في الطريق حين خرج بك أبو طالب إلى الشام أو حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردّك على جدك ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيراً ذا عيال ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ بما حصل لك من ربح التجارة ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي فلا تغلبه أو تعبس في وجهه ﴿وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي لا تزجر ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فإن التحدث بها شكرها. وقيل المراد بها النبوة والتحدث بها تبليغها.

وقال الله تعالى في سورة ألم نشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائباً حاضراً. أو: ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحِكَم وأزلنا عنه ضيق الجهل. أو: بما يسرنا لك تلقّي الوحي بعدما كان يشقّ عليك. وقد صح الحديث أن جبريل عليه السلام شقّ صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيمانا وحكمة ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ أي عِبْأك الثقيل ﴿ٱلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي أثقله، وهو ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن إرشادهم أو من إصرارهم وتعدّيهم في إيذائه صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى الإيمان ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بالنبوة وغيرها، وأيُّ رفع مثلُ أن قرَن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة، وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالألقاب أي بقوله يا أيها النبي، يا أيها الرسول، ولم يخاطبه باسمه كما خاطب غيره من الأنبياء والمرسلين بقوله تعالى: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، يا داود، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ كضيق الصدر ﴿يُسْراً﴾ كشرح الصدر ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً﴾ تكرير للتأكيد او استئناف وعده بأن العسر مشفوع بيُسْرِ آخر كثواب الآخرة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنْصَبْ﴾ أي فاتعب في العبادة شكراً لما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعم الآتية ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَبْ﴾ بالسؤال ولا تسأل غيره، فإنه القادر وحده على الإسعاف.

وقال الله تعالى في سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أي الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين. وقد صح في حديث البخاري ومسلم أنه نهرٌ في الجنة ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي مَن أبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ الذي لا عقب له، إذ لا يبقى منه نسل ولا حسنُ ذكرٍ، وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف. والله أعلم.

* * *

الباب الثالث

فيما ورد في الكتب السماوية المتقدمة وما أوحاه الله تعالى الى

النبيين من فضائله صلى الله عليه وسلم من رواية الأئمة المحدّثين

قال الله تعالى في التوراة، كما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، مع زيادة رواها القاضي عياض في الشفاء عن ابن اسحاق: ﴿يا أيها النبي إنّا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمّيين، أنت عبدي ورسولي سميتُك المتوكلَ ليس بفَظٍّ ولا غليظ ولا سَخّابٍ في الأسواق، ولا مُتَزَيّنٍ بالفحش ولا قَوّالٍ للخَنَى، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيمَ به المِلّةَ العَوْجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عُمياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً، أُسدِّدُه لكل جميل وأهَبُ له كل خُلق كريم وأجعل السكينةَ لباسَهُ والبِرَّ شِعارَه والتقوى ضميره والحكمة مَقُوله والصدقَ والوفاء طبيعته، والعفوَ والمعروف خُلقَه، والعدلَ سيرتَه، والحقَّ شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملّته، وأحمدَ اسمه أهدي به بعد الضلالة، وأعلّم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأسمّي به بعد النُّكِرة، وأُكثرُ به بعد القِلّة، وأُغنى به بعد العَيْلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواءٍ متشتتة، وأمم متفرقة، وأجعل

أمته خير أمة أخرجت للناس».

حرزاً للاميين: أي كهفاً منيعاً. والسخّاب من السّخَب وهو كالصخَب معناه الصِياح. والخنى الفحش في القول. وقلوباً غُلْفاً: مغشّاه مغطّاة، أي عن سماع الحق. والسَّداد: الاستقامة. والسكينة: الوقار والتأني في الحركة والسير. والشِعار، في الأصل: الثوب الذي يلي الجسد، والدثار: الذي فوقه. والحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. والخامل الساقط الذي لا نباهة له من الخمالة. والنكرة: ضد المعرفة والعيلة: ٱلفقر.

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تُوفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، فلما كانت صبيحة الخميس إذا نحن بشيخ قد جال فقال: أنا حَبْر(١) من أحبار بيت المقدس فقال: يا عليّ صف لنا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إليه، فقال: بأبي وأمي لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير، كان رَبْعَةً من الرجال أبيضَ مُشْرَبا بحُمرة جَعْدَ المَفْرِق، شعرُه إلى شحمة أُذُنَيْه، صلْتَ الجبين، واضحَ الخدين، مقرون الحاجبين، أدعج العينين، سَبْطَ الأشفار، أَقْنَى الأنف، دقيق المَسْرُبَةَ، مفلَّجَ الثنايا، كثَّ اللحية، كأَنَّ عنقه إبريقُ فضة، كأن الذهب يجرى في تَراقيه، عَرَقُه في وجهه كاللؤلؤ، شَثْنَ الكفّين والقدمين، له شعرات ما بين لَبَّتِهِ إلى سُرَّتِهِ تجرِي كالقضيب، لم يكن على بطنه ولا على ظهره شعرَات غيرُها، يفوح منه ريح المسك، إذا قام غمرَ الناسَ، وإذا مشى فكأَنما يتقلَّع من صخرة، إذا التفت التفت جميعاً، وإذا مشى كأنما ينحدر في صبَب، أطهر الناس خُلقاً، وأشجع الناس قلباً، وأسخى الناس كفاً، لم يكن قبله مثله ولا يكون

(١) الحبر، بفتحح الحاء: العالِم.

بعده مثله أبداً. قال الحبر: يا علي إني أَصَبْتُ في التوراة هذه الصفةَ أيقنتُ أنْ لا آله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله.

الحبر: العالمَ والمراد هنا أحد أحبار اليهود. والرَّبْعة: المربوع بين الطويل والقصير. وجَعْد الشعر: ضد السَبْط، والسبوطة أكثرها في شعور العجم. والمفرق هنا: ما انفرق من شعره. وصَلْت الجبين: أي واسعه، وقيل الصلت الأملس، وقيل البارز. وفي حديث آخر: كان سهل الخدين صَلْتَهما. والدَّعَج والدُّعجْة السواد في العين وغيرها، يريد أن سواد عينيه صلى الله عليه وسلم كان شديد السواد. وقيل: الدَعج: شدة سواد العين في شدة بياضها. والسَبْط من الشعر: المنبسط المسترسل. والقَنى في الأنف: طوله ورقّة أرنبته مع حدب في وسطه. والمَسْرُبة: ما دقّ من شعر الصدر سائلاً إلى الجوف. وقال السيوطي: الشعر المستدق من اللبة إلى السرّة. ومفلَّج الثنايا: أي مفرَّقها والفَلج: فرجة ما بين الثنايا والرباعيات. والكثاثة في اللحية: أن تكون غير دقيقة ولا طويلة. والتراقي: جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغر النحر والعاتق وهما ترقوتان من الجانبين. وشَثْن الكفين والقدمين: أي إنهما يميلان الى الغلظ والقصر، وقيل هو الذي في أنامله غِلظ بلا قِصَر، ويُحمد ذلك في الرجال لأنه أشدّ لقبضهم، ويُذمّ في النساء،واللَّبَّة: الهَزْمة[1] التي فوق الصدر. وغمَر الناس أي كان فوقهم. والصبب: الموضع المنحدر. والخُلق: الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير ما

(١) الهزمة: النقرة، والحفرة.

موضع.

واخرج ابن سعد وابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فإني لأخطُبُ يوماً على الناس، وحَبْر من أحبار اليهود واقفٌ في يده سِفْرٌ، ينظر فيه فناداني فقال: صف لنا أبا القاسم، فقال عليٌّ: رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس بالقصير ولا بالطويل البائن، وليس بالجعد القَطَط، ولا بالسَّبْط، وهو رَجْل الشعر، أسود، ضخم الرأس مُشَرب لونه بحمرة، عظيم الكراديس، شَثْن الكفين والقدمين، طويل المَسْرُبة، أهدب الأشفار، مقرون الحاجبين، صَلْت الجبين، بَعيدُ ما بين المَنْكِبين، إذا مشى يَتَكَفَّأُ كأنما ينزل من صَبَبٍ، لم أرَ قبله مثلَه ولم أرَ بعده مثله.

قال علي: ثم سكتُّ فقال لي الحبر: وماذا؟ قال علي: هذا ما يحضرني. قال الحبر: في عينيه حمرةٌ حَسَن اللحية، حسن الفمِ، تامُّ الأذنين، يُقبِل جميعاً ويُدبِر جميعاً. فقال علي: هذه والله صفته. قال الحبر: وشيء آخر. قال علي: وما هو؟ قال الحبر: وفيه حياء. قال علي: هو الذي قلتُ لك. قال الحبر: فإني أجد هذه الصفة في سِفر آبائي ونجده يُبعث مِن حَرَم الله ونجد أنصارَه الذين هاجر إليهم قوماً من ولد عمرو بن عامر، أهلَ نخل وأهلُ الارض قبلهم يهود قال علي: هو هو. قال الحبر: فإني أشهد أنه نبي، وأنه رسول الله إلى الناس كافة، فعلى ذلك أحيا وأموتُ وعليه أبعثُ ان شاء الله.

السفر: الكتاب. والطويل البائن: أي المفرط طولاً، الذي بَعُدَ عن قدر الرجال الطوال. والجَعْد: ضد المسترسل من الشعر. والقَطَط: الشديد الجعودة. والسَّبْط من الشعر: المنبسط المسترسل. والشعر الرَّجْل: الذي لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة، بل بينهما. والكراديس: هي

رؤوس العظام، واحدها كردوس، وقيل هي ملتقى كل عـظمين ضخمين كـالركبتين والمـرفقين والمنكبين. أراد أنـه صلى الله عليـه وسلم ضخم الأعضاء. وشَثْن الكفين: هو الذي في أناملهِ غلَظ بلا قصر، وتقدَّم بسطه. والمسرُبة: الشعر الممتد من الَّلبَّة إلى السرة، وتقدّمت. وأهدب الأشفار، أي طويل شعر الأجفان. وصَلْت الجبين واضحه، كما تقدم. والمنكب ما بين الكتف والعنق. وتكفأ تكفّؤاً، أي تمايل إلى قدّام. وروي تكفى تكفّياً، غير مهموز والأصلُ الهمزُ. والصبَب الموضع المنحدر.

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ ولدُ معدٍّ بن عدنان أربعين رجلاً وقعوا على عسكر موسى فانتهبوه فدعا عليهم موسى، قال: يا رب، هؤلاء ولد معدّ قد أغاروا على عسكري. فأوحى الله إليه: يا موسى، لا تدعُ عليهم فإن منهم النبيَّ الأميَّ النذيرَ البشير نخبتي، ومنهم الأمة المرحومةُ أمة محمدٍ الذين يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم بالقليل من العمل، فيدخلهم الجنة بقول لا آله إلا الله، لأن نبيَّهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المتواضع في هيبته المجتمع له اللُّبُّ في سكُوته ينطق بالحكمة ويستعمل الحُكم، أخرجته من خير جيلٍ، من أمة قريش، أخرجتـه من هاشم صفوة قريش، فهو خيرٌ من خيـرٍ إلى خيرٍ يصير،هو وأمته الى خير يصيرون.

اللبّ: العقل وجمعه ألباب. والحكمة: الكلام النافع، وتقدمت. والحُكم: العمل والفقه والقضـاء بالعـدل. والجيل: الصنف من النـاس وقيل: الأمة. وقيل: كل قوم يختصون بلغة جيل. والصفوة خيار الشيء وخلاصته.

وأخـرج أبو نعيم في الحليـة عن أنس رضي الله عنـه قـال: قـال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوحى الله إلى موسى نبيّ بني إسرائيل أنه من لَقِيَنِي وهو جاحد بأحمدَ أدخلته النار. قال: يا رب ومن أحمد؟ قال: ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منه، كتبتُ اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السمواتِ والأرضَ، وإن الجنة محرّمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمّته. قال: ومن أمته؟ قال. الحمَّادون يَحْمَدُون الله صُعُوداً وهُبوطاً وعلى كل حال، يَشدُّون أوْساطَهم ويُطَهِّرون أطرافَهم، صائمون بالنهار، رُهبانٌ بالليل، أَقْبَلُ منهم اليسيرَ، وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله. قال: اجعلني نبيَّ تلك الأمة. قال؛ نبيّها منها. قال: اجعلني من أمة ذلك النبي. قال: استقدمتَ واستأخرَ، ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الخلد.

واخرج البيهقي عن مقاتل بن حيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله لعيسى بن مريم: يا عيسى، جِدَّ في أمرك ولا تَهْزِل، وأسمعْ وأَطِعْ يا بنَ الطاهرة البِكر البَتُول، إني خلقتك من غير فحلٍ، فجعلتك آيةٍ للعالمين، فإياي فاعبد، وعليّ فتوكل فسِرْ لأهل سُورية وأخبرهم أني أنا الله الحي القيوم الذي لا أزول، صَدِّقوا النبيَّ الأمي العربي صاحبَ الجمَلِ والمِدْرَعة والعِمامة والنعلين والهِراوة، الجعدَ الرأس، الصَّلْتَ الجبين، المقرونَ الحاجبين، الأنجلَ العينين، الأهدبَ الأشفار، الأدعَجَ العينين، الأقنى الأنف، الواضحَ الخدّين، الكَثَّ اللحية، عَرَقُه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك ينفح منه، كأنَّ عُنُقَه إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه، له شَعَرات من لَبَّته إلى سُرَّته، تجري كالقضيب، ليس على صدره ولا على بطنه شعر غيرها، شَثْن الكفين والقدمين، إذا جاء مع الناس غمرَهم، وإذا مشى كأنه يتقلَّع من صخر وينحدر في صببٍ، ذو النَّسْل القليل.

الجد: ضد الهزل، تقول منه: جدَّ في الامر يجدٌّ ويُجدّ والجد أيضاً الاجتهاد في الأمر، تقول منه: جد يَجِدّ ويُجدّ كما في المختار. والمرأة

البتول: المنقطعة عن الرجال لا شهوةَ لهـا فيهم، وبها سميت مـريم أم المسيح عليهما السلام، وسميت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم البتول، لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسَبًا. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى. والمدرعة: ثوب من صوف، وتمدرع: لِبسه ذكره في القاموس واللسان. والنعل: مؤنثة، وهي التي تلبس في المشي، وتسمى الآن «تاسومة»، وهي مختصة بالعرب كما ذكره ملا على القارى في شرح الشمائل. والهِراوة: العصا. وقول سطيح: خرج صاحب الهَراوة، أراد به النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يمسك القضيب بيـده كثيراً، وكـان يمْشي بالعصا بين يديه وتُغرَز له فيصلي إليها.

واخرج الحاكم في المستدرك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى آمنْ بمحمد وأْمُرْ من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقتُ آدمَ، ولولا محمد ما خلقتُ الجنةَ والنار.

وأخرج أبو نعيم وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال: قال الله تعالى إلى شعيا: إني باعثٌ نبيّاً أُمّيّاً أَفتحُ به آذاناً صُمّاً، وقلوبـاً غُلْفا، وأَعْيُنـا عُمْياً، مولـده بمكةَ، ومهـاجَره بـطيبةَ، ومُلكـه بالشـام، عبدي المُتـوكِّلُ المصطفى المرفوعُ الحبيب المتحبب المختار، لا يَجـزي بالسيئـةِ السيئةَ ولكن يعفو ويصفح ويغفر.رحيماً بالمؤمنين، يبكي للبهيمة المثقَلَة، ويبكي لليتيم في حجر الأرملة، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق ولا مُتَزيّنٍ بالفُحش، ولا قوّال للخنى، لو يمرّ إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته، ولو يمشي على القصب الرَّعراع لم يسمع من تحت قدميه، أبعثه مبشّراً ونذيراً، أُسدِّده لكل جميل، وأَهَبُ له كلَّ خُلق كريم، أجعلُ السكينةَ لباسه، والبرَّ شِعارَه، والتقوى ضميرَه، والحكمةَ معقوله[1]، والصدقَ والوفاءَ

---

(١) في بعض كتب الحديث (مَقُولَهُ) بدون زيادة العين. مصححة.

طبيعته، والعفوَ والمغفرةَ والمعروف خُلقهَ والعدلَ سيرته، والحقّ شريعته، والهديَ إمامه، والإسلامَ ملّته وأحمَدَ اسمَه إهدي به بعد الضلالة، وأُعلّم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمى به بعد النكرة وأكثر به بعد القِلّة وأُغني به بعد العَيْلة، وأجمع به بعد الفُرقة وأُؤلّف به بين قلوب متفرقة وأهواء متشتتة وأمم مختلفة، وأجعل أمته خيرَ أمة أُخرجتْ للناس أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وتوحيداً لي وايماناً بي وإخلاصاً لي وتصديقاً لما جاءت به رسلي وهم رعاة الشمس، طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التي أخلصت لي، أُلهِمُهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلّبهم ومثواهم، ويصُفُّون في مساجدهم كما تَصُفُّ الملائكة حول عرشي، هم أوليائي وأنصاري، أنتقم بهم من أعدائي عبدةِ الاوثان، يصلّون لي قياماً وقعوداً وركّعاً وسجوداً ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألوفاً، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، أختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائعَ وبدينهم الأديانَ، فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ويدخْل في دينهم وشريعتهم فليس مني، وهو مني بريء، وأجعلهم أفضلَ الأمم وأجعلهم أمة وسطاً شهداء على الناس، إذا غضبوا هلّلوني، وإذا قبضوا كبّروني وإذا تنازعوا سبّحوني، يطهّرون الوجوه والأطراف، ويشدّون الثياب إلى الإنصاف، ويهلّلوني على التلال والأشراف، قربانهم دماؤهم، وأنا جيلهم صدورهم، رهبان بالليل ليوثٌ بالنهار، يناديهم مناديهم في جوِّ السماء، لهم دويٌ كدويّ النحل، طوبى لمن كان معهم وعلى دينهم ومنهاجهم وشريعتهم، ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم.

القلوب الغُلْف: التي عليها غشاء يمنعها من سماع الحق. والسخّاب في الاسواق: الصيّاح، يقال بالسين وبالصاد. والخنى: الفاحش من القول. والسكينة: الوقار. والقصب الرعراع: اليابس. أسدّده: من التسديد

وهو الاستقامة. والبِرّ: الاحسان. والشعار: أصله الثوب الذي يلي الجسد، والمراد هنا أنه محيط به كاحاطة الشعار للجسد. والخامل: الساقط الذي لا نَباهة له. والنكرة: ضد المعرفة. والعَيْلة الفقر.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدّي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصُرنَّهُ قَال أأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرَي، قَالُوا: أَقْرَرْنَا، قَالَ: فَٱشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾[1]. قال: لم يبعث نبي قطّ من لدُنْ نوح إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمنَنّ بمحمد ولينصرنه إن خَرج وهو حيّ وإلاّ أخذ على قومه أن يؤمنوا به وينصروه إن خرج وهم أحياء ومعنى الإصر: العهد.

وأخرج ابن عساكر من طريق كُرَيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم يزل الله تعالى يتقدّم في النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبيين، آدم فمَن بعده ولم تزل الأمم لتباشر به وتستفتح به حتى أخرجه الله في خير أمة، وفي خير قرن، وفي خير أصحاب، وخير بلدٍ، فأقام به ما شاء الله وهو حرَم إبراهيم عليه السلام، ثم أخرجه إلى طيبةَ وهي حرم محمد صلى الله عليه وسلم فكان مبعثه من حرم، ومُهاجَره إلى حَرم.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي العالية قال: لما قال إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾[2] الآية قيل له: قد استُجيب لك، وهو كائن في آخر الزمان.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أُمر

(١) سورة آل عمران الآية ٨١.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٩.

إبراهيم باخراج هاجر، حُمل على البراق، فكان لا يمرّ بأرض عذبة سهلة إلا قال: أنزلُ ههنا يا جبرائيل؟ فيقول: لا، حتى أتى مكة، فقال جبريل: آنزلْ يا إبراهيم. قال: حيث لا زَرع ولا ضرْع؟ قال: نعم ههنا يخرج النبيّ الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا.

وأخرج ابن سعد عن الشّعْبي قال: في مجلة ابراهيم عليه السلام أنه كائن من ولده شُعوب وشُعوب، حتى يأتي النبيّ الأمي خاتم الأنبياء.

وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: لما خرجت هاجر بابنها إسماعيل تلّقاها متلقٍّ فقال: يا هاجر إن ابنـك أبو شُعوبٍ كثيرة، ومن شعبه النبيّ الأميّ ساكن الحرم.

وأخرج ابن سعد عن محمـد بن كعب أيضاً قـال: أوحى الله إلى يعقوب: إني أبعث من ذريتك ملوكاً وأنبياء حتى أبعث النبي الحرميّ الذي تبني أمته هيكل بيت المقدس وهو خاتم الأنبياء واسمه أحمد.

وأخرج الزبير بن بكار وأبو نُعيم، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صفتي أحمد المتوكِّل مولدُه مكة، ومُهَـاجَرُه إلى طيبـة، ليس بفظّ ولا غليظ، يجزي بـالحسنة الحسنـةَ ولا يكـافيء بالسيئـة أمتهُ الحمّـادون، يأتـزرون على أنصـافهم، ويـوضِّئـون أطرافهم، أناجيلهم في صدورهم، يَصُفُّون للصلاة كما يصفّـون للقتال، قربانُهم الذي يتقربون به إليَّ دماؤهم، رهبانٌ بالليل ليوثٌ بالنهار.

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن صوريا، وهو من أحبار اليهود: أنشدك بالله هل تعلم أن الله تعالى حكم في التوراة فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم؟ فقال: اللهم نعم، أما والله يا ابا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبيّ مرسل ولكنهم يحسدُونك.

وأخرج الدارمي وابن عساكر عن كعب قال: في السفر الأول من التوراة: محمد رسول الله عبدي المختار، لا فظّ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيّئةَ ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة وهجرته بطيبة، وملكه بالشام. وفي السفر الثاني: محمد رسول الله، أمته الحمّادون، يحمدون الله في السرّاء والضراءِ، يحمدون الله في كل منزلة، ويكبّرونه على كل شرَف، رعاة الشمس يصلّون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كِباسَة (أي نخلة) ويأتزون على أوساطهم، ويوضئون أطرافهم، وأصواتهم بالليل في جوّ السماء كأصوات النحل.

وأخرج البيهقي، وأبو نعيم، عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: قلت لكعب[٢]: كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ قال: كنا نجده موصوفاً فيها: محمد رسول الله، اسمه المتوكل، ليس بفظّ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق، فأعطي المفاتيح ليُبصِّرَنَّ الله به أعيناً عُوراً ويُسمع به آذاناً صُمّاً، ويقيم به ألْسنةً مُعوجَّة، حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعين المظلوم ويمنعه من أن يُستضعَف.

وأخرج البيهقيّ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم الجارود بن عبد الله، فأسلم وقال: والذي بعثك بالحقّ لقد وجدت وصفك في الإنجيل، ولقد بشّر بك ابن البتول.

وأخرج البيهقي عن وهب بن منبه قال: إن الله أوحى في الزبور: يا داود، إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد، نبيّاً صادقاً لا أغضب

---

(١) الشرَف: الموضع العالي يشرف على ما حوله.
(٢) كعب الأحبار.

عليه أبداً، ولا يعصيني أبداً، وقد غفرتُ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وأمته أمّة مرحومة، أعطيتهم من النوافل مثلَ ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليهم الفرائض التي افتُرضت على الأنبياء والرسل، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء، وذلك أني افترضتُ عليهم أن يتطهروا في كل صلاة، كما افترضت على الأنبياء، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء، وأمرتهم بالحج والجهاد كما أمرت الرسل. يا داود، إني فضلتُ محمداً وأمتَه على الأمم كلِّها.

وروي عن وهب بن منبه أنه قال: قرأْت في بعض الكتب القديمة: قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأُنَزِّلن على جبال العرب نوراً يملأُ ما بين المشرق والمغرب، ولأُخرجن من ولد إسماعيل نبيّاً عربيّاً أميّاً يؤمن به عدد نُجوم السماءِ ونبـاتِ الأرض، كلهم يؤمن بي ربّاً، وبـه رسولاً، يكفرون بملل آبائهم ويفرّون منها. قـال موسى عليـه السلام: سبحـانك وتقدَّستْ أسماؤك، لقد كرَّمت هذا النبيَّ وشرّفته. قال الله عز وجل: يـا موسى إني أنتقم من عدوّه في الدنيا والآخرة، وأُظهر دعوته على كل دعوة، وسلطانَ ومن معه في البر والبحر وأخرجُ له من كنوز الأرض، وأُذِلّ من خـالفَ شريعتـه. يا مـوسى، بالعـدل ربَّيتُه، وللقسط أخـرجته، وعـزتي لأستنقذنَّ به أمماً من النار، فتحتُ الدنيا بإبراهيم، وختمتها بمحمد، مَثَلُ كتابه الـذي يجيء به فـاعقلوه يا بني إسـرائيل ـ كمثـل السِّقاء المملوء، يُمْخَض فيخرج زُبْداً، بكتابه أختم الكتب، وبشريعته أختم الشرائع، فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته، فهو من الله بريء، أجعل أمته يبنون في مشارق الأرض ومغاربها مساجد، إذا ذكر اسمي فيها ذكر اسم ذلك النبي معي، لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول.

وقد ورد في الكتب السابقة ذكر أصحابه صلى الله عليه وسلم ووعْد أمته بوراثة الأرض. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ

ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ﴾[1].

واخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: أخبر الله سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه، قبل أن تكون السموات والأرض، أنْ يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلمالأرض.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء أنه قرأ قوله تعالى: ﴿أن الأرض يرثها عباديَ الصالحون﴾ فقال: نحن الصالحون.

قال الحافظ السيوطي في «الخصائص الكبرى»: قلت: وقد وقفت على نسخة من الزبور وهو مائة وخمسون سورة، ورأيت في السورة الرابعة ما نصه: يا داود اسمع ما أقول، ومُرْ سليمانَ فليقلْه للناس من بعدك، إن الارض لي أورثها محمداً صلى الله عليه وسلم وأمّته.

وأخرج الطبرانيّ وابن حبان والحاكم والبيهقي وأبو نعيم، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال: إن الله لما أراد هدى زيد بن سعنة قال زيد ابن سعنة: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أُخبُرْهما منه: يسبِق حلمهُ غضبَه، فابتعت منه تمراً معلوماً إلى أجل معلوم وأعطيته الثمن فلما كان قبل مَحِلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه، ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تقضي يا محمد حقي؟ فوالله إنكم يا بني عبد المطلب لِمُطْلٌ، ولقد كان لي بمخالطتكم علْم، فقال عمر بن الخطاب: أيْ عدّو الله أتقول لرسول الله ما أسمع؟ فوالله لولا ما أحاذر فَوْته لضربت بسيفي رأسك. ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسّم، ثم قال: أنا وهو كنا أحْوجَ إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرَني بحسن الأداء

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقَّه وزده عشرين صاعاً مكانَ ما رُعْتَه. ففعل. فقلت: يا عمر كلّ علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أَخْبُرْهما منه: يسبق حلمُهُ غضبَه، ولا تزيده شدةُ الجهل عليه إلا حِلماً، فقد خبرتهما فأُشهدك أني قد رضيتُ بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً. وقد ذكرت من فضائله وبشائره صلى الله عليه وسلم الواردة في الكتب السماوية وغيرها في كتابي «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين» صلى الله عليه وسلم، شيئاً كثيراً ما أظنه اجتمع في كتاب قبله، فمن أراد الزيادة على هذا فليراجع ذلك الكتاب، وفيما ذكرته هنا، بل في بعضه، كفاية لأولى الألباب، والحمد لله المنعم الوهاب.

* * *

الباب الرابع

فيما ورد في فضائله عنه صلى الله عليه وسلم

من الاحاديث مرتبة على حروف المعجم

«أنا محمدُ بنُ عبدِ الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصَيٍّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانةَ بن خُزَيمة بن مُدركةَ بن الياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عَدنان، وما افترق الناس فِرقتَيْن إلا جعلني الله في خيرهما فأُخرجتُ من بين أبويّ، فلم يصبني شيء من عَهْر الجاهلية، وخرجتُ من نكاح ولم أخرج من سِفاح من لَدُن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نسباً وخيركم أباً». أخرجه البيهقي في الدلائل عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم. العَهر: الزنا. والسفاح الزنا أيضاً.

آتِي بابَ الجنة فأستفتح فيقول الخازنُ: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمِرتُ أن لا أفتحَ لأحد قبلَك». أخرجه الإمام أحمد ومسلم عن أنس أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إبراهيم خليل الله، وموسى نجيّ الله، وعيسى روحه وكلمته، ألا وأنا حبيب الله ولا فخرَ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا

أول شافع وأول مشفَّع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يُحرِّك حَلَقَ الجنة فيفتح الله لي فيُدخِلْنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرمُ الأولين والآخرين ولا فخر». أخرجه الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم. الفخر: ادعاء العظم والكبر والشرف أي لا أقوله تبجحاً، ولكن شكراً لله وتحدثاً بنعمه.

«أتاني جبريل فقال: إن ربي وربَّك يقول لك: تَدري كيف رفعتُ ذكرَك؟ قلتُ: الله أعلم. قال: لا أُذكَرُ إلا ذكرتَ معي». أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، والضياء في المختارة، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أتاني جبريل فقال: يا محمد لولاك ما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقتُ النارَ». أخرجه الديلمي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أتاني مَلَك جُرمهُ يُساوِي الكعبةَ فقال: آخترْ أن تكون نبياً مَلِكاً أو نبياً عبداً. فأومأ إليّ جبريل أنْ تَواضعْ لله. فقلت: بل أحب أن أكون عبداً نبياً. فشكر ربي عز وجل ذلك فقال: أنت أول من تَنشقُّ عنه الأرض وأول شافع». أخرجه ابن عساكر عن عائشة وابن عباس والإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وموسى نجيّاً، واتخذني حبيباً ثم قال: وعَزَّتي وجلالي لأُوثِرنَّ حبيبي على خليلي ونجيي». أخرجه البيهقي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. ومعنى أوثرنّ أفضلنّ.

«أُتيتُ بمقاليد الدنيا على فَرسٍ أبلق، جاءني به جبريلُ، عليه قطيفة من سندس». أخرجه الإمام أحمد وابن حبان والضياء المقدسي، عن جابر

عن النبي صلى الله عليه وسلم. المقاليد: المفاتيح واحدها إقليد. والقطيفة: كساء له خَملٌ. والسندس: ما رقَّ من الديباج.

«أدَّبَني ربي فأَحسنَ تأْديبي» أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إذا كان يوم القيامة كنتُ إمامَ النبيّين وخطيبهم وصاحبَ شفاعتهم غيرَ فخرٍ» أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إذا كان يوم القيامة كنتُ اولَ من تنشقُّ الأرض عني ولا فخرَ، ويتبعني بلالٌ المؤذن، ويتبعه سائر المؤذنين، وهو واضعٌ يدَه على أذنه، وينادي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، وسائر المؤذنين ينادون معه حتى نأتيَ أبواب الجنة». أخرجه العقيلي وابن عساكر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهنّ أحد من الأنبياء قبلي: نُصِرتُ بالرعب مسيرةَ شهر، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً، فأيّما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأُحِلّتْ لي الغنائم ولم تَحلَّ لأحد قبلي، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً وبُعثت إلى الناس عامة» أخرجه الشيخان والنسائي، عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه». أخرجه ابن أبي شيبة وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني، عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم. فواتح الكلم: جمع فاتحة وهي هنا ما يُفتتح به الكلم من الكلمات الفصيحة والعبارات البليغة. وفي بعض الروايات: أوتيت مفاتيح الكلم، وفي بعضها: مفاتح الكلم، وهما، كما قال في

النهاية: جمع مفتاح ومِفْتَح ، وهو في الأصل: كل ما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها فأخبر أنه أوتي مفاتيح الكلم، وهو ما يسر الله له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلِقت على غيره صلى الله عليه وسلم وتعذرت، ومن كان في يده مفاتيح شيء مخزون سهلَ عليه الوصول إليه. وقوله: أوتيت جوامع الكلم: قال في النهاية: أوتيت جوامع الكلم: يعني القرآن، جمع الله بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة، واحدها جامعة، أي كلمة جامعة، وقال في صفته صلى الله عليه وسلم: إنه كان يتكلم بجوامع الكلم، أي إنه كان كثير المعاني قليل الألفاظ ا هـ. وخواتمه: الظاهر أن المراد ما يَحسن عليه ختام الكلام، ومنه ما يسميه علماء البديع: براعة المقطع.

«أعطيتُ ما لم يُعْطَ أحد من الأنبياء قبلي: نصرتُ بالرعب، وأعطِيتُ مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجُعل لي الترابُ طهوراً، وجُعلت أمتي خير الأمم». أخرجه الإمام أحمد عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال في النهاية: أوتيت مفاتيح خزائن الأرض: أراد صلى الله عليه وسلم ما سهَّلَ الله له ولأمته من افتتاح البلاد المتعذرات واستخراج الكنوز الممتنعات.

«ألا تُؤَمِّنُوني وأنا أمين مَن في السماء، يأْتيني خَبَرُ السماء صباحاً ومساءً».

أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا ابن العواتك من سُلَيْم» أخرجه ابن أبي منصور والطبراني عن سيابة بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وسلم. العواتك جمع عاتكة

وأصل العاتكة: المتضمخة بالطيب. والعواتك: ثلاث نسوة كنّ من جدّات النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا أبو القاسم، الله يعطي وأنا أقسِمُ». أخرجه الحاكم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا أتقاكم لله وأعلمكم بحدود الله. أخرجه الإمام أحمد عن رجل من الأنصار عن النبي صلى الله عليه وسلم. حدود الله محارمه وعقوباته التي قرَنها بالذنوب، وأصل الحدّ: المنع والفصل بين الشيئين، فكأن حدود الشرعَ فصلت بين الحلال والحرام.

«أنا أحمد وأنا محمد، وأنا الحاشر الذي يُحشَرُ الناسُ على قَدَمّي، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ، فإذا كان يوم القيامة كان لواءُ الحمد معي وكنتُ إمامَ المرسلين وصاحبَ شفاعتهم». أخرجه الطبراني وابن أبي منصور عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم. الحاشر: الذي يُحشر الناس خلفه وعلى ملّته دون ملة غيره. واللواء: الراية، ولا يمسكها إلا صاحب الجيش، يعني فهو صلى الله عليه وسلم سيد الخلق يوم القيامة، وصاحب لوائهم المحمود من جميعهم.

«أنا أشرف الناس حسباً ولا فخرَ، وأكرم الناس قَدْراً ولا فخر». أخرجه الديلمي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم. الحسب: الشرف بالآباء وما يعدّه الإنسان من مفاخرهم.

«أنا أعربكم لأني من قريش، ولساني لسان بني سعد بن بكر». أخرجه ابن سعد، عن يحيى بن يزيد السعدي مرسلاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم. الإعراب: التبيين والإيضاح، وهو هنا بمعنى الفصاحة.

«أنا أكثرُ الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرعُ بابَ الجنة».

أخرجه مسلم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا أول شفيع في الجنة لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ما صُـدِّقتُ». أخرجه مسلم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمـر، ثم آتي اهلَ البقيع فيُحشرون معي، ثم أنتظرُ أهلَ مكة». أخرجه الترمذي والحاكم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض، فأُكسى حلةً من حُلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش وليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري». أخرجه الترمذي عن أبي هـريرة عن النبي صلى الله عليـه وسلم. الحُلّة واحدة الحلل، ولا تسمى حُلّة إلا أن تكون ثوبين.

«أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا وأنا خطيبهم إذا وفَدوا، وأنا مبشّرهم إذا أَيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربي ولا فخرَ». أخرجه الترمذي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم. أصل الوفد: الذين يقصدون الأمراء لزيارةٍ واسترفادٍ وانتجاع وغيـر ذلك. تقـول: وفَد يفِد، فهو وافد، ووفْدُ الناس هنا: قدومهم على الله تعالى بعد البعث.

«أنا أول من يدقُّ باب الجنة فلم تسمع الآذان أحسنَ من طنين الحَلَق على تلك المصاريع». أخرجه ابن النجار عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا دارُ الحكمة وعليٌّ بابها». أخرجه الترمذي عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا دعوةُ إبراهيمَ وكان آخرَ من بشّر بي عيسى بن مريم». أخرجه ابن عساكر عن عُبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال في

النهاية: ومنه الحديث: سأخبركم بأول أمري، دعوة إبراهيم وبشارة عيسى. دعوةُ إبراهيم عليه السلام هي قوله تعالى: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾(١). وبشارة عيسى قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(٢).

«أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن تُوُفِّيَ من المؤمنين فترك دَيْناً فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثتِه». أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا رسول من أدركتُ حيّاً، ومن يُولَد بعدي». أخرجه ابن سعد عن الحسن البصري مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا سيد النبيين ولا فخر». أخرجه سمويه وابن أبي منصور عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا سيد المرسلين إذا بُعِثُوا، وسابِقُهم إذا وَرَدوا، ومُبَشِّرُهم إذا أَيِسُوا، وإمامهم إذا سجدوا، وأقربهم مجلساً إذا اجتمعوا، أَتَكَلَّمُ فَيُصَدِّقُنِي، وَأَشْفَعُ فَيُشَفِّعُنِي، وأسأل فيُعطيني». أخرجه ابن النجار عن أم كُرْز عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا سيدُ الناس يومَ القيامة، يدعوني ربي فأقول: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ والخيرُ بيَديْك، والشر ليس إليك، والمَهديُّ من هَدَيْتَ وعبدُك بينَ يديك، ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركتَ ربَّ البيت». أخرجه الحاكم والخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن عساكر عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم. لا ملجأ: يقال لجأت إلى فلان: إذا استندت إليه

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٩.

(٢) سورة الصف الآية ٦.

واعتضدت به. والمنجى: النجاة.

«أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مِمَّ ذلك؟ يَجْمَعُ الله الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد، يُسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمسُ منهم، فيبلغ الناسَ من الغمّ والكرب مَا لا يطيقون ولا يحتملون، فيقولُ بعضُ الناس لبعضٍ: ألَا تَرَوْنَ ما قد بَلَغكم؟ ألا تنظرون مَن يشفع لكم إلى رّبِكم؟ فيقول بعضُ الناس لبعض: إئْتوا آدم، فيأتون آدمَ فيقولون: يا آدمُ، أنت أبونا، أنتَ أبو البشر، خلقَك الله بيده ونفخَ فيك من روحه، وأمرَ الملائكةَ فسجدوا لك، إشفَعْ لنا إلى ربك، أَلَا تَرَى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم آدمُ: إنَّ ربي قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضبْ قبله مثلهُ ولن يغضبَ بعدهُ مثلَه، وإنه نهاني عن الشجرة فعَصَيْتُه، نفسي نفسي نفسي، إذْهَبُوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوحُ أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمَّاك الله عبداً شكوراً، إشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى ما نحن فيهِ؟ ألا ترى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم نوح: إن ربي قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى ابراهيم، فيأتُون ابراهيمَ فيقولون: يا إبراهيمُ أنت نبيُّ الله وخليلهُ من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم ابراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثله ولن يَغْضَبَ بعده مثله، وإني قد كنتُ كذبتُ ثلاث كذباتٍ، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسولُ الله، فضَّلَك الله برسالاته وبتكلّمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا تَرَى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يَغْضَبْ قبله مثله ولن يَغْضَبَ بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أُومَرْ بقتلها،

نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمتهُ ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلَّمتَ الناسَ في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيهِ؟ ألا ترى ما قد بَلَغَنَا؟ فيقول لهمْ عيسى: إن ربي قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يَغْضَبْ قبله مثلهُ ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد. فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتِم الأنبياء، وغُفِرَ لك ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخَّرَ اشفَعْ لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بَلَغَنَا؟ فأَنْطَلِقُ فآتي تحتَ العرش فأَقعُ ساجداً لربي، ثم يَفتح الله عليّ ويُلْهِمُني من محامده وحسن الثناء عليهِ شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسَك سَلْ تُعْطَ، وآشفعْ تُشفَّعْ فأرفع رأسي فأقول: ربِّ أُمتي أُمتي، فيقالُ: يا محمد أَدْخِلِ الجنةَ من أمتك من لا حسابَ عليه من الباب الأيمنِ من ابواب الجنة، وهم شركاءُ الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسي بيده، إن ما بين مِصْرَاعَيْنِ من مصاريع الجنة لكَما بين مكةَ وهَجَرَ، أو كما بين مكة وبُصْرَى». أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخرَ، وبيدي لواء الحمد ولا فَخْرَ، وما من نبيٍّ يومئذٍ، آدمُ فمن سواه، إلا تحت لوائي، وأنا اوَّل من تَنْشَقُّ عنه الأرض ولا فخرَ، فَيَفْزَع الناس ثلاثَ فَزَعَاتٍ فيأْتون آدمَ فيقولون: أنت أبونا آدمُ فاشفع لنا إلى ربك فيقول: إني أَذْنبتُ ذنباً أُهْبِطْتُ منه إلى الأرض ولكن ائتوا نوحاً فيأْتون نوحاً فيقولُ: إني دَعَوْتُ على أهل الارض دعوةً فأُهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأْتون إبراهيم فَيقول: إني كَذَبْتُ ثلاثَ كَذَبَاتٍ ما منها كذبة إلا ما حَلَ[1] بها عن دين الله، ولكن ائتوا موسى. فيأْتون

---

(١) المِحالُ: الكيْدُ، ورَوْمُ الأمرِ بالحيل ـ قاموس ـ مصححة.

موسى فيقول: إني قتلتُ نفساً ولكن ائتوا عيسى. فيأتون عيسى فيقول: إني عُبِدْتُ من دونِ الله، ولكن ائتوا محمداً. فيأتوني فأنْطَلِقُ معهم فآخذ بَحلْقة باب الجنةِ فأُقَعْقِعها فيقال: مَن هذا؟ فأقول مُحمد فيفتحون لي ويُرَحّبون فيقولون: مرحباً، فأخرُّ ساجداً فَيُلْهِمْني الله من الثناء والحمد فيقال: ارفع رأسك، سِلْ تُعْطَ واشفع تُشفَّعْ، وقل يُسْمَع لقولك، وهو المقام المحمودُ الذي قال الله ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[1] أخرجه الترمذي وابن خزيمة عن أبي سعيد إلا قوله: فآخُذُ بَحْلقِة باب الجنة فإنها عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا سيد ولد آدمَ يوم القيامة، وأول من ينشقُّ عنه القبر، وأول شافع واول مشفَّع» أخرجه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيٍّ يومئذٍ، آدم فَمن سواه، إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشقُّ عنه الأرض ولا فخرَ، وأنا أول شافع وأول مشفَّع ولا فخر» أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفّع ولا فخر». أخرجه الدارمي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا محمد وأحمدُ والمقفّي والحاشر ونبيّ التوبة، ونبي الرحمة». أخرجه الإمام أحمد ومسلم عن أبي ذرّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم. والمقفّى آخر الانبياء المتّبع لهم.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٩.

«أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابُها، فمن أراد العلمَ فلْيأْتِ البابَ» أخرجه العقيلي وابن عدى والطبراني والحاكم عن ابن عباس وابن عدى والحاكم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أنا النبيُّ الأميّ الصادق الزكيّ، الْوَيْلُ كلُّ الويلِ لمن كذَّبني وتولّى عني وقاتلني، والخير لمن آواني ونصرني وآمن بي وصدّق قولي وجاهد معي». أخرجه ابن سعد عن عمر بن حبان عن النبي صلى الله عليه وسلم. الزكي: الصالح. والويل: الحزن والهلاك والمشقة.

«أنا النبيّ لا كَذِبَ، أنا ابن عبد المطَّلِب، أنا أعرب العرب، وَلَدَتْني قريش، ونشأتُ في بني سعد بن بكر، فأنَّى يأتيني اللّحن»؟ أخرجه الطبراني عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أعربُ العرب: أي أفصحهم. ومعني أنَّى: كيف.

«أنا أتقاكم لله، وأعلمكم بالله أنا» أخرجه البخاري عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إنَّ الجنةَ حُرِّمتْ على الأنبياء كلهم، حتى أدخلها، وحُرِّمتْ على الأمم حتى تدخلَها أمتي» أخرجه ابن النجار عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إن ربي استشارني في أمتي ماذا أَفْعَلُ بهم؟ فقلتُ: ما شئتَ يا ربي، هم خلقُك وعبادُك. فاستشارني الثانيةَ، فقلتُ لهُ كذلك، فاستشارني الثالثة، فقلتُ له كذلك، فقال: إني لن أُخْزِيكَ في أمتك يا أحمد، وبشَّرني أَنَّ أولَ من يدخل الجنةَ معي مِن أمتي سبعون ألفاً، مع كل ألفٍ سبعون ألفاً ليس عليهم حساب. ثم أرسلَ إليَّ: أُدْعُ تُجَبْ، وسَلْ تُعْطَ. فقلت لرسوله: أَوَ مُعْطِيَّ ربّي سُؤْلي؟ قال: وما أرسل إليك إلا ليعطيكَ،

ولقد أعطاني من غير فخر: غفرَ لي ما تقدَّم من ذنبي وما تأخر، وأنا أمشي حيّاً صحيحاً، وأعطاني أن لا تُخزَى أمتي ولا تُغلَبَ، وأعطاني الكوثرَ نهراً في الجنة يَسيل في حوضي، وأعطاني القوةَ والنصر، والرعبَ يسعى بين يديَّ شهراً، وأعطاني أني أولُ الأنبياء دخولاً الجنةَ، وطيَّبَ لي ولأمتي الغنيمةَ، وأحلَّ لنا كثيراً مما شدّد على مَن كان قبلنا، ولم يجعل علينا في الدين من حَرَج». أخرجه الإمام أحمد وابن عساكر، عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وَخزِيَ يَخْزَى خَزَايةً: أي استحيا، وخَزَى يخزى خِزياً ذلّ وهان. والحَرج الضِيق. ومعنى «لا تغلب»: لا يستأصلها العدو. إنَّ لكل نبي منبراً من نورٍ يوم القيامة، وإني لعَلَى أطولها وأنورها». أخرجه ابن أبي منصور عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إن لي أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناسُ على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ، وأنا العاقب». أخرجه الإمام مالك وابن عدي والترمذي والنسائي، عن جبير بن مُطِعم عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال في النهاية: قال صلى الله عليه وسلم: إن لي أسماءً وعدّ فيها: وأنا الحاشر، أي الذي يُحشر الناس خلفه، وعلى ملّته دون ملة غيره. وقوله: إن لي أسماءً أراد أن هذه الاسماء التي عدها مذكورة في كتب الله تعالى المنزلة. ومعنى العاقب: آخر الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

«إن لي عند ربي عشرةَ أسماءٍ: محمد وأحمد وأبو القاسم والفاتح والخاتم والماحي والعاقب والحاشر ويس وطه». أخرجه ابن عدي وابن عساكر عن أبي الفضل عن النبي صلى الله عليه وسلم. الفاتح: الظاهر أنه بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم: كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد.

«إن الله أَبَىَ لي أن أَتَزَوَّجَ وأُزَوِّجَ إلا أهل الجنة». أخرجه ابن عساكر

عن هند بن أبي هالة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً. وإن خليلي أبو بكر» أخرجه الطبراني عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إن الله أدرك بي في الأَجلَ المرجوّ، واختارني اختياراً. فنحن الأولون، ونحن السابقون يوم القيامة، وإني قائل قولاً غيرَ فخر: إبراهيمُ خليلُ الله، وموسى صفيُّ الله، وأنا حبيب الله، ومعي لواء الحمد يوم القيامة، وإن الله وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاثٍ: لا يُفنيهم بسنَةٍ، ولا يَسْتَأصِلَهم عدوّ، ولا يَجْمَعهُم على ضلالة» أخرجه الدارمي وابن عساكر عن عمرو بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال في النهاية: في حديث: إني أبرأ إلى كل ذي خُلّة من خُلّته. الخُلة: بالضم الصداقة والمحبة التي تخلّلت القلب فصارت خِلاَلَه أي في باطنه، والخليل: الصديق. وإنما قال ذلك لأن خلتّه صلى الله عليه وسلم كانت مقصورة على حب الله تعالى فليس فيها لغيره متّسع ولا شركة من محابّ الدنيا والآخرة، وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب واجتهاد، فان الطباع غالبة وانما يخص الله بها من يشاء من عباده، مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، وبذلك يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو خليل الله أيضاً، كما أنه حبيبه تعالى، والحبيب أبلغ من الخليل، والصفّي: المتخيَّر، من الصفوة وهو صلى الله عليه وسلم صفيّ الله أيضاً ومصطفاه. والسَّنة: الجدب، يقال: أخذتْهم السنُة: إذا أجدبوا واقْحطوا.

«إن الله اصطفى من وَلَدِ ابراهيمَ إسماعيلَ واصطفى من ولد إسماعيل بني كِنانةَ، واصطفى من بني كِنانَة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» أخرجه الترمذي عن واثلة عن النبي صلى الله عليه وسلم. اصطفى: أي اختار، من الصفوة وهي خيار الشيء.

«إن الله بعثني إلى كل أحمرَ وأسودَ، ونُصِرتُ بالرعب، وأُحلّ لَى المغنمُ، وُجُعِلتْ ليَ الأرض مسجداً وطَهوراً، وأُعطيتُ الشفاعةَ للمذنبين من أمتي يوم القيامة». أخرجه ابن عساكر عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال في النهاية: في حديث: بعثتُ إلى الأحمر والأسود أي العجم والعرب، لأن الغالب على ألوان العجم الحمرة والبياض، وعلى ألوان العرب الأُدمة والسمرة.

«إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق، وكمال محاسن الأعمال». أخرجه الطبراني في الأوسط عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال في النهاية: الخُلق بضم اللام وسكونها: الدين والطبع والسجية، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «بعثت لأتمم مكارمَ الاخلاق».

«إن الله بعثني بالهدى ودين الحق ولم يجعلني زرّاعاً ولا تاجراً ولا سخّاباً بالأسواق، وجعل رزقي في رمحي». أخرجه الديلمي عن عبد الرحمن بن عتبة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم. السخّاب: الصيّاح، يقال بالسين وبالصاد.

«أن الله بعثني رحمةً مهداة، وبعثت برفع قوم وخفض آخرين». أخرجه ابن عساكر عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إن الله بعثني مرحمةً وملحمة، ولم يبعثني تاجراً ولا زرّاعاً. أخرجه ابن جرير عن الضحاك مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال في النهاية: ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم: نبيّ الملحمة، يعني نبيّ القتال، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم: بعثت بالسيف.

«إن الله جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جبّاراً عنيداً» أخرجه أبو داود وابن ماجه عن عبيد الله بن بُسْر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إن الله خلقَ الخلق فَجعلني في خير فِرَقِهِم، وخير الفريقين، ثم خيّر القبائل فجعلني في خير القبيلة، ثم خيّرَ البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً أخرجـه الترمذي عن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظرُ إليها وإلى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة، كأنني أنظرُ إلى كفّي هذه» أخرجه مسلم والطبراني عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إن الله لم يبعثني مُعْنِتّا ولا متعنتا ولكن بعثني معلماً ميسراً». أخرجه مسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم. العنَت: المشقّة وأعنتهُ يعنته: ضرّه. وقال في المصباح: تعنّته أدخل عليه الأذى، وأعنته: أوقعه في العنت وفيما يشق عليه تحمله.

«إن الله لم يجعلني لحّاناً، اختارَ لي خيرَ الكلام، كتابةَ القرآنَ» أخرجه الشيرازي في الألقاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إنما بُعثت فاتحاً وخاتماً وأُعطيت جوامعَ الكلم وفواتحَه واختُصِرَ لي الحديثُ اختصاراً» أخرجه البيهقي عن قتادة مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إنما بُعثتُ لأتممَ صالحَ الاخلاق». أخرجه ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد، والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إنما خرجتُ من نكاحٍ ولم أُخرُج من سفاح، من لدن آدم لَم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء، ولم أخرج إلا من طَهرَة». أخرجه ابن سعد عن محمد بن علي بن الحسين مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إني عند الله في أمّ الكتاب لخَاتمُ النبيين، وإن آدمَ لَمنجُدِلٌ في طينته، وسأخبركم في تأويل ذلك: أنا دعوة أبي ابراهيمَ، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت حين وَلدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصورُ الشام، وكذلك أمهات النبيين يَرَيْنَ». أخرجه الإمام أحمد والطبراني والحاكم، وأبو نعيم في الحِلية، والبيهقي، عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم. وأم الكتاب: اللوح المحفوظ كما في القاموس. وقال في النهاية: وفي الحديث: أنا خاتم النبيين في أم الكتاب، وإن آدم لمنجدل في طينته أي مُلقى على الجَدالة وهي الأرض. ودعوة إبراهيم قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً﴾ الآية وبشارة عيسى هي قوله ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

«إني لأمينٌ في السماء، أمين في الأرض». أخرجه الطبراني عن أبي رافع عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«إني لسيدُ الناس يوم القيامة غيرَ فخر ولا رياءٍ، وما من الناس من أحد إلا وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظرُ الفرَج، وإن بيدي للواء الحمد. فأمشي ويمشي الناس معي، حتى آتي بَابَ الجنة فأستفتحُ فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد فيقال: مرحباً بمحمد، فإذا رأيتُ ربّي عز وجل خررت له ساجداً، شكراً له. فيقال: ارفع رأسك وقُل تُطاع واشفَع تشفع، فيخرج من النار من قد احترق برحمة الله وشفاعتي». أخرجه الحاكم وابن عساكر عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«أول عينٍ تنظرُ إلى الله عيني». أخرجه الديلمي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم

«بُعثتُ بجوامع الكلم ونصرتُ بالرعب وبينا أنا نائم أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوضُعتْ في يدي». أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«بُعثتُ رحمةً ولم أُبعث عذاباً». أخرجه البخاري في التاريخ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

«بُعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ فيه». أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. والقرن: أهل كل زمان وقيل: أربعون سنة، وقيل: ثمانون وقيل: مائة.

«بينما أنا في الحطيم مضطجعاً إذ أتاني آتٍ فقَدَّ، قال: وسمعته يقول: فشقَّ ما بين هذه إلى هذه. قال الراوي: من ثُغْرة نحره إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أُتيتُ بطِستٍ من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حُشي ثم أُعيدَ، ثم أُتيت بدابّة دون البغل وفوق الحمارَ أبيض. قال الراوي: هو البُراق، يضع خطوه عند أقصى طرْفة، فحُملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيُء جاء. ففُتح فلما خلصتُ فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدمُ فسلّمْ عليه، فسلمت عليه فردَّ السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبيّ الصالح. ثم صَعِد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتَحَ قيل: مَن هذا؟ قال: جبريُلَ قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل اليه؟ قال نعم، قيل: مرحباً به فنعمَ المجيُء جاء. ففُتح فلما خلصتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال: هذا يحيى وعيسى، فسلّم عليهما. فسلمتُ فردَّا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صَعِد بي الى السماء الثالثة فاستفتَحَ قيل: مَنْ هذا؟ قال؛ جبريل قيل ومن معَك؟ قال؛ محمد. قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحباً به فنعم المجيُء جاء ففُتح فلما خلصتُ إذا يوسف، قال؛ هذا يوسف، فسلّمْ عليه، فسلمتُ عليه فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح

والنبي الصالح. ثم صَعِد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتَحَ، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: من مَعك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل اليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيُء جاء ففُتحَ، فلما خلصتُ اذا إدريس، قال: هذا إدريس، فسلمْ عليه فسلمت عليه فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاسفتَحَ، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال؛ محمد. قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به. فنعم المجيُء جاء ففُتح فلما خلصتُ فإذا هارون، قال: هذا هارون، فسلّم عليه، فسلمتُ عليه فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل:وقد أُرسل اليه؟ قال نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيُء جاء. ففُتح، فلما خّلصتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلّم عليه. فسلّمت عليه فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيّ الصالح .فلما تجاوزته بكى. قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنةَ من أمته أكثرُ مما يدخلها من أمتي. ثم صَعِد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل مَن هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. ففُتح فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك إبراهيم فسلّم عليه. فسلمت عليه فردّ السلامَ فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبيّ الصالح.

ثُم رفعتُ إلى سدرة المنتهى فاذا نَبِقُها مثل قِلال هجرَ، واذا ورقُها مثل آذان الفِيلَةَ، قال: هذه سِدرة المنتهى، واذا أربعة أنهار، نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: ما هـذا يا جبريل، قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. ثم رُفع لي البيتُ المعمور فإذا هو يدخله كلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ، ثم أُتيتُ باناء من خمر، وإناء من لبن،

وإناء من عسلَ فأخذتُ اللبن، فقال: هي الفِطرة التي أنت عليها وأمتك. ثم فُرضتْ عليَّ الصلواتُ خمسين صلاة كلَّ يوم، فرجعتُ فمررتُ على موسى فقال: بمَ أُمرتَ؟ قلتُ: أُمرتُ بخمسين صلاةً كلَّ يوم. قال: إن امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جرَّبت الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيفَ لأمتك، فرجعتُ فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال: مثلَه، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثَله فرجعت فوضع عني عشراً فأُمرت بعشر صلوات كلَّ يوم، فرجعتُ فقال مثَله، فرجعت فأُمرت بخمس صلوات كلَّ يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بمَ أُمرتَ؟ قلت أُمرتُ بخمس صلوات كلَّ يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كلَّ يوم، وإني قد جربتُ الناس قبلك وعالجتُ بني اسرائيل أشدَّ المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قلتُ: سألتُ ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأُسلّمُ قال: فلما جاوزتُ ناداني منادٍ أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي» رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن مالك بن صعصعة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم. قال في النهاية. في حديث سدرة المنتهى: فإذا نَبِقُها أمثال القِلال: النبق بفتح النون وكسر الباء، وقد تسكن: ثمر السِدْر، واحدته نَبِقة ونَبقة، وأشبه شيء به العناب قبل أن تشتدّ حمرته، والقلال: جمع قُلة. وقال في موضع آخر منها: ومنه الحديث في صفة سدرة المنتهى: نَبِقها مثل قلال هجر، وهجر: قرية قريبة من المدينة، وليست هجر البحرين، وكانت تعمل بها القلال تَأخذ الواحدة منها مزادة من الماءِ سميت قُلّة لانها تُقَلُّ أي تُرفع وتحمل، وأخرجه النسائي عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أُتيتُ بدابّة فوق الحمار ودون البغل، خطوُها عند منتهى طرفها، فركبت ومعي جبريل عليه السلام، فسرت فقال: انزل فصلّ، ففعلت، فقال: أتدري

أين صليتَ؟ صليتَ بطيبةَ، وإليها المهاجَر. ثم قال: انزل فصلِّ، فصليت، فقال: أتدري أين صليتَ؟ صليتَ بطور سيْناء، حيث كلّم الله موسى عليه السلام. ثم قال: انزل فصلِّ، فصليت، فقال: أتدري أين صلّيتَ؟ صليتَ ببيت لحم حيث وُلِدَ عيسى عليه السلام. ثم دخلت إلى بيت المقدس فجُمعَ لي الإنبياء عليهم السلام فقدَّمني جبريل حتى أممتُهم ثم ذكر صعود جبريلَ به صلى الله عليه وسلم إلى السموات سماءً سماءً على نحو ماتقدم»، وقد استوفيت استيفاء تاماً روايات أحاديث الإسراء والمعراج في كتابي «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين» صلى الله عليه وسلم، وسقت القصة على أحسن وجه وأجمل ترتيب، مع استيفاء الروايات في كتابي «الأنوار المحمدية مختصر المواهب اللدنية».

«خيارُ ولد آدم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيس، ومحمد. وخيرهم محمد». أخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«رأت أمي حين وضعتني نوراً سطع منها أضاءت له قصور بُصرى». أخرجه ابن سعد عن أبي العجناء عن النبي صلّى الله عليه وسلم. بُصرى: بلدة في الشام.

«السُّبّاق أربعة، أنا سابق العرب، وصُهيبٌ سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحَبش». أخرجه البزار والطبراني والحاكم عن أنس عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«سلَّمَ عليَّ ملكٌ ثم قال لي: لم أزل أستأذنُ ربّى عزوجل في لقائك حتى كان هذا أوانَ أُذِنَ لي، وأنا أُبشرك أنه ليس أحد أكرم على الله منك». أخرجه ابن عساكر عن عبد الرحيم بن غُنْم عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«سلوا الله لي الوسيلة، قالوا: يا رسول الله، وما الوسيلةُ؟ قال: أعلى

درجةٍ في الجنة، لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو». أخرجه الترمذي عن أنس عن النبي صلّى الله عليه وسلم».

«فُضّلتُ على الأنبياء بستة: أُعطيتُ جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحلّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلتُ إلى الخلق كافّةً وختُم بي النبيون» أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«قال لي جبريل: قلّبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد، وقلّبتُ مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أبٍ أفضلَ مَن بني هاشم». أخرجه الحاكم في الكنى وابن عساكر عن عائشة عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«قسم الله الأرض نصفين فجعلني في خيرهما، ثم قَسمَ النصف على ثلاثة، فكنتُ في خير ثلث، ثم اختار العربَ من الناس، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم، ثم اختارني من بني عبد المطلب». أخرجه ابن سعد عن جعفر ابن محمد بن علي بن حسين عن أبيه معضَلاً، عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» أخرجه الطبراني والحاكم والبيهقي عن عمر، والطبراني عن ابن عباس، والمسور عن النبي صلّى الله عليه وسلم. السبب بالزواج، والنسب بالولادة.

«كلّ نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلّا نسبي وصهري». أخرجه ابن عساكر عن ابن عمر عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«كنت أولَ الناس في الخَلقْ وآخرهَم في البعث». أخرجه ابن سعد

عن قتادة مرسلاً عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

كنتُ نبياً وآدم بُين الروح والجسد». أخرجه ابن سعد وأبو نعيم في الحلية عن ميسرة عن النبي صلّى الله عليه وسلم. يعني قبل أن تُنفخ فيه الروح.

«كنت نبياً وآدم في الجنة في صلبه، وركبت في السفينة في صلب أبى نوح وقُذِف بي في النار في صلب إبراهيم، ولم يلتقِ أبواي قطُّ على سِفاحٍ، ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة مصفًّى مهذباً لا تتشعبُ شُعبتان إلا كنت في خيرهما، قد أخذَ الله بالنبوة ميثاقي، وبالإسلام عهدي، ونشر في التوارة والإنجيل ذكرى، وبيَّن كل نبيّ صفتي، تشرق الأرض بنوري، والغمام لوجهتي، وعلمني كتابي في سمائه، وشقَّ لي أسماءً من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد، وعدَني أن يحبوني بالحوض والكوثر، وأن يجعلني أول شافعٍ، وأول مشفّع، ثم أخرجني من خير قرنٍ لأمتي وهم الحمّادون، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر». أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وسلم. وحباه: أعطاه. قال في المصباح: القَرن: الجيل من الناس، قيل ثمانون سنة وقيل سبعون. وقال الزجاج: الذي عندي ـ والله أعلم ـ أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبيّ أو طبقة من أهل العلم، سواء قلّت السنون أو كثرت. قال: والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: خير القرون قَرْني، يعني أصحابه، ثم الذين يلُونهم، أي الذين أخذوا العلم عن التابعين.

«اللهم إني أولُ من أَحيا أمرَك إذْ أماتوه». أخرجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن البراء عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

لما اقترفَ آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحقِ محمد إلا غفرتَ

لي. فقال الله تعالى: وكيف عرفت محمداً ولم أُخلقه بعدُ؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك، رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تُضِف إلى اسمك إلاّ أحبَّ الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لَأحبُّ الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك». أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الدلائل، والحاكم والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر عن عمر عن النبي صلّى الله عليه وسلم: المراد بالروح: الذي يقوم به الجسد وإضافته لله للتشريف.

«لما خَلَقَ الله آدمَ خبَّره ببنيه فجعل يَرَىَ فضائلَ بعضهم على بعض، فرآني نوراً ساطعاً في أسفلهم، فقال: يا ربِّ مَن هذا؟ قال: هذا ابنك محمد، هو الأول، وهو الآخر وهو أول شافع وأول مشفع». أخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«ما اختلط حبيّ بقلب عبدٍ إلاّ حرَّمَ الله جسدَهُ على النار». أخرجه أبو نُعيم في الحلية عن ابن عمر عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«ما من أحد يسمعُ بي من هذه الأمة، ولا يهوديٌّ ولا نصراني، فلا يؤمن بي، إلاّ دخل النار». أخرجه الحاكم عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وسلم».

«ما من الأنبياء من نبي إلاّ وقد أُعْطي من الآيات ما مثلهُ آمَنَ عليه البشرُ، وإنما كان الذي أوتيتهُ وَحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرهَم تابعاً إلى يوم القيامة». أخرجه الإمام أحمد، والبخاري ومسلم، عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلم عليه وسلم.

«ما من شيء إلا يعلم أني رسول الله، إلاّ كفَرة الجن والإنس». أخرجه الطبراني عن يعلى بن مرة عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«ما وَلَدَتْنِي بَغِيٌّ قَطُّ مُـنْذُ خرجتُ من صلب آدمَ، ولم تـزلْ تَنَازَعُني الأمم كابراً عن كابر، حتى خرجتُ من أفضل حيَّيْنِ من العرب: هاشمٍ وزُهْرة». أخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة عنَ النبي صلّى الله عليه وسلم. البغيّ: الفاجرة: بغَت المرأةُ تبغي بغاءً، بالكسر: إذا زنت فهي بغيّ. والمـراد بتنازع الأمم إياه: انتقاله في آبائه وأمهاته من أمةٌ إلى أمّة إلى أن وصل أباه وأمه صلّى الله عليه وسلم. قال في النهاية ورثته كابراً عن كابر، أي ورثته عن آبائي وأجدادي، كبيراً عن كبير، في العز والشرف. والحي: القبيلة من العرب، والجمع أحياء.

«مَثَلي في النبيين كَمَثل رجل بنى داراً فأَحصنها وأكملَهَـا وأجملها وترك فيها مَوْضِعَ لَبِنَةٍ لم يَضعَهْا فجعل الناسُ يطوفون بالبُنْيَان ويعجبون منه ويقولون. لو تَمَّ مَوْضعُ هذه الَّلبنة. فأنا في النبيين موضـع تلك الَّلِبنة». أخرجه مسلم والترمذي عن أُبَيّ والإمامُ أحمد والشيخـان والترمـذي عن جابر، والإمامُ أحمد والشيخان عن ابي هريرة، والإمامُ أحمد ومسلم عن أبي سعيد عن النبي صلّى الله عليه وسلم: واللَّبِنةُ واحدة الَّلِبن، وهي التي يبنى بها الجدار، ويقال لِبْن.

«من آذى شعرة، من شعري، فالجنة عليه حرام». أخرجه أبو الحسن بن المفضل في مسلسلاته عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«مِن كرامتي على ربي أني وُلدتُ مُختوناً ولم يرَ أحد سَوْأتي». أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس عن النبي صلّى الله عليه وسلم. والسَّوْءة الفَرْج.

«والله لا تجدون بعدي أعدلَ عليكم مني» أخرجه الطبراني والحاكم عن أبي برزة عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«ومالي لا أضحك وهذا جبريلُ يخبرني عن الله عزوجل أن الله بَاهَى بي وبعمّي العباس، وبأخي عليّ بن ابي طالب سكانَ الهواء وحمَلة العرش وأرواح النبيين وملائكةَ ست سموات؟». أخرجه ابن عساكر عن علي، عن النبي صلّى الله عليه وسلم. قال في القاموس: تباهوا تفاخروا.

«يا أبا ذر، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة، فوقع أحدهما إلى الأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أَهُوَ هو؟ قال: نعم، فزِنْه برجل، فوُزِنْتُ به فَوُزَنْتُه، ثم قال: زنْه بعشرة فوزِنْتُ بهم فرجحتُهم، ثم قال؛ زنه بمائة، فوُزنتُ بهم فَرجحتُهم، ثم قال: زِنْه بألف فوزُنت بهم فرجحتُهم، كأني أنظر إليهم ينتثرون عليّ، من خفة الميزان، فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمته لرجحها. أخرجه الدارمي عن أبي ذر الغِفاري عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النورُ يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنّة ولا نار ولا مَلك ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمر، ولا جن ولا إنس، فلمّا أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النورَ أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلمَ ومن الثاني اللوحَ ومن الثالث العرشَ ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنةَ والنارَ، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نورَ أبصار المؤمنين، ومن الثاني نورَ قلوبهم، وهو المعرفة بالله تعالى، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله». الحديث أخرجه عبد الرزاق في مسنده عن جابر أنه قال: يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء، فقال: صلّى الله عليه وسلم: يا جابر، الحديث.

«يا عليُّ في العرش مكتوب: انا الله ومحمد رسولي». أخرجه أبو نعيم عن علي عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

«يُبعَثُ الناس يُوم القيامة فأكونُ أنا وأمتي على تلٍّ، ويكسوني ربي حُلةً خضراء، ثم يؤْذَن لي فأقولُ ما شاء الله أن أقولَ فذلك المقام المحمود». أخرجه الإمام أحمد، والطبراني والحاكم وابن عساكر، عن كعب بن مالك عن النبي صلّى الله عليه وسلم.

* * *

الباب الخامس

في شمائله الشريفة (وهو فصلان)

الأول في وصف صورته الشريفة صلى الله عليه وسلم

أخرج عبد الرزاق عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير، ربعةٌ أبيضُ اللون، مُشرَبٌ بحمرة، جَعْدٌ ليس بالقَطِط، شارعُ الأنف واضحُ الجبين صَلْتُ الخدين، مقرونُ الحاجبين أدعجُ العينين، مُفَلَّج الثنايا، كأنَّ عنقه إبريقُ فضة، بين كتفيه خاتم النبوة».

الرَّبعة: المربوع بين الطويل والقصير. والجَعْد: ضد السبط. والسَّبط: مسترسل الشعر. قال في النهاية: وفي حديث صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام: شَراع الأنف أي ممتدُّ الأنف طويله، أي ومثله شارع. وصلْت الخدين: أملسهما. والدُّعجة: شدَّة سواد العين. ومفلَّج الثنايا متفرقها.

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن أبي بكر أيضاً قال: «كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر»، والمراد من دارة القمر دورته. وأصل الدارة: الدائرة حول القمر، وهي الهالة كما في المختار.

وأخرج ابن عساكر عن عمر رضي الله عنه أنه وصفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيضَ اللون مُشْرباً حمرة، أدعجَ العينين، كثَّ اللحية، ذا وَفْرَةٍ دقيقَ المَسرُبة، كأن عنقه إبريقُ فضة كان يجري له شعرٌ من لبَّته إلى سُرَّته، كالقضيب، لم يكن في جسده شعرٌ غيرُه شثنَ الأصابع، شثنَ الكفين والقدمين، اذا التفت التفت جميعاً، وإذا مشى كأنما يَتَقَلَّعُ عن صخر، وكأنما يَنْحَطُّ من صببٍ، إذا جاء مع القوم غَمَرَهم. كأنَّ ريحَ عرَقه المسكُ، بأبي وأمي لم أرَ قبله ولا بعده مثله».

الكثاثة في اللحية: أن تكون غير دقيقة ولا طويلة. والوفرة:شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الاذن. والمسرُبة: الشعر الممتد من الثُّغرة إلى السرّة. وشثن الأصابع: غليظها. وكذا ما بعده. والصَبب: الموضع المنخفض. وغمَرهم: أي كان فوقهم.

وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه أنه قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل المُمغَّط، ولا بالقصير المتردِّد، وكان رَبعة، من القوم، ولم يكن بالجعْد القَطط ولا بالسبط، كان جعْداً رَجِلاً. ولم يكن بِٱلْمُطَهَّمِ ولا بالمُكَلثَمَ، وكان في وجهه تدوير أبيض، مُشربٌ أدعجُ العينين، أهدبُ الأشفار، جليلُ المُشاش والكَتَد، أجردُ، ضخم الرأس، ضخم الكراديس، طويلُ المسرُبة شَثْنُ الكفيّن والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما ينحطُّ من صبَبَ، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين».

الطويل الممغّط: المتناهي في الطول. والقصير المتردد: المتناهي في القصر. وٱلّربعة المربوع، والشعر الجعد: الذي فيه ٱلْتواء. والقطط: الشديد الجعودة، والسبط: المسترسل. والرَّجل: الذي لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما. والمطَّهم: المنتفخ الوجه، وقيل:

الفاحش السمن، وقيل: النحيف الجسم، وهو من الأضداد، والمكلثم من الوجوه: القصير الحنك، الداني الجبهة، المستدير مع خفة اللحم. والدُّعجة شدة سواد العين. وأهدب الأشفار: طويل شعر الأجفان. وجليل المُشاش: عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين. والكتد بفتح التاء وكسرها مجتمع الكتفين وهو الكاهل. والأجرد الذي ليس على بدنه شعر. قال في النهاية: ولم يكن صلى الله عليه وسلم كذلك، وإنما أراد به أن الشعر كان في أماكن من بدنه كالمسْرُبة والساعدين والساقين، فإن ضدَّ الأجرد: الأشعر، وهو الذي على جميع بدنه شعرٌ. والكراديس رؤوس العظام واحدها كُردوس، وقيل: هي ملتقى كل عظمين ضخمين، كالركبتين والمرفقين والمنكبين، أراد أنه صلى الله عليه وسلم ضخم الأعضاء. والمسْرُبة: الشعر الممتد من الُّلبّة إلى السرّة وشَثْن الكفين: هو الذي في أناملهِ غلظ بلا قصر.

وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه أيضاً أنه قال في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير، شَثْنُ الكفين والقدمين، ضخمُ الرأس ضخم الكراديس، طويلُ المسرُبة، إذا مشى تكفأ تكفّؤاً كأنما ينحطُّ من صبب، لم أرَ قبله ولا بعده مثله». تقدم قريباً تفسير الشثن والكراديس والمسربة. وتكفّأ تكفّؤا: تمايل إلى قدّام. وروى بالهمز وبالياء. والصَّبب المكان المنخفض.

وأخرج البيهقي في السنن عن علي رضي الله عنه أيضاً أنه قال: كان رسول لله صلى الله عليه وسلم أبيض مشرَباً بحمرة، ضخمَ الهامة، أغرَّ أبلجَ، أهدبَ الأشفار». الهامة الرأس. والأغرُّ من الغُرّة، وهو بياض الوجه. والأبلج الذي قد وَضُح ما بين حاجبيه فلم يقترنا والاسم: البَلَج، والأشفار جمع شُفْر، وهو بالضم، وقد يفتح، حرف جفن العين الذي ينبت عليه

الشعر، والهدَب: طول شعر الجفن.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن علي رضي الله عنه أيضاً قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيضَ مُشْرَباً حُمْرَةً، وكان أسودَ الحدقة أهدب الأشفار». حدقة العين: سوادها الأعظم، كما في المختار.

وأخرج ابن مردويه، وابن سعد، والخرائطى، عن علي أيضاً أنه قال: «ما بعث الله نبياً قط إلاّ صبيحَ الوجهِ كريم الحسب حَسَنَ الصوت، وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم صبيح الوجه كريمَ الحسب حَسَنَ الصوتِ». وصَبُح الوجهُ صباحةً: أنار فهو صبيح. قاله في المصباح. والحسب: الشرف بالآباء وما يعدّ الإنسان من مفاخرهم.

وأخرج الترمذي عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه أنه قال، وكان وصافاً للنبي صلى الله عليه وسلم: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فَخْماً مُفَخَّماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلةَ البدر، أطولَ من المربوع وأقصرَ من المشذَّب، عظيمَ الهامة رَجِلَ الشعر، إن انفرقت عقيقته فرقها. وإلا فلا يجاوز شعرُه شحمة أذنيه إذا هو وَفرَهُ، أزهرَ اللون، واسعَ الجبين، أزجَّ الحواجب، سوابغَ في غيرِ قَرنٍ، بينهما عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغضبُ، أقنى العرِنين له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشمَّ كثَّ اللحية سهل الخدين، ضليع الفم مفلَّجَ الأسنان، دقيقَ المسرُبة، كأن عنقه جيدُ دُمْيةٍ في صفاء الفضة، مُعْتَدِلَ الخَلق، بَادِناً متماسكاً، سواءَ البطن والصدر، عريضَ الصدر، بعيدَ ما بين المنكِبين. ضخمَ الكراديس، أنورَ المتجرَّد، موصولَ ما بين اللَّبة والسرّة بشعر يجري كالخط، عاريَ الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعرَ الذراعين والمنكبين، وأعالي الصدر، طويلَ الزّندين، رحبَ الراحة، شَثْنَ الكفين والقدمين، سائلَ الأطراف، خُمصانَ الأخمصين، مسيحَ القدَمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال قلعاً، يخطو تكفياً، ويمشي هَوناً، ذريعَ المِشْية، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صبَب وإذا التفت التفت جميعاً، خافضَ الطرْف، نَظرُه إلى

الارض أطولُ من نظره إلى السماء، جلُّ نظره الملاحظةُ، يسوق أصحابَه وَيبدُرُ من لقيه بالسلام».

كان صلى الله عليه وسلم فخماً مفخماً: أي عظيماً معظماً في الصدور والعيون ولم تكن خلقته في جسمه الضخامة. وقيل: الفخامة في وجهه نُبله وامتلاؤه مـع الجمال والمهابة. ويتلألأ وجهه: أي يشرق ويستنير، مأخوذ من اللؤلؤ. والمشذب: الطويلُ البائنُ الطولِ مع نقص في لحمه. والهامة: الرأس. والرَّجِل: الذي ليس شديد جعودة الشعر ولا شديد السبوطة بل بينهما. وقوله: إن انفرقت عقيقتُه فَرقها: قال شيخ مشايخي الشيخ إبراهيم الباجوري في حاشيته على الشمائل: أي إن قبلت الفرْقَ بسهولة بأن كان حديثَ عهد بغسل فرَقها، أي جعلها فرِقتَيْن: فرقة عن يمينه، وفرقة عن يساره اه. والمراد بعقيقته شعر رأسه الذي على ناحيتيه لأنه يُعَقُّ أي يُقطعُ ويُحلقُ. والعقيقة حقيقةً الشعرُ الذي ينزل مع المولود. ووفَره: أي جعله وَفْرةً. والوَفْرة: شعر الرأس اذا وصل إلى شحمة الأذن. قاله في النهاية. وقال الباجوري: إذا تجاوز شحمة الأذن ولم يصل للمنكبين. والأزهر: الابيض المستنير. والزهر والزُّهرة: البياض النيِّر، وهو أحسن الألوان. الزَّجج تقوُّس في الحاجب مع طولٍ في طرفه وامتداد. وسوابغ: أي كاملات والقَرَن: اقتران الحاجبين بحيث يلتقي طرفاهما. وضدُّه البَلَجُ. قال الباجوري: والقَرن معدود من معايب الحواجب، والعرب تكرهه، خلافَ ما عليه العجم. وإذا دققت النظر علمت أن نظر العرب أدقّ، وطبعهم أرقّ. ولا يعارض خبر أم معبد ـ بفرض صحته ـ كان أزجَّ أقرنَ الحواجب، لأن المراد منه أنه كان كذلك بحسب ما يبدو للناظر من غير تأمل، وأما المتأمل فيبصر بين حاجبيه فاصلاً لطيفاً فهو أبلجُ الحواجب في الواقع، أقرنُها بحسب الظاهر. ويدرُّه الغضب، أي يصيره ممتلئاً دماً. وأقنى العِرْنين: طويل الانف مع دقة أرنبته وَحدبٍ في وسطه وهو ممدوح. والشَمَمُ: ارتفاع قصبة الأنف، مع

استواء أعلاه ومع إشراف الارنبة. وكثُّ اللحية: ليست بالطويلة ولا بالخفيفة. وسهل الخدين، وفي رواية: أسِيل الخدين، وعلى كل فالمعنى أنهُ كان غير مرتفع الخدين. وضليع الفمِ: عظيم الفم وواسعه، وهو دليل الفصاحة. والفلَج: انفراج ما بين الثنايا. والمسْرُبة: الشعر الممتد من اللّبة إلى الثغرة. والجيد: العنق. والدُّمية الصورة المتخذة من عاج ونحوه. ومعتدل الخلْق: أي معتدل الصورة بمعنى أن أعضاءه متناسبة غير متنافرة. وبادن: أي سمين سمناً معتدلاً، لم يكن سميناً جداً ولا نحيفاً جداً. ومتماسك: ليس بمسترخٍ بل يمسك بعضه بعضاً من غير ترجرجٍ حتى إنه في السن الذي شأنه استرخاء البدن كان كالشباب، ولذلك قال الغزالي: يكاد أن يكون على الخَلْق الأول، فلم يضرّه السن. سواءَ البطنِ والصدر: أي مستويَهما لا يزيد أحدهما على الآخر. عريض الصدر، وفي رواية رحب الصدر: وذلك آية النجابة. وبعيد ما بين المنكبين: أي إنه عريض أعلى الظهر. والمنكب ما بين الكتف والعنق. وضخم الكراديس أي ضخم رؤوس العظام. وأنور المتجرِّد أي ما جرد عنه الثياب من جسده الشريف، يريد أنه كان مشرق الجسد. وموصول ما بين اللَّبَّةِ والسرّةاللبّة: النقرة التي فوق الصدر أو موضع القلادة منه. والسرَّة: ما بقي بعد القطع. وقوله: بشعر يجري كالخط: أي يمتد. والزند: ما انحسر عنه اللحم من الذراع. ورحب الراحة: أي واسع الكف. وشثن الكفين: أي إنهما يميلان إلى الغِلظ والقِصر، وقيل: هو الذي في أنامله غِلظ بلا قِصر، ويُحمد ذلك في الرجال لأنه أشدّ لقبضهم، ويُذم في النساء. وسائل الأطراف: أي طويلها طولاً معتدلاً. وخُمصانُ الأخمَصين: أي شديدُ تَجافيهما عن الأرض شدةً لا تُخرجه عن حد الاعتدال. قال ابن الاعرابي كان صلى الله عليه وسلم معتدل الأَخمص لا مرتفعه جداً ولا منخفضه كذلك. وفي النهاية: وأخمَصُ القدم هو الموضع الذي لا يمسّ الأرض عند الوطء من وسط القدم، مأخوذ من الخمص وهو

ارتفاع وسط القدم عن الأرض والخُمصان، كعثمان: المبالغ فيه، وذلك ممدوح بخلاف القدم الرَّحّاء، وهي التي لا أَخْمَصَ لها بحيث يمسُّ جميعُها الأرض، فإنه مذموم. ومسيح القدمين: أي أملسهما ومستويهما بلا تكسر ولا تشقق، ولذلك قال: ينبو عنهما الماء أي يتجافى ويتباعد عنهما. وإذا زال زال قلعاً: أي إذا مشى رفع رجليه بقوة كأنه يقلع شيئاً من الأرض لا كمشي المختال. ويخطو تكفياً: أي يتمايل في مشيته إلى أمام. وذريع الخطوة: واسع المشية. وقوله: جميعاً أي بجميع أجزائه. والملاحظة: النظر بالّلحاظ، وهو شقُّ العين مما يلي الصدغ ويبدر. وفي نسخة: يبدأ، والمعنى متقارب.

وأخرج البغوي وابن شاهين وابن السكن وابن منده والطبراني والحاكم، وصححه، والبيهقي وأبو نُعيم، من طريق حزام بن هشام بن حبيش بن خالد، عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بأم معبد الخُزاعية حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة وحلب الشاة العجفاء وشَرِب هو ومن معه، وذهبوا، ثم أتى زوجُها فأخبرتْه الخبرَ فقال: صِفيه لي، فقالت: رأيتُ رجلاً ظاهرَ الوضاءة أبلجَ الوجه، حسنَ الخَلْق، لم تَعِبْه نَحلة[1]، ولم تُزربه صَلعة[2]، وسيمٌ قسيمٌ، في عينيه دَعَج، وفي أشفاره عَطَفٌ، وفي صوته صَهَلٌ، وفي عُنُقه سَطَعٌ، وفي لحيته كثاثةٌ، أَزَجُّ أقرَنَ، إن صمتَ فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجملَ الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه من قريب، حُلو المنطق، فَصلٌ، لا نَزْر ولا هَذْر، كأن منطقه خرزات نُظِمْنَ، رَبْعَةٌ لا بائن من طُول ولا تقتحمه عين من قِصر، غصناً بين غصنين، فهو أنضرُ الثلاثة منظَراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفّون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى امره، محفود محشود، لا عابس ولا معتدٍ.

---

(١) في رواية «البداية والنهاية» عن البيهقي (ثَجْلَة): عظم البطن و(صَعْلة): صغر الرأس البداية ١٩٢/٣، اهـ مصححة.

الوضاءة: الحسن والبهجة. وأبلج الوجه: أي مشرق الوجه ومُسِفره. والخَلق: الصورة الظاهرة. والنحلة: الدقّة والهزال. ولم تُزْرِ به: أي لم تَعبه. والصّلعة: هي صغر الرأس والدقة والنحول في البدن. والوسيم: من الوسامة وهي الحسن. والقسيم: من القسامة وهي الحسن أيضاً. والدَّعَج: سواد العين، وقيل: شدة سوادها مع شدة بياضها. وعَطَفُ الأهداب: طولها كأنها طالت وانعطفت. وفي صوته صَهلٌ: أي حدّة وصلابة. وفي عنقه سطعٌ: أي أرتفاع وطول. والكثاثة في اللحية: أن تكون غير رقيقة ولا طويلة. والزَّجج تقوّسُ في الحاجب مع طولٍ في طرفه وامتداد. والقرَن: اقتران الحاجبين بحيث يلتقي طرفاهما، وضدُّه البلَج. وقد تقدم عن الباجوري ترجيح رواية هند بن أبي هالة: في غير قرَنٍ. وانما ظهر لأم معبد قبل التأمل أنه صلى الله عليه وسلم أقرن الحاجبين، وليس كذلك، فإن رواية هند بن أبي هالة أصح، وهو رضي الله عنه ربيب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من زوجها الأول أبي هالة، وقد كان ملازماً للنبي صلى الله عليه وسلم في كثير من الأوقات فهو أعرف بأوصافه الشريفة من أم معبد. والوقار: الحلم والرزانة. وفصْلٌ: أيْ بيّنٌ ظاهر يفصل بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ﴿إنَّه لَقَـوْلٌ فَصْلٌ﴾(1) أي فاصل قاطع. والنْزرُ: القليل، أي ليس بقليل فيدلّ على عِيّ. والهذْر: كثير الكلام الفاسد، وهو الهذيان، وهو مصدر هذَر، والاسم: الهذَر، بالتحريك. والرَّبعة: الذي ليس بالطويل ولا بالقصير. والطويل البائن: المُفرط طولاً، الذي بَعُدَ عن قدر الرجال الطِوال. ولا تقتحمه: أي لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً له، وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته. وقوله: غصناً بين غصنين: يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان معه أبو بكر الصديق ومولى أبي بكر عامر بن فُهيرة رضي الله عنهما. وأنضرُ الثلاثة: من النضارة وهي

(1) سورة الطارق الآية ١٣.

حسن الوجه، وكان معه صلى الله عليه وسلم أيضاً دليلٌ اسمه عبد الله بن الأُريقط الليثي، وكان على دين قومه. ومحفود: أي مخدوم. ومحشود: أي محفوف به، أي إن أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه.

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيضَ الوجه، كثَّ اللحية، ضخمَ الهامة، أحمرَ المآقي، أهدبَ الأشفار، شَثْنَ الكفين، ضخم الساقين، لطيفَ ٱلْمَسْرُبة، ليس بالقصير ولا بالطويل، وهو إلى الطول أقرب منه إلى القِصر، كثيرَ العرَق، إذا مشى تقلع كأنه يمشي في صبب، لم أرَ قبله ولا بعدَه مثله». والمآقي جمع مَأْقِي، وقيل: جمع مأقٍ، بلا ياء. قال في لسان العرب: قال الليث: مُؤْق العين مُؤْخره وَمأْقُها مقدَّمها، رواه عن أبي الدقيش، قال: وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يكتحل من قِبَل مُؤْقِه مرةً، ومن قبل مَأْقِه مرّة، يعني مقدَّم العين ومُؤْخِرها اهـ. والأهدبُ: طويلُ الأهداب، وهي أطراف اشفار العين. وشثْن الكفين: غليظ الأنامل بلا قِصر. والمسرُبة: الشعر الممتدّ من اللَّبة إلى السرّة. والصَبب: المكان المنخفض.

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أيضاً قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس قَواماً، وأحسنَ الناس وجهاً، وأطيَبَ الناس ريحاً، وألْيَنَ الناسِ كفّاً». القَوام: القامة.

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهرَ اللون، كأنَّ عرَقَه اللؤلؤ، إذا مشى تَكَفَّأ، وما مَسسْتُ ديباجةً ولا حريراً ألْيَنَ من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شَممْتُ مسكاً ولا عَنْبَرَةً أطيب من رائحته». الأزهر: الأبيض المستنير. وتكفَّأ مال إلى الأمام. والديباج: الثياب المتخذة من الأبريسم.

وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه أنه وصف رسول لله صلى الله عليه وسلم فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنَ الجسم أزهرَ اللون، إذا مشى يتكفأ، رَبْعَةً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا بـالأبيض الأَمهْقَ ولا بالآدم، ولا بـالجَعْد القَـطِط ولا بـالسِبطّ». الأبيض الأَمهْق: هو الكريه البياض كلون الجِصّ، يريد أنه صلى الله عليه وسلم كان نيّر البياض. والآدم من الناس: الأسمر، ليس بالشديد السمرة. والشعر الجَعد: الذي فيه اَلْتواء. والقَطِط: الشديد الجُعودة. والسِبطّ: المسترسل.

وأخرج مسلم والترمذي عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه أنه قال في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَليعَ الفم، أشكلَ العينين، منهوسَ العَقِب، ولم يكن في رأسه شيب الإ شعرات في مفَرِقه، إذا أدّهَن واراهُنّ الدُّهن». ضليع الفم: أي واسعه، وهو دليل الفصاحة. وأشكل العينين: أي في بياضهما شيُّء من حمرة، وهو محمود محبوب. ومنهوس العقب: قال في النهاية: صلى الله عليه وسلم منهوس الكعبين، أي لحمهما قليل. والمَفْرِقُ بكسر الراء وفتحها: وسط الرأس، وهو الموضع الذي يُفرق فيه الشعر فِرقتين.

وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أيضاً أنه قال: «كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلَ الشمس والقمر، وكان مستديراً».

وأخرج الترمذي عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في ليلة إِضْحِيَان وعليه حلّة حمراءُ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فَلَهُوَ عندي أحسنُ من القمر». إضحيان: أي مضيئة مقمرة.

وأخرج أبو نُعيم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول لله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وجهاً، وأنورَهم لوناً لم يصفه واصف إلّا

شبهٌ وجهه بالقمر ليلةَ البدر، وكان عرَقه في وجهه مثلَ اللؤلؤ، أطيبَ من المسك الأذفر». الذَّفَرُ: كل ريح ذكّية، كما في المختار. وعبارة النهاية: أذفر أي طيب الريح.

وأخرجه الديلمي عن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: استعرتُ من حفصة بنت رواحة إبرة كنت أُخَيطُ بها ثوب رسول لله صلى الله عليه وسلم، فسقطتْ مني الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها، فدخل رسول لله صلى الله عليه وسلم فتبيّنتُ الإبرةَ بشعاع نور وجهه، فضحكتُ فقال: يا حُمَيْراء لِمَ ضحكتِ؟ قلت: كان كيتَ وكيتَ، فنادى بأعلى صوته: يا عائشة الويلُ ثم الويل لمن حُرِمَ النظرَ إلى هذا الوجه، ما من مؤمن ولا كافر إلا ويشتهي أن ينظر إلى وجهي». الحميراء: تصغير حمراء، تصغير تَحْبِيبْ، أي بيضاء، والعرب تستعمل الأحمر بمعنى الأبيض، وتقول: امرأة حمراء أي بيضاء. وكيتَ وكيتَ كناية عن الأمر، أي كذا وكذا، وقد تضم التاء وتكسر. والويل: الحزن والهلاك والمشقة من العذاب.

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها أيضاً أنها قالت: أُهدي للنبي صلى الله عليه وسلم شَمْلةٌ سوداء فلبسها، وقال: كيف تَرِيَنها عليّ يا عائشة؟ قلت: ما أحسَنها عليك يا رسول لله، تشرَّب سوادُها بياضَك وبياضُك سوادَها. فخرج فيها إلى الناس». الشملة: كساء يُتغطى به يُتَلَفَّفُ فيه.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه وصف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس صفةً وأجملَها، كان ربعةً إلى الطول ما هو، بعيدَ ما بين المنِكبين، أسيل الخّدين، شديدَ سواد الشعر، أكحل العينين أهدبَ، إذا وطىء بقدمه وَطىء بكلّها، ليس له أخمَص، إذا رفع رداءه عن منكبه فكأنه سبيكةُ فضة، وإذا

ضحك يتلألأ». الربعة مَربوع القامة. وقوله: إلى الطول ما هو، أي مائل إلى الطول. والَمنْكِب: ما بين الكتف والعنق والأَسالة في الخد: الاستطالة، وأن لا يكون مرتفع الوجنة. والكَحَل: سواد في أجفان العين خِلقةً، والرجل أكحل وكحيل. والأهدب: طويل شعر الأجفان. والأخْمَص ما ارتفع من باطن القدم عن الأرض. ويتلألُأ: أي يشرق ويستنير.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «ما رأيت شيئاً أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأَنَّ الشمس تجري في وجهه، ولا رأيتُ أحداً أسرعَ في مشية من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تُطوى له، إنا لَنُجْهِدُ أَنفُسنَا وإنه لَغيرُ مكترثٍ». نجهد: نتعب. وإنه لغير مكترث: أي غير مبالٍ، ولا تستعمل إلا في النفي.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَبْحَ الذراعين، بعيدَ ما بين المنكبين، أهدبَ أشفار العينين». شَبْح الذراعين: أي طويلهما، وقيل: عريضهما. قال السيوطي في مختصر النهاية: ورجح الفارسي وابن الجوزي الثاني. والذراع من الإنسان: من المِرْفَق إلى أطراف الأصابع كما في المصباح. والمنكب: ما بين الكتف والعنق. أهدب الأشفار: طويل شعرها.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أيضاً أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيضَ كأنما صِيغَ من فضة. رَجِلَ الشعر»: أي لا شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما.

وأخرج ابن عساكر عن أبيَ هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخمَ الكفّين، ضخمَ القدمين، حسنَ الوجه، لم أرَ بعده مثلَه، ما مشى مع أحدٍ إلا طَالهُ». وقوله: إلاّ طاله يعني طال النبيُّ صلى الله عليه وسلم ذلك الأحدَ، أي علاه بالطول.

وأخـرج ابن عساكـر عن أبي قِرْصـافـة رضي الله عنـه أنـه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كان النبي صلى الله عليـه وسلم حسنَ الجسم، ولم يكن بـالفارع الجسيم، وكـان جعدَ الشعـر مفـروشَ القدَم»، يعني مستويَه. الفارع: المرتفع العالي. والجَعْدُ الذي ليس سِبطاً.

وذكر في المواهب اللدنية عن أم أبي قرصافة رضي الله عنهما أنها قالت في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما رأينا مثلَ هذا الرجل أحسنَ وجهاً ولا أنقى ثوباً ولا ألينَ كلاماً، ورأينا كالنور يخرج من فمه». أنقى: أنظف.

وأخرج الترمذي والطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلجَ الثَّنِيَّتين، إذا تكلم رُئيَ كـالنور يخـرج من بين ثنايـاه». الفَلَج في الاسنان تبـاعُد مـا بين الثنايـا والرَّبَاعِيَات. والثنايا أربع في مقدّم الفم.

وأخرج الطبراني عن العدّاء بن خالد رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنَ السَّبْلَة». والسبلة: الشارب.

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن بريـدة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ البَشرِ قدَماً. وأخرج الترمذي عن البراء بن عـازب رضي الله عنه أنه قال في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجلًا مربوعـاً بعيدَ مـا بين المنكبين، عظيمَ الجُمَّة إلى شحمةِ أُذُنَيْهِ، عليه حُلَّةٌ حمراء، عليـه شعرٌ يضرب منكبيه، لم يكن بـالطويـل ولا بالقصيـر». المربـوعُ بين الطويـل والقصير. والمنكب ما بين الكتف والعنق. والجُمَّة من شعر الرأس: مـا سقط عن المنكبين.

وأخرج ابن عساكر عن البراء أيضاً أنه قال: «ما رأيتُ أحسن شعراً ولا أحسنَ بشراً في ثوبين أحمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم». وأخرج ابن عساكر عن البراء، أيضاً أنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حُلة حمراء مترجّلاً فما رأيت أحداً كان أجمل منه». مترجلاً أي: مرجّلاً شعره، مسرّحه.

وأخرج البخاري ومسلم عن البراء أيضاً أنه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وجهاً، وأحسنَهم خُلُقاً، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير». الطويل البائن: المُفرط طولاً.

وأخرج مسلم عن البراء أيضاً أنه قال: «ما رأيت من ذي لِمَّةٍ في حلّة حمراءَ أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، شعرُه يَضْرِب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير». اللِّمَّة من شعر الرأس دون الجُمَّة سميت بذلك لأنها أَلَمَّت بالمنكبين، فإذا زادت فهي الجُمَّة. والحُلّة لا تكون إلا من ثوبين. والمنكب:ما بين الكتف والعنق.

وأخرج البخاري ومسلم عن البراء أيضاً أنه قال: ما رأيت شيئاً قطّ أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخرج البخاري والترمذي عن البراء أيضاً أنه سئل: «أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلَ السيف؟ فقال: لا، بل مثلَ القمر».

وأخرج الدارمي عن الرُّبَيِّع بنت عفراءَ رضي الله عنها أنه قيل لها: صِفي لنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقالت للسائل: يا بُنَيَّ لو رأيته لقلتَ: الشمسُ طالعةً.

وأخرج البيهقي عن أبي إسحاق الهمْداني رضي الله عنه، عن امرأة

من همْدان أنها قالت: «حججتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم مرّاتٍ، فرأيته على بعيرٍ له يطوف بالكعبة، بيده مِحْجَن، عليه بُرْدان أحمران، يكاد يَمَسُّ شعرُه منكبَه، إذا مرّ بالحجر استلمه بالمِحْجَنِ، ثم يرفعه إلى فمه كالقمر ليلةَ البدر، لم أرَ قبله ولا بعده مثله». المِحجن عصا محنيةُ الرأس. والبُرْدُ: نوع من الثياب.

وأخرج البخاري ومسلم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأنَّ وجهه قطعةُ قمر، وكنا نعرف ذلك».

وأخرج الطبراني عن جبير بن مُطْعِم رضي الله عنه أنه قال: «التفتَ إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شِقة القمر».

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كنت إذا رأيتُ وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قلتُ كأنَّه دينار».

وأخرج الترمذي عن أبي الطُفيل رضي الله عنه أنه قال: «رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وما بقي على وجه الأرض أحدٌ رآه غيري، كان أبيضَ مليحاً مُقَصَّداً». المُقَصَّد: هو الذي ليس بطويلٍ ولا قصير ولا جسيم، كأنَّ خَلْقَه نُحِيَ به القصدُ من الامور، وهو المعتدل الذي لا يميل الى أحد طَرَفي التفريط والإفراط.

* * *

الفصل الثاني

في وصف أخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم

أخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه أنه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس صدراً، وأصدقَ الناس لَهجةً، وألْيَنهم عريكةً وأكرَمهم عِشْرَةً، من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفةً أحبَّه، يقول ناعِتُه: لم أرَ قبلَه ولا بعده مثلَه». اللهجة اللسان. والعريكة: الطبيعة، يقال: فلان ليِّن العريكة، إذا كان سَلِساً مطاوعاً مُنقاداً قليلَ الخلاف والنفور.

وأخرج الترمذي عن علي أيضاً أنه قال في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائمَ البِشْرِ، سهلَ الخُلُقِ، ليِّنَ الجانب، ليس بِفَظٍّ ولا غليظ ولا سخَّاب ولا فحَّاش ولا عيَّاب ولا مُشَاحٍّ، يتغافل عما لا يَشتَهِي، ولا يُؤْيِسُ منهُ راجيَه، ولا يخَيب فيهِ، قد ترك نفسَهُ من ثلاثٍ: المراءِ والإكثارِ وما لا يَعنيه، وترك الناسَ من ثلاثٍ: كان لا يَذمُّ أحداً ولا يَعيبُه ولا يطلب عورتَه، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابَه، وإذا تكلم أطرق جُلَساؤه كأنما على رؤوسهم الطيرُ فإذا سكت تكلّموا، لا يتنازعون عنده الحديثَ، ومتى تكلم أحد عنده أنصتوا له حتى يَفْرُغَ،

حديثُهم عنده حديثُ أولهم، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إنْ كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالبَ حاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناءَ إلا من مكافىءٍ، ولا يقطع على أحدٍ حديثه حتى يجوزَ فيقطعه بنهي أو قيام». البشر: طلاقة الوجه وبشاشته. والسخّاب: الصيّاح. والفحّاش: بمعنى الفاحش، هو ذو الفحش في كلامه وفعاله. والفحش يجيء بمعنى التعدي في القول والجواب، وبمعنى قَذَعِ الكلام ورديئه، وكلاهما منفيٌّ عنه صلى الله عليه وسلم. ولا مُشاحّ: قال في المختار: تشاحَّ الرجلان على الأمر: لا يريدان أن يفوتهما. والمِراء: الجدال. والعورة: كل ما يُستحيا منه إذا ظهر. والرِّفد: الإعانة، وأَرْفِدوه أي أعينوه. ويجوز: أي يتجاوز الحدّ أو الحقّ.

وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أَوَى إلى منزلَه جزَّأ دخولَه ثلاثة أجزاء، جُزءاً لربّه وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه، ثم جَّزأ جُزأه بينه وبين الناس، فيرُدُّ بالخاصَّة على العامَّة ولا يَدَّخِرُ عنهم شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثارُ أهل الفضل باذنه، وقَسْمه على قدْر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة وذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويَشْغَلُهُم فيما يُصلحهم والأمةَ، من مسألتهم عنه وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: لِيُبلِّغِ الشاهدُ منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغَها، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجةَ من لا يستطيع إبلاغَها ثبَّت الله قدميْه يوم القيامة، لا يُذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحدٍ غيرَه، يدخلون رُوَّاداً، ولا يفترقون إلا عن ذُوَاقٍ، ويخرُجون أدلَّة، يعني على الخير. وكان صلى الله عليه وسلم يَخْزِنُ لسانَه إلاّ فيما يَعنيه، ويؤلِّفهم ولا يُنَفِّرهم، ويُكرم كريمَ كل قوم ويُوَلّيه عليهم، ويَحْذَر الناسَ ويحترس منهم من غير أن يَطويَ عن أحدٍ منهم بِشْرَه وخُلُقَه،

ويتفَقَّد أصحابه، ويسأل الناس عمّا في الناس، ويُحَسِّن الحسَنَ ويُقوِّيه، ويُقَبِّح القبيحَ ويُوهيه، معتدلُ الأمر غيرُ مختِلفٍ، لا يغفُلُ مخافةَ أن يَغْفُلوا أو يميلوا، لكل حال عنده عَتَادٌ لا يُقَصِّر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارُهم، أفضلهم عنده أعمُّهم نصيحةً، وأعظمُهم عنده منزلةً أحسنُهم مواساةً ومؤازرة، وكان صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكْرٍ، واذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي بهِ المجلس، ويأمر بذلك، يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسُه أنَّ أحداً أكرمُ عليه منه، مَن جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكونَ هو المنصرِفَ عنهُ، ومن سأله حاجة لم يردَّه إلاّ بها أو بميسورٍ من القول، قد وَسِعَ الناسَ بسطُه وخُلقُه فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسُهُ مجلس علْم وحياء وأمانة وصبْر، لا تُرْفَعُ فيهِ الأصوات، ولا تُؤبَّنُ فيه الحُرَمُ، ولا تُنْثَى فَلَتاتُهُ، متعادلين، بل كانوا يتفاضلون فيهِ بالتقوى متواضعين، يُوَقِّرون فيه الكبيرَ، ويرحمون فيه الصغير، ويُؤْثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريبَ».

الايثار: التفضيل. وقوله رُوَّاداً: قال في النهاية: يدخلون رُوَّاداً ويخرجون أَدِلَّة، أي يدخلون عليه صلى الله عليه وسلم طالبين العلم وملتمسين الحِكَم من عنده، ويخرجون أدلة هداةً للناس، والرُّوَّاد: جمع رائد، وهو الذي يتقدم القومَ يُبصر لهم الكلأَ ومَساقطَ الغيث. والذُّوَاق: المأكول والمشروب. ثم قال في النهاية: أي لا يتفرقون إلا عن علم وأدب يتعلمونه، يقوم لأنفسهم وأرواحِهم مقام الطعام والشراب لأجسامهم. والعتَاد: أي عنده ما يَصْلُحُ لكل ما يقع من الأمور. والمواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق. والموازرةُ: أن يحمل عن غيره ما حمله من الأثقال. ولا تُؤَبَّنُ فيهِ الحُرَمُ: أي لا يُذْكرن بقبيح، كان صلى الله عليه وسلم يُصَانُ مجلسُه عن رَفَثِ القول. وحُرْمة الرجل: حَرَمُه وأهله. والحرمة أيضاً: ما لا يَحلُّ انتهاكه. ولا تُنْثَى فلتاته: أي لا تُشاعُ ولا تُذاعُ.

وأخرج الترمذي عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه أنه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصلَ الأحزانِ، دائمَ الفكرة، ليست لهُ راحةٌ، طويلَ السكوت لا يتكلم في غير حاجة، يَفْتَتِحُ الكلامَ ويختتمهُ باسم الله تعالى، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامُهُ فصْلٌ، لا فُضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المَهين، يُعظِّمُ النعمةَ وإن دقَّتْ، لا يَذُمُّ منها شيئاً، لم يكن يَذُمُّ ذُواقاً ولا يمدحه، ولا تُغضبُه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تُعُدِّيَ الحقُّ لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصرَ له، ولا يغضَبُ لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلِّها، وإذا تعجَّب قَلَبهَا، وإذا تحدَّث اتّصل بها وضرب براحتِهِ اليمنى بطنَ إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأَشاح، وإذا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَه، جُلُّ ضحكه التبسمُ، يَفترُّ عن مثل حبِّ الغمام».

الفصل: الذي يَفصل بين الحق والباطل. وقوله: لا فضول ولا تقصير: أي لا زيادة ولا نقص عن الحاجة. وقوله: ليس بالجافي ولا المهين: أي ليس بالغليظ الخلقة والطبع، أو ليس بالذي يجفو أصحابه والمُهين: يروى بضم الميم وفتحها، فالضم على الفاعل من أهان، أي لا يُهين مَن صَحِبه، والفتح على المفعول من المَهانة وهي الحقارة. ودقّت: أي قلَّت. والذُّواق: المأكول والمشروب. وقوله: اتّصل بها: أي اتصل حديثه بكفّه، أي يقارن تحريكها بإشارةٍ تؤيده. وأشاح: أشار. وغض طرفه: أي كسره وأطرق ولم يفتح عينهُ. ويفترُّ: أي يتبسم حتى تبدو أسنانه، من غير قهقهة، وأراد بحبِّ الغمام: البَرَد.

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس، وأجودَ الناس، وأشجعَ الناس».

وأخرج البخاري في الأدب عن أنس أيضاً أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً، وكان لا يأتيه أحد إلّا وعدَه وأَنجز له، وإن كان عنده أعطاه».

وأخرج الترمذي عن أنس أيضاً أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى، ويَشهَدُ الجنائزَ، ويركبُ الحمارَ، ويُجيب دعوةَ العبد، وكان يومَ بني قُرَيْظة على حِمارٍ مخطومٍ بحبل من ليفٍ، وعليه إكَافٌ من ليف، وكان يُدْعَى إلى خبز الشعير والإهالـةِ السَّنِخَةِ فيُجيبُ، وحجَّ على رَحْلٍ رثٍّ وعليه قَطيفَةٌ لا تساوي أربعةَ دراهم، فقال: اللهم اجعله حَجّاً لا رِياءَ فيهِ ولا سُمْعَةَ، ولم يكن شخص أحبَّ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا رَأَوْه لم يقوموا، لِما يعلمون من كراهته لذلك، وما أكَل على خِوَانٍ، ولا في سُكُرُّجَةٍ، ولا خُبِزَ لهُ مُرَقَّق، وكان إذا أكل طعاماً لَعِقَ أصابعَه الثلاث».

الخِطام: ما وُضع في أنف البعير ليُقتاد به. وإكافُ الحمار بَرْذَعَتُه. والإهالة: كل شيء من الأدْهان مما يؤتَدم به، وقيل: هي ما أذيب من الإلْيَةِ والشحم، وقيل: الدَّسَم الجامد. والسَّنِخة: المتغيِّرة الريح. والرَّثُّ: الخَلَق البالي. والقطيفة: كساء له خَمَل. والخُوان بالضم والكسر: ما يُؤكَلُ عليه الطعام. والسُّكُرُّجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأُدْم، وهي فارسية، واكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها.

وأخرج الترمذي عن أنس أيضاً أنه قال: «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي أُفٍّ قط، وما قال لي لشيء صنعتُه: لِمَ صنعتَه؟ ولا لشيء تركتُه: لِمَ تركتَه؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسنِ الناس خلُقاً ولا مَسسْتُ خزّاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألْينَ من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شَممْتُ مسكا قطُّ، ولا عِطراً كان

أطيبَ من عَرَق النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لا يكاد يُواجه أحداً بشيء يكرهُه، ولا يَدَّخِر شيئاً لغدٍ، وكان يُعيد الكلمةَ ثلاثاً لتُعْقَلَ عنه». الخزُّ: نوع من الحرير، أو الحرير المنسوج بالصوف، كما في النهاية، أو الثوب المُتَّخذ من وَبرِ دابّة تُسمَّى الخزّ، كما في المصباح.

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحِّشاً ولا سَخَّاباً في الأسواق ولا يَجزي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويصفح، وما ضرب بيده شيئاً قطّ إلا أن يُجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأةً، وكان يحب التيّمن في طهوره إذا تطهَّر، وفي ترجُّله إذا ترجَّل، وفي انتعاله إذا انتعل، وكان يقبل الهدية ويُثيب عليها، وما كان يَسْرُد كسرّدكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بَيِّنٍ فَصْلٍ يحفظه مَن جلس». أفحش الرجلُ: أتى بالفُحش وهو القول السيِّء. والسخّاب: الصيّاح. والتيمن، هنا: البَداءة باليمين. والترجُّل: تسريح الشعر. والبَيِّن: الظاهر.

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصِراً من مَظْلِمَةٍ ظُلِمهَا قطّ، ما لم يُنْتَهك من محارم الله تعالى، فإذا انْتُهِكَ من محارم الله شيءٌ كان من أشدِّهم في ذلك غضباً،وما خُيِّرَ بين أمرين إلا اختار أيسرَهما ما لم يكن مأْثماً». انتهاك الحرمة: تناولها بما لا يَحِلّ. وانتهاك محارم الله: ارتكاب معاصيه سبحانه.

وأخرج مسلم وغيره عن عائشة أيضاً أنها سُئِلَتْ عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان خُلُقه القرآنَ». أي كان صلى الله عليه وسلم يتأدَّبُ بآدابِ القرآن.

وأخرج ابو داود عن عائشة أيضاً أنها قالت: «كان كلامُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فَصْلاً، يَفْهَمُهُ كلّ من سَمِعَه». الفصل: البيّن

الظاهر الذي يفصل بين الحق والباطل كما تقدم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[1] أي فاصل قاطع.

وأخرج الدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «ما رأيت أحداً أنجدَ ولا أجْوَدَ ولا أشجعَ ولا أضوأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم». النَّجدة الشدة.

وأخرج ابن سعد عن محمد بن علي مرسلاً: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدَ البطش». البطشُ: الأخذ القويّ الشديد.

وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلامه تَرتيل». الترتيل في القراءة: التأني فيها والتمهُّل وتبيين الحروف والحركات.

وأخرج الدارمي عن جابر أيضاً قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يَسلُكْ طريقاً فيتَّبِعَه أحد إلّا عرفَ أنه قد سلكه من طيبِ عَرْفِهِ».

وأخرج البخاري ومسلم عن جابر أيضاً قال: «ما سُئلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قطّ فقال: لا».

وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُسأل شيئاً إلّا أعطاه أو سكت».

وأخرج الطبرانيّ عن طلحة رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَكاد يُسأل شيئاً إلّا فعلَه».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي أُسَيد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَمْنَعُ شيئاً يُسأَلُهُ.

---

(١) سورة الطارق الآية ١٣.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم أشـدَّ حَيَاءً من العـذراء في خِدْرِها، وكان إذا رأى شيئاً يَكْرَهُه عرفناه في وجهه». الخِدْرُ: ناحية في البيت، يُترك عليها سِتر فتكون فيه الجارية البكر.

وأخـرج الحاكم عن سهـل بن حُنَيف رضي الله عنـه قـال: «كـان رسول الله صلى الله عليه وسلم يـأتي ضُعَفَاءَ المسلمين ويـزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزَهم».

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه أنه قال: ما رأيتُ أحداً أكثرَ تَبَسُّماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وأخـرج مسلم عن جابـر بن سَمُرة رضي الله عنـه أنه قـال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلَ الصمت قليلَ الضَّحِك».

وأخرج الطبراني عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أضحك الناس وأطيبهم نفساً».

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم من أفكـه النـاس». الفـاكـه: المـازح، والاسـم: الفُكاهة.

وأخـرج الإمام أحمـد عن أبي الدرداء رضي الله عنـه قال: «كـان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُحَدِّث حديثاً إلا تبسَّم».

وأخرج الإمام أحمد وغيره عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجْودَ الناس بالخير، وكان أجْودَ ما يكون في شهر رمضان، حتى يَنْسَلِخَ، فيأتيه جبريلُ فيَعْرِض عليه القرآنَ فإذا لقيه جبريلُ كان صلى الله عليه وسلم أجْودَ بالخير من الريح المُرسَلة».

انسلخ الشهر: إذا مضى.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُدفع عنه الناسُ ولا يُضربون عنه».

وأخرج الطبراني عن ابن عباس أيضاً أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسُ على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاةَ، ويُجيب دعوة المملوك على خبز الشعير». قال في النهاية: ومنه حديث عمر: «مَن اعتقل الشاةَ وحلَبها وأكل مع أهله فقد برىء من الكِبْر»، هو[1] أن يضع رجلها بين ساقِه وفخذِهِ ثم يَحْلِبَها.

وأخرج ابن عساكر عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرْكبُ الحمار، ويخصِف النعلَ، ويَرْقَعُ القميصَ ويَلْبَس الصوفَ، ويقول: من رغب عن سنّتي فليس مني». يخصف نعله: أي يخرزُها، من الخَصْف: وهو الضمُّ والجمع.

وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَردِف خلفه، ويضعُ طعامه على الأرض، ويجيب دعوةَ المملوك ويَرْكَبُ الحمار».

وأخرج ابن سعد عن إبراهيم النخعي مرسلاً، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعْرَف بريح الطيب إذا أقبلَ».

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمّر بالصبِّيان فيُسَلِّمُ عليهم».

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيتُ أحداً أرحمَ بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم». عيال الرجل: من يَعُولهم، جمع عَيِّل.

---

(١) هو: الضمير يعود على اعتقل الشاة، انظر النهاية ٣/٢٨١، اهـ مصححة.

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «بُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلم لِأربعين سنةً، فمكث بمكة ثلاثَ عَشْرةَ سنة يُوحَى إليه، ثم أُمِرَ بالهجرة فَهَاجَر، وأقام بالمدينة عشر سنين ومات وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة».

(فصل): قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه «الأخلاق المتبولية، المفاضة من الحضرة المحمدية».

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أورعَ الناس، وأزهدَ الناس، وأعف الناس، وأعلمَ الناس، وأكرمَ الناس، وأحلم الناس، وأعبد الناس، وأبعدهم عن مواطن الرِيب، لم تَمَسَّ يدُه يدَ امرأة أجنبية قطُّ، تشريعاً لأمته واحتياطاً لهم. وكان صلى الله عليه وسلم إذا وعظ الناس يرسل الكلام في حقّ كل الناس، ولم يكن يَنُصُّ في وعظه على أحدٍ معيّن خوفَ أن يُخجله بين الناس، فيقول صلى الله عليه وسلم: ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا. وكان صلى الله عليه وسلم أقنعَ الناس باليسير من الدنيا وأيسرهم بُلْغَةً. كان يَكفيه الّلعقة من الطعام والكفّ من الحشَف وهو رديء التمر.

وكان صلى الله عليه وسلم يستحي من الله إذا أراد دخول الخلاء حتى كان يتقنع برداءٍ من شدة حيائه صلى الله عليه وسلم. وكانت الأرض تبتلع ما يخرج منه صلى الله عليه وسلم. وكان صلى الله عليه وسلم أشفقَ الناس على أمته، وكان يقول: اللهم لا تُرِني في أمتي سوءاً، وقد تقبّل الحق تعالى منه ذلك فلم يُرِه في أمته سوءاً حتى توَفاه الله عز وجل. وكان صلى الله عليه وسلم مغمضاً عينيه عن رؤية زينة الدنيا، فلم يَمُدَّ عينيه إلى زينتها قط، وكان معصوماً من خائنة الأعينِ.

وكان صلى الله عليه وسلم يستتر في غُسْلِهِ من الجنابة وغيرها، ولم يغتسل عُرْياناً قطّ حياءً من الله عز وجل. وكان إذا طلب البُراز يبعدُ عن

الناس، أو يتوارى بجدارٍ أو نحوه، حتى لا يُرى شخصه صلى الله عليه وسلم. وكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد، فمرّة شملةً ومرة بُـرْدَ حَبِرَةٍ يَمانِيّاً، ومرة جُبَّةَ صُوفٍ، ما وجد من اللباس لَبِسَ. وكان صلى الله عليه وسلم إذا كساه أحد ثوباً لا يُغيِّره عن هيئته من سَعَةٍ أو ضيق. ولبس مرة جُبَّةً ضيقة الكمين لا يستطيع أن يُخرج يَدَه من كِمُهّا إلا بعُسر، فكان إذا توضأ فيها أخرج يديه من ذيلها ليغسلهما.

وكان صلى الله عليه وسلم يُرْدِف خلفه عبدَه وصاحبه، وتارة يُردف خلفه وأمامه، وهو في الوسط، لكن في الأطفال كالحسنِ والحسينِ وأولاد جعفر رضي الله عنهم. ومن هنا تَعْلَمُ أن محلَّ جواز الإرداف إذا احتمله ذلك المركوب. وكان صلى الله عليه وسلم يركب ما وجد، مرةً فرساً ومرة بعيراً، ومرة حماراً ومرة بغلةً، ومرة يمشي حافياً راجلاً بلا رداء ولا قَلَنْسُوَةٍ لِيَعودَ المرضى في أقصى المدينة. وكان صلى الله عليه وسلم يحبّ الطيبَ ويكـره الرائحـةَ الرديئـة. وكان صلى الله عليـه وسلم يأكـل مع الفقـراء والمساكينِ والخدمِ. وكان صلى الله عليه وسلم يَفْلي(1) للمساكين ثيابَهم ولِحَاهم ورؤوسَهم. وكان صلى الله عليه وسلم يكرم أهـل الفضل على اختلاف طبقاتهم ويتألف أهل الشرف بالإحسان إليهم.

وكان صلى الله عليه وسلم يُكرِمُ ذوي رَحِمِهِ من غير أن يؤثرهم على من هو أفضلُ منهم. وكان صلى الله عليه وسلم لا يقطع على أحدٍ حديثَه، ولا يجفو على أحدٍ بكلام ولا غيره ولو فعل معه ما يوجب الجفاء. وكان صلى الله عليه وسلم يقبل عُذْرَ المعتذر وإن كان مُبطلا، ويقول: من أتاه أخوه مُتنصِلاً من ذنب فليقبلْ ذلك، مُحِقاً كان أو مبطلا، فان لم يفعل لم يرِدْ عليّ الحوضَ. وكان صلى الله عليه وسلم يمزح مع النساء والصبيان ولا

(1) يتفقّد.

يقول إلّا حقاً، كقوله للعجوز وهو متبسم: لا يدخل الجنةَ عجوزٌ، أي لأن نساء أهل الجنة ابكارٌ عُرُبٌ[1]. وكان صلى الله عليه وسلم ضَحِكُه التبسّم فقط من غير رفع صوت. وكان صلى الله عليه وسلم يرى اللعب المباح فلا ينكره

وكان صلى الله عليه وسلم يرفع الأعرابُ عليه الأصواتَ بالكلام الجافي فيتحمله. وكان صلى الله عليه وسلم لا يَجزي بالسيئة السيئةَ ولكن يعفو ويصفح. ولم يكن له صلى الله عليه وسلم اناء يختص به عن خدَمه وإمائه، بل كان يأكل معهم في إناء واحد تواضعاً معهم وتشريعاً للمتكبرين من أمته. وكان صلى الله عليه وسلم يجيب إلى الوليمة كلّ مَنْ دعاه، ويشهد جنائز المسلمين، مَنْ عرفه ومَن لم يعرفه. وكان صلى الله عليه وسلم منديلُه باطن قدميه إذا أكل. وكان له صلى الله عليه وسلم إماء وخدم، وكان لا يرتفع عليهم في مأكل ولا مَلْبَس ولا مَجْلس. وكان صلى الله عليه وسلم مُقْبِلاً على عبادة ربه ليلاً ونهاراً لا يمضي لهُ وقت إلا في عمل طاعةٍ لله عز وجل، أو فيما لا بدّ له منه مما يعود نفعه عليه وعلى المسلمين. وكان صلى الله عليه وسلم يحتطب، ثم يحمل الحطب إلى بيته تواضعاً منه صلى الله عليه وسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يحقر مسكيناً لفقره، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله عز وجل دعاء واحداً. وكان صلى الله عليه وسلم أرحمَ خلق الله على الإطلاق، وأشفقَهم على دِين أُمته. وكان صلى الله عليه وسلم إذا سبقَ لسانُهُ إلى شتمةِ أحد، قال: اللهم اجعلها عليه طُهوراً وكفّارة ورحمةً. ولم يلعن صلى الله عليه وسلم قطّ امرأةً معينة ولا

---

(١) العُرُب: ج عَروب، وهي المتحببة إلى زوجها.

خادماً ولا بعيراً. وكان صلى الله عليه وسلم إذا سُئل أن يدعو على أحد عدَلَ عن الدعاء عليه، ودعا له. وما ضرب صلى الله عليه وسلم قط امرأة ولا خادماً ولا غيرهما إلا أن يكون بالجهاد أو في حدٍّ من حدود الله فيأمر الجلّاد بذلك تطهيراً للمجلود. ودعا صلى الله عليه وسلم مرة خادماً له فلم يجبه، فقال: والله لولا خشية القصاص يوم القيامة لأَوْجَعْتُك بهذا السواك. وكان صلى الله عليه وسلم لا يأتيه أحد، من حرٍّ ولا عبد ولا أَمَةٍ ولا مسكين، يسأله في حاجة إلّا قام معه وقضى حاجته ولو في أقصى المدينة أو في القرى التي خارجها، جبراً لخاطره. وكان صلى الله عليه وسلم لا يعيب قط مُضطجعاً، وكان إذا فَرَشوا له شيئاً جلس عليه واضطجع، وإن لم يفرشوا له شيئاً جلس على الأرض واضطجع عليها.

وكان صلى الله عليه وسلم هَيِّنا ليّنا مع جميع أصحابه، ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق، أي صيّاح فيها. وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ بالسلام كلَّ من لقيه من المسلمين. وكان صلى الله عليه وسلم إذا أخذ بيده أحدٌ سايره حتى يكون ذلك الشخصُ هو الذي ينصرف. وكان صلى الله عليه وسلم إذا لقي أحداً من أصحابه صافحه ثم شابكه وشدَّ قبضته على يده، على عادة العرب. وكان صلى الله عليه وسلم لا يقوم عن مجلس ولا يجلس إلّا على ذكر الله عز وجل. وكان صلى الله عليه وسلم إذا جاءه أحد وهو يصلي خفف صلاته ثم سلّم منها وقال له: ألك حاجة؟ فإن قال: لا، عاد إلى صلاته، وإن كان له حاجة قضاها له بنفسه أو بوكيله. وكان صلى الله عليه وسلم أكثرُ جلوسه أن ينصبَ ساقَيْه جميعاً ويمسك بيده عليهما، شِبْهَ الحَبْوَةِ.

وكان صلى الله عليه وسلم يجلس حيث ينتهي به المجلس حتى إنه لم يكن يُعْرَفُ من بين أصحابه. قال أنس رضي الله عنه: وما رُئي صلى

الله عليه وسلم مادّاً رجليه يُضيّق بهما على أحد، ولم يكن يمدّهما إلا إن كان المكان واسعاً. ولما كان صلى الله عليه وسلم لا يُعرف من بين أصحابه كان الأعرابي إذا جاء يسأل عن دِينه لا يعرفه حتى يصيرَ يسألُ عنه، فتكلم الصحابة في عمل شيء يُمَيِّزُهُ صلى الله عليه وسلم حتى يصير الأعرابي يأتي إليه ويسأله ولا يحتاج إلى من يُعَرِّفه به، فاتفق رأيهم على أن يبنوا له دكاناً من طين، ثم فرشوا له عليه حصيراً من خوص النخل، فكان صلى الله عليه وسلم يجلس عليها حتى مات. وكان صلى الله عليه وسلم اكثرُ جلوسه إلى القِبلة، ويقول: هو سيد المجالس، وكانوا يجلسون بين يديه متحلِّقِين. وكان صلى الله عليه وسلم يُكرم كلَّ داخل عليه، ويؤثره بالوسادة التي تكون تحته، فان أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يقبلها، وربما بسط صلى الله عليه وسلم ثوبه إو رداءه لمن لم يكن بينه وبينه معرفة ولا قرابة ليُجلسه عليه تأليفاً لقلبه.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يَدَّخِرُ عن الضيف شيئاً بل يُخرج إليهِ كلَّ ما وجد، وكان ربما لم يَجِدْ له ما يُكرمه به، فيصير يعتذر إليه تطييباً لخاطره. وكان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يخرج إلى بيوت أصحابه من غير دعوة، ويتفقّدهم إذا انقطعوا عن مجلسه، وإذا رأى عند أحد منهم جَفَاءً أرسل إليه بهدية. وكان صلى الله عليه وسلم يُداعبُ الحسنَ والحسينَ، وربما أركبهما على ظهره وصار يمشي على يديه ورجليه، ويقول: نعم الجملُ جَملكما ونعم العِدْلان أنتما. وأخذ صلى الله عليه وسلم مرةً بيد الحسن بن علي ووضع رجليه على ركبتيه صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: حُزُقَّه حُزُقَّه، تَرقَّه عَينَ بَقَّه، هكذا أبو هريرة رضي الله عنه كان يقول. قال في النهاية: الحُزُقَّة المتقارب الخطو من ضعفه، أراد: يا حُزقّه. وعين بقّة: كناية عن صغر العين، يداعبه بذلك فيترقى حتى يضع قدميه على صدره الشريف صلى الله عليه وسلم. وكان صلى الله عليه

وسلم يعطي كلَّ من جلس إليه حظه من البشاشة حتى يظنَّ ذلكَ الجالسُ أنه أكرمُ عليه من جميع أصحابه.

وكان صلى الله عليه وسلم يكني أصحابه، يبتدئهم بالكنى، ويدعوهم بها إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم، وكان يكني النساء اللاتي ولَدن واللاتي لم يلدْنَ، ويكني الصبيان يستلين بذلك قلوبهم. وكان صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً. وكان صلى الله عليه وسلم أرفق الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس. وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله، إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، ثم يقول: علْمنيهنَّ جبريل عليه السلام وقال: هن كفارة لما وقع في ذلك المجلس. وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام سمحَ المقالة، يُعيدُ الكلامَ مرتين وأكثر ليُفهمهم، وكان كلامه كخرَزَاتِ النَّظْمِ. وكان صلى الله عليه وسلم يَكْنِي عن الأمور المستقبحةِ في العُرف، إذا اضطره الكلام إلى ذكرها، ويُعرض عن كل كلام قبيح. وكان صلى الله عليه وسلم إذا سلَّم سلَّم ثلاث مرات.

وكان صلى الله عليه وسلم كثيرَ البكاء ولم تزل عيناه تَهْمُلاَنِ من الدموع كأنه حديث عهد بمصيبة. قال أنس رضي الله عنه وكُسِفَتِ الشمس مرة فجعل صلى الله عليه وسلم يَبكي في الصلاة ويَنْفُخُ ويقول: يا ربّ ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم وأن لا تعذبهم وهم يستغفرون؟ ونحن نستغفرك يا ربِّ. وكان صلى الله عليه وسلم ضَحِكُ أصحابه عنده التبسمُ من غير صوتٍ، اقتداءً به صلى الله عليه وسلم وتوقيراً له. وكانوا إذا جلسوا بين يديه كأنما على رؤوسهم الطيرُ من الهيبة والوقار. وكان صلى الله عليه وسلم أكثرَ الناس تبسُّماً ما لم ينزِلْ عليه قرآن، أو يُذكر يومُ القيامة، أو يَخطب بخُطبةٍ موعظة. وكان صلى الله عليه وسلم إذا نزل به أمر فوَّض أمره فيه إلى الله عز وجل، وسأله الهُدى واتِّباعَه، والبعدَ من الضلالِ واجتنابَه،

ويتبرأ من حوله وقوته.

وكان أحبُّ الطعام إليه صلى الله عليه وسلم ما كَثُرَتْ عليه الأيدي. وكان صلى الله عليه وسلم يَجْلِسُ للأكل كالعبد فيجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلّي، إلا أن الركبة تكون فوق الركبة، والقدم فوق القدم، وكان كثيراً ما يقول: إنما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكل العبد وأجلِسُ كما يَجْلِسُ العبدُ. وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل الطعام الحارَّ ويقول: إنه غير ذي بركة فأَبردوه، وإن الله لا يُطْعِمُنَا ناراً. وكان صلى الله عليه وسلم يأكل مما يليه ويأكل بأصابعه الثلاثِ، وربما استعان بالرابع[1]، وكان لا يأكل قطُّ بإصبَعين، ويقول: إنه فِعْلُ الشيطان. وكان صلى الله عليه وسلم يأكل القِثّاءَ بالرُّطَبِ وبالمِلح، وكان أحبَّ الفواكهِ الرطبةِ إليه الرُّطبُ والعنب». وكان صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالخبز وبالسكَّر، وربما أكله بالرُّطَب، ويستعين باليدين جميعاً. وكان صلى الله عليه وسلم أكثَرُ طعامه التمرُ والماءُ. وكان صلى الله عليه وسلم يجمع بين التمر واللّبن ويسميهما الأطْيبين. وكان أحبَّ الطعام إليه صلى الله عليه وسلم اللحمُ، ويقول: إنه يَزِيدُ في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة. وكان صلى الله عليه وسلم يكرهُ إدمانَ أكل اللحم ويقول: إنهُ يُقَسِّي القلبَ. وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الثَّريدَ باللحم والقَرْع، ويُحِبُّ القرع ويقول: إنه شجرة أخي يونس وكثيراً ما يقول لعائشة رضي الله عنها: اذا طَبَخْتِ دُبّاءً[2]، فأكثري من مرقها فانه يشد القلب الحزين. وكان صلى الله عليه وسلم لا يستكبر عن إجابة الأَمَة والمسكين ويقول له لبيك.

---

(١) الإصبع: مؤنثة. وقد تذكر.

(٢) الدُّبّاء، بضم الدال وتشديد الباء: القرع، واحدته دُبّاءة.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه، وإنما يغضب إذا أنْتهُكت حرماتُ الله تعالى. وكان صلى الله عليه وسلم يُنَفِّذُ الحقَّ حيث كان، وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه. وكان صلى الله عليه وسلم يَعْصِب الحجر على بطنه من الجوع ويكتم ذلك عن أصحابه وأهل بيته تحمُّلاً للمشقة عنهم إذا علموا بجوعه صلى الله عليه وسلم. وكان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد، ولا يَرُدُّ ما قُدّم إليه من الحلال، وكان لا يتورَّع قطُّ عن مطعم حلالٍ بل يأكل منه توسعةً على أمته. وكان صلى الله عليه وسلم إذا وجد تمراً دون خبزٍ أكل، أو لحماً مشويّاً أكلَ، أو خبزَ بُرٍّ أكلَ، أو خبزَ شعيرٍ أكل، أو حَلْوَاءَ أو عسلاً أكل، أو لبناً دون خبزٍ أكل، واكتفى به ويقول: ليس شيء يجزي عن الطعام والشراب غيرُ اللبن. وكان صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ والرُّطَبَ ولحم الدجاج والطير الذي يُصطاد، وكان لا يشتري الصيد ولا يَصيده، ويحب أن يُصْطَادَ له فيُؤتي به فيأكله. وكان صلى الله عليه وسلم إذا أكل اللحم لم يُطَأْطِئ رأسه بل يَرْفَعُهُ إلى فيه ثم يأكله.

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الخبزَ والسمنَ. وكان صلى الله عليه وسلم يحب من الشاةِ الذِّرَاعَ والكَتِف. وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لم يكن الذراعُ أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ذلك لكونه أعجلَ الأشياء نضجاً، فكان يُعَجِّلُ به إليه لكونه لا يجد اللحمَ إلا غِبّاً. وكان صلى الله عليه وسلم يُعْجِبُه طعامُ الدُّبَّاء، ويُحب من التمر العجوةَ، ودعا في العجوةِ بالبركة وقال: إنها من الجنة وشفاءٌ من السُّمِّ والسّحر. وكان صلى الله عليه وسلم يحب من البقول: الهِنْدَبَاءَ، والشُّمارَ، والرِّجلةَ(١). وكان صلى الله عليه وسلم يَكْرَهُ أَكل الكُلْيتين لمكانهما من

(١) هي أنواع من البقول.

البول، وكان لا يأكلُ من الشاة سبعاً: الذكَر، والأُنْثَيين[1]، والفرْجَ، والدمَ، والمثانةَ، والمرَارة، والغُدَدَ، ويكره لغيره أكل هذه المذكورات من غير أن يُحَرِّمَها. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: أطيبُ اللحم لحمُ الظهر. وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكلُ الثومَ ولا البَصَلَ ولا الكُرَّاثَ. وقال لعلي: يا علي كل الثوم نيئاً فإنه شفاء من سبعين داءً، ولولا المَلَك يأتيني لأكلتُه. وما ذمّ صلى الله عليه وسلم قطُّ طعاماً، بل إن اشتهاه أكله وإلا تركَه. وكان له صلى الله عليه وسلم قَصْعةٌ يقال لها الغرّاء، لها أربع حِلَق يحملها أربعة رجال بينهم. وكان له صلى الله عليه وسلم صاعٌ ومُدٌّ وسريرٌ قوائمه من ساج[2].

وكان له صلى الله عليه وسلم ربعةٌ[3] يجعل فيها المِرآةَ والمُشْطَ والسِّواكَ والمِقراضَيْنِ وهما المِقَصُّ والمِلْقَطُ. وكان له صلى الله عليه وسلم سَبْعُ أَعْنُزٍ منائح[4] ترعاهنّ له أمّ أَيْمَنَ حاضِنَتُهُ. وكان صلى الله عليه وسلم يَعَافُ الضَّبَّ والطِّحالَ ولا يحرِّمهما، ويقول: إنَّ الضب لم يكن بأرض قومي فأَجدُني أعافهُ، وأما الطِّحال فإنما كرهه صلى الله عليه وسلم لأنه مجمع أوساخ البدن. وكان صلى الله عليه وسلم يَلْعَقُ الصَّحفةَ[5] بأصابعه ويقول: آخرُ الطعام أكثرُ بركةً. وكان يَلْعَقُ أصابعه حتى تحمرّ، وكان لا يمسح أصابعه بالمنديل حتى يلعقها واحدةً واحدةً، وكان يقول: إنه لا يدري في أيّ الأصابع البرَكة؟. وكان صلى الله عليه وسلم إذا أكل اللحم

---

(١) الأنثيان: الخصيتان.
(٢) الساج: نوع من الخشب.
(٣) الربعة: نوع من الآنية.
(٤) المنائح: مفردها منيحة وهي التي تعطيها أخاك ينتفع بلبنها زماناً ثم يردّها عليك.
(٥) الصَّحْفة: إناء الطعام.

والخبزَ خاصةً غسل يديه بالماء غسلاً جيداً ثم يمسح بفضلِ الماء على وجهه. وكان صلى الله عليه وسلم إذا شرب لا يَتَنَفَّسُ في الإناء، وإنما ينحرف عنه. وأتوه صلى الله عليه وسلم مرة باناء فيه لبن وعسل فأَبَى أن يأكله وقال: شرْبتان في شربة وإِدَامَانِ في إناء واحد؟ لا حاجة لي بهما، أَمَا إني لا أُحَرِّمُ ذلك، ولكني أكرهُ الفخرَ بفضول الدنيا والحساب على ذلك، وأحب التواضع لربي عزّ وجل في جميع أحوالي فانّ من تواضع لله رفعه الله، وكان صلى الله عليه وسلم في بيته أكثر حياءً من العاتق في خدرها، وكان لا يسألهم طعاماً ولا يتشهّاه عليهم، إن أُطعموه أَكَل وأَطعمَ غيرَه، وما أعطوه قَبِل ولو كان قليلاً، وكثيراً ما كان صلى الله عليه وسلم يقوم فيأخذ ما يأكل وما يشرب بنفسه.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا اعتمَّ أَرخى عِمامَته بين كتفيه، وفي أوقاتٍ كان لا يرخيها جملةً. هكذا قال بعضهم، والجمهور على أنه صلى الله عليه وسلم لم يَتْرُكْ العَذَبَةَ(١) حتى مات. وكان كمّه صلى الله عليه وسلم إلى الرُّسغ، وهو المفصلُ بين الكفّ والساعد. ولبس صلى الله عليه وسلم القَباء، والفَرَجيّة(٢)، والجبّة الضيقةَ الكُمَّيْن في سفره. وكان صلى الله عليه وسلم إذا أهدي إليه ثوبٌ يخالف هيئة ثيابه، لا يغيره عن هيئته، بل يلبسه على هيئته توسعةً على أمته صلى الله عليه وسلم، كما مرّ في الجبّة الضيقة الكمين. وكان له صلى الله عليه وسلم رداء طولهُ ستةُ أذرع في عرض ثلاثة أذرعَ وشِبرٍ. وكان أزارهُ صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع وشبراً في عرض ذراعين وشبر. وكان صلى الله عليه وسلم يلبس الأبراد التي فيها

---

(١) العذبة، بفتح الذال: طرف العمامة.

(٢) القَباء: ثوب يُلبس فوق الثياب ويتمنطق عليه. والفـرَجيّة: ثـوب واسع طـويل الأكمام.

الخطوط الحمر والخُضر. وكان صلى الله عليه وسلم ينهي عن لُبس الأحمر الخالص. وكان له صلى الله عليه وسلم سراويلُ ولبِسَ النعلَ التي يسميها الناس «التاسومةَ». وكان له صلى الله عليه وسلم بُردان[1] أخضران يصلي فيهما الجمعةَ والعيدين. قال بعض العلماء: ولم يلبَس صلى الله عليه وسلم البُردَ الأخضر الخالصَ الخضرة أبداً. قالوا: وكان أكثر لباسه صلى الله عليه وسلم في الجمعة البياضَ. وقوله: أخضران أي فيهما خطوط خضر. وكان صلى الله عليه وسلم يَلْبَسُ الخاتَمَ ويجعل فَصَّهُ مما يلي كفّه. وكان صلى الله عليه وسلم يتقنعُ بردائه تارةً ويتركه أُخرى، وهو الذي يسميه الناس الآن الطيلسان. وكان أكثر لباسه صلى الله عليه وسلم ولباس أصحابه ثياب القطن. وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة قَطْوَانِيَّة، وهي الغليظة من القطن. وكان صلى الله عليه وسلم يلتحي كثيراً من تحت الحنك على طريق المغاربة الآن في بلاد مصر. ولبس صلى الله عليه وسلم بردة من الصوف فوجد لها رائحة الضأن فتركها. وقال أنس: تُوفيَ صلى الله عليه وسلم وله بردة تُنسج عند النساج.

وكان صلى الله عليه وسلم مع أهل بيته يأكل من الكبد إذا شُوِيَتْ.

وكان صلى الله عليه وسلم مع أهل بيته في الخِدمة كأنه واحد منهم، من حُسن خلقه وحسن عِشرته صلى الله عليه وسلم. وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لم يكن أحد أحسنَ خُلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كنتُ إذا هَوِيتُ شيئاً تابعني عليه، قالت: وكنتُ إذا شربتُ من السِقاءَ يأخذه فيضع فمه على موضع فمي ويشرب، وربما كنتُ حائضاً وكان يَنهس فَضْلتي من اللحم الذي على العظم، قالت: وكان صلى الله عليه وسلم يتكىء في حِجري ويقرأ القرآن، قالت: وربما أكون حائضاً. وكان صلى

---

(١) البُرْدُ: من الثياب، جمع بُرود، وأبْراد، والبردةُ: كساء اسود مربع فيه صفر، تلبسه الأعراب، اهـ مصححة.

الله عليه وسلم له غنمٌ، وكان لا يحب أن تزيد الغنم على مائة، فإن زادت ذَبَح الزائد. وكان صلى الله عليه وسلم يبيع ويشتري ولكن كان شِرَاؤه أكثر من بيعه. وآجرَ صلى الله عليه وسلم نفسه قبل النبوة في رعاية الغنم، وكذلك آجَر نفسه لخديجة رضي الله عنها في سفره لتجارتها. واستدان صلى الله عليه وسلم برهْن وبغير رهْن، واستعار وضمنَ ووقف أرضاً له.

وحلف صلى الله عليه وسلم بالله تعالى في أكثرَ من ثمانين موضعاً توسعةً بذلك على أمته مع أنه كان أكثرَ الخلق تعظيماً لربه عز وجل، ولولا توسعته صلى الله عليه وسلم على أمته ما حلف بالله قطّ، تعظيماً له تعالى. وكان صلى الله عليه وسلم يستثني في يمينه تارة، ويُكَفِّرُها أُخرى، ويمضي فيها أخرى. وكان صلى الله عليه وسلم يُثيب الشاعرَ على شِعره إذا مدحه، ومنع الثواب في حق غيره، لئلا يتجرأ الشعراءُ على المدح ويبالغوا فيه فيؤدِّي إلى الكذب بغيرِ حق. وأمر صلى الله عليه وسلم أن يُحثى في وجوه المدَّاحين التراب، وصورة ذلك أن الممدوح يأخذ تراباً بأصابعه من الأرض ثم يذريه بين يدي المادح على الأرض، ويقول له: ماذا تمدَحُ فيمن خُلق من هذا، لا أنه يرمي الترابَ في وجه الشاعر فيؤذيه بذلك، كما فهمه بعضهم. وكان صلى الله عليه وسلم يصارع لأجل معرفة مكائدِ حرب العدو، وصارعَ رُكانةَ، كما قال بعضهم.

وكان صلى الله عليه وسلم يَفْلي ثوبَه من القمل الذي يصعد على ثيابه من مواضعِ الفقراء، ولم يكن ثوبه صلى الله عليه وسلم يَقْمَلُ. وكان صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس مشياً، وأسرَعهم فيه إذا مضى للصلاة، حتى كأنَّه ينحط من صَبَبٍ من غير اكتراثٍ ولا تعب منه صلى الله عليه وسلم، وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يمشون بين يديه وهو خلفَهم ويقول: دعوا ظهري للملائكة. وكان صلى الله عليه وسلم إذا سافر يكون ساقةَ أصحابه لأجل المنقطعين وإردافِهم والنظرِ في حالهم. وكانت ثيابه

صلى الله عليه وسلم كلُّها مشمَّرةً فوق الكعبين وَيشُدُّ وَسْطَه إذا كانت طويلةً وأكثر أحواله صلى الله عليه وسلم أنه كان يُفَصِّلُها قصيرة فلا يحتاج إلى تشميرها، وكان أزارُه فوق ذلك إلى نصفِ الساق. وكان قميصُه صلى الله عليه وسلم مشدودَ الأزرار، وتارة كان يتزرَّر بالأزرار المعهودة، وتارة بشوكة أو إبرة، وربما أحدثَ التزرُّرَ في الصلاة. وكان له صلى الله عليه وسلم مِلحفةٌ مصبوغة بالزَّعْفران، وربما صلى بالناس فيها وحدها، وربما لبس الكساءَ الأسودَ أو المُخَطَّط وما عليه غيره. وكان صلى الله عليه وسلم يَلْبَسُ الكساء المرقَّعَ ويقول: إنما أنا عبد أَلْبَسُ كما يلبس العبد. وكان له صلى الله عليه وسلم ثوبان للجمعةِ خاصةً، كما مرّ، سوى ثيابهِ في غير الجمعة، وربما لَبِسَ إزاراً واحداً ليس عليه غيره، يعقد طرفيه بين كتفيه وربما أَمَّ به الناسَ على الجنائز، وربما صلى به في بيتهِ، ويلتحف به إذا كان واسعاً، وربما كان ذلك الإزار هو الذي جامع فيه يومئذ، وربما صلى في الليل في وسطه إزارٌ يرتدي بطرفه مما يَلي هُدْبَه، ويُلْقي البقية على بعض نسائه لطوله ويصلي فيه، وكان لا يتحرك بحركة ركوعه ولا سجوده. وكان له صلى الله عليه وسلم كساء أسودُ ليس عنده غيره، فاستكساه شخص فكساه له. وكان له صلى الله عليه وسلم مُلاءَة مصبوغةٌ بالزعفران، كما مر، وكانت تنقل معه إلى بيوت زوجاته فترسلها المرأة التي كان نائماً عندها لصاحبة النَّوبة فترشُّها بالماء فتظهر رائحة الزعفران فينام معها فيها صلى الله عليه وسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يخرج وفي إصبعه الخيطُ المربوط في خاتمه فيتذكر به الشيءَ. وكان صلى الله عليه وسلم يختم بخاتِمَه على الكتب ويقول: الخاتم على الكتاب خيرٌ من التهمة. وكان صلى الله عليه وسلم يلبس القَلانسَ تحت العمائمِ، وتارة يلبسها من غير عمامة، وربما

نزع قَلَنْسُوَتَه من رأسه فجعلها سترةً بين يديه وصلى إليها، وكانت صوفاً وتارة يجعلها قُطْناً محشُوةً مضرَّبةً. قالت العلماء: وهذا يُؤذِن بان طولَها كان ثلثي ذراع حتى يصح كونها سترة للمصلى. وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة تسمَّى السَّحاب فوهبها لعليّ رضي الله عنه، فربما طلع عليّ رضي الله عنه وهي على رأسه فيقول صلى الله عليه وسلم: أتاكم عليٌّ في السحاب. وكان له صلى الله عليه وسلم فِراش من أُدُمٍ، حشوُه ليف، طوله ذراعان أو نحوهما، وعرضُهُ ذراع وشبر ونحوه. وكان له صلى الله عليه وسلم عَبَاءة تُفرش له حيثما تَنَقَّلَ، تُثنى له طاقَيْن، فيجلس عليهما، وَفَرشتها له عائشة رضي الله عنها مرة بعد أن ثنتها أربع طاقات، فنام صلى الله عليه وسلم عن الوقت الأول من وِرده فقال: أعيدوها طاقتين، فانّ لينها ووَطَاءتها كاد أن يمنعني قيام ليلتي. وكثيراً ما كان صلى الله عليه وسلم ينام على الحصير وحده وليس فوقه شيء.

وكان له صلى الله عليه وسلم مطهرةٌ من فَخَّار يتوضأ فيها ويشرب، فكان الناس يرسلون أولادهم الذين لم يبلغوا الحُلُمَ فيدخلون عليه صلى الله عليه وسلم فلا يُمنعون، فإذا وجدوا في المِطهرة[1] ماءً شربوا منه ومسحوا منه على وجوههم وأجسامهم، يبتغون بذلك البركة. وكان صلى الله عليه وسلم إذا صلّى الغداةَ جلس في مجلسه فيجيء خدمُ المدينة بآنيتهم، فيها الماءُ، فيسألونه صلى الله عليه وسلم أن يضع يدَه في أوانيهم فيفعل، وربما جاؤوا بالغداة الباردة فيغمِسُ يده في الماء لأجل خاطرهم. وكان صلى الله عليه وسلم إذا بَصَقَ يتسارع الناس إلى تلقي بُصاقه ونُخامته بأكفهم، فلا يقع له صلى الله عليه وسلم نُخامة على الأرض، فكانوا

(١) المِطهرة، بكسر المِيم: كل إناء يُتطهّر منه، كالإبريق والسطل. . . .

يَـدْلِكُونَ بتلك النُّخـامة وجـوهَهم وجلودهم طلباً أن لا تَمَسَّهم النـار يوم القيامة، وكانوا يقتتلون على غُسالة ماء وضوئه. وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يتكلمون عنده بخفض صوت مع الهيبة والإطراق، وكانـوا لا يُحدِّقون النظر إليه صلى الله عليه وسلم، ولا يُحِدُّون بصرهم إليه تعظيماً له وتوقيراً.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤذِي من يُؤذيه ولا يتكلم فيما لا يَعنيه ولا يذكر أحداً بغيبته ولا يَشْمَتُ بمصيبة، وكان إذا بالغ أحد في إيذائه صبَر واحتمل ولم يقابله بنظيره، وربما قال: رحم الله أخي موسى، لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر. وكان صلى الله عليه وسلم يكره من يبلِّغه السوءَ عن أصحابه ويقول: لا تبلِّغوني عن أصحابي إلا خيراً فاني بَشَرٌ أغضب كما يغضب البَشرُ، وإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليمُ الصدر. وقسم مرة قَسْماً بين أصحابه فلما انصرف قال شخص من القوم: هذه قِسمة ما أريدَ بها وجهُ الله تعالى. فلما رجع صلى الله عليه وسلم أخبره شخص بما قيل في حقه، فقال صلى الله عليه وسلم: لا تبلِّغوني عن أصحابي إلاّ خيراً. وكان صلى الله عليه وسلم إذا رأى أحداً يفعل ما لا يليقُ لا يبادر إلى الإنكار عليه، ولكن يتثبّت، فإن رآه جاهلاً علّمـه برفق ورحمـةٍ، كما في قصـة الأعرابِّي الذي دخل فبالَ في المسجد، فانـه صلى الله عليه وسلم نهى أصحـابه أن يُـزْعِجوه من بـوله، وقـال: إنمـا بُعثْتُم ميسِّـرين ولم تُبْعَثُـوا معسِّرين. فلما فرغ الأعرابي من بوله كلَّمـه بخفضِ صوتٍ وقـال: إنما جُعلتِ المساجدُ للصلاة ولم تُجعل للبول.

وكان صلى الله عليه وسلم يركبُ الحِمار موكوفاً[1]، وعليه قطيفةٌ،

---

(١) وضع عليه الإكاف، وهو البرذعة.

وإذا مرَّ على الصبيان سلّم عليهم وباسطَهم. وأتوه صلى الله عليه وسلم مرة برجل فأُرعد من هيبتِه صلى الله عليه وسلم فقال: هوِّنْ عليك يا أخي، فلستُ بملِك ولا جبَّار، وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكُل القديدَ. وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لا يدعوه أحد من أصحابه إلا قال له لبَّيْكَ. وكان صلى الله عليه وسلم مع أصحابه على ما يريدون ويحبّون، فإن تكلَّموا في أمر الآخرة تكلم معهم، أو في أمر الدنيا تكلّم معهم، أو في طعام وشراب تكلّم معهم، رفقاً بهم واستمالةً لخواطرهم، فكان هيِّناً ليِّناً صلى الله عليه وسلم. وكان صلى الله عليه وسلم لا يَزْجُرُ أصحابه إلا عن حرامٍ أو مكروه. وكان صلى الله عليه وسلم يُسابقُ عائشة بالعَدْوِ والهرْولة فيسبقُها، فإذا رآها غَضِبتْ تثاقل لها حتى تسبِقَه. قالت عائشة رضي الله عنها: وما مات صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثرُ صلاته النفلَ في الليل جالساً، وكان إذا تَعِب من القيام يجلِسُ فيقرأ وهو جالس، فإذا قارب الركوع قام فقرأ ما كُتب له ثم ركع. وكان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يفتتح قيام الليل بركعتين خفيفتين، ثم يطيل بعدهما ما شاء، ويجعلهما كالنافلة التي قبل الفريضة، ويكثر فيهما من الاستغفار أدباً مع ربّه، وتشريعاً لأمته صلى الله عليه وسلم».

انتهت عبارة الإمام الشعراني نقلتها من مقدمة شرح البردة، لشيخنا خادم الشيخ حسن العدَوي، وهي من أجمع العبارات لأخلاقه الشريفة صلى الله عليه وسلم.

***

الباب السادس

في ذكر شيءٍ من دلائل نبوته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم

لخصتها من كتابي الذي لم يؤلف في هذا الشأن مثله فيما أعلم وهو «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين» صلى الله عليه وسلم. ومن أراد الاطلاع على التفصيلات بذكر الرواة والرويات وأنواع الدلائل والفضائل والمعجزات فليراجعه يجدْ فيه ما يشفي ويكفي. قد وردت البشارة به والشهادة بنبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية قبل وجوده عليه الصلاة والسلام بمئاتٍ وألوفٍ من السنين. فمن ذلك: ما ورد في التوارة، والزبور، وإنجيل متّى، وإنجيل يوحنا، وكتاب شعيا، وهو ذو الكفل، وكتاب دانيال، وكتاب يوبال بن يوثال، وكتاب عويد، وكتاب ميخا، وكتاب حمقوق، وكتاب حزقيال، وكتاب صعيا، وكتاب زكريا، وكتاب يوحنا أي يحيى، وكتاب أرميا ابن برخيا، وكتاب شمعون، وكلهم من أنبياء بني إسرائيل. ووردت البشارة به صلى الله عليه وسلم أيضاً في رسالة يهوذا الحَواري.

ومن أحبار اليهود الذين بّشروا به صلى الله عليه وسلم وأسلموا: عبد الله بن سَلام، ومُخيريق، وابن صوريه، وغيرهم. وبشّر به صلى الله

عليه وسلم كثير من أحبارهم الذين لم يسلموا حسداً وعناداً.

ومن رهبان النصارى الذين بشَّروا به صلى الله عليه وسلم وصدّقوه: سلمـانُ الفارسي، وهـرقل ملك الـروم، والنجاشيُّ ملك الحبشة، وبحيرا الراهب، واسمه جرجيس، ونسطورا الراهب، وورقة ابن نوفل وغيرهم. وبشر به صلى الله عليه وسلم كثير منهم ولم يسلموا حسداً وعناداً.

وبشّر به صلى الله عليه وسلم قُسُّ ابن ساعدة في خطبته المشهورة، وبعض من كان على دين إبراهيم عليه السلام من العرب: كزيد بن عمرو ابن نُفيل، وأمية ابن أبي الصَّلْت، وقد أدركه ولم يُسلم حسداً وعناداً.

وبشّر به صلى الله عليه وسلم أجداده: اليـاس، وكنانـة، وكعب بن لُؤي. وكان يخطب بذكره في المواسم. قال السيوطي: وبين كعب وبينه خمسمائة وستون سنة، وكان جدّه عبد المطلب يعظمه صغيـراً ويقول: إنَّ لإبني هذا لشأناً عظيماً. وقيل له: لَم سميته محمداً وليس من أسماء آبائك وأجدادك؟ فقال: رجـوتُ أن يُحمَدَ في السمـاء والأرض. وقد حقق الله رجاءه وذلك لِمَا رآه من المرائي العجيبة في منامه، ولِما كان يراه من نوره صلى الله عليه وسلم الذي كان ينتقل في أجداده وجدّاته الكرام، وأخلاقه الكريمة العظيمة من صغَره، ولِما كان يسمعه في شأن نبي آخر الزمان من أهل الكتاب والكُهَّان، ومطابقة علاماته التي كان يسمعها منهم، لما كان يشاهده فيه صلى الله عليه وسلم من الأوصاف والكمالات التي نشأ عليها. وكذلك عمه أبو طالب بعد وفاة عبد المطلب شاهد منه وهو صلى الله عليه وسلم صغير السن من العجائب والكمالات ما كان يعظمه لأجلها تعظيماً كثيراً ويصرح بأنه سيكون له شأن كبير.

وبشّر به صلى الله عليه وسلم كثير من الجن والهواتفِ التي يُسمع صوتها ولا يُرى شخصها، وهي لا تخلو عن أن تكون من الملائكة أو من

الجن أو رجال الغيب من صالحي الإنس، ممن هم على التوحيد، من أتباع الأنبياء السابقين، أو الأنبياء نفسهم، كالخضر والياس وهما حيّان.

وبشّر به صلى الله عليه وسلم كثير من المنّجمين والكهّان: كسيف بن ذي يَزَن، وشِقّ، وسطيح، وغيرهم ممن لم يدركوا بعثته، وممن أدركوها وآمنوا به صلى الله عليه وسلم، أو لم يؤمنوا عناداً وضلالاً.

ووجدتْ قريش كتاباً أسفل المقام فدعت رجلاً من حِمْيَر فقال: إن فيه لحرفاً لو أخبرتكموه لقتلتموني. فظنوا أن فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فكتموه. ووجُد في البيت حجرٌ منقور، فيه: «عبدي المنتخَب المتوكّل المنيب المختار مولده بمكة، ومُهَاجَرُهُ طيبة، لا يذهب حتى يقيمَ السنة العوجاء ويشهدَ أن لا إله إلا الله، أمتهُ الحمَّادون، يحمدون الله على كل أَكَمة، يأتزرون على أوساطهم، ويُطَهّرون أطرافهم».

ومن البشائر به صلى الله عليه وسلم ما راه كثير من الناس في مناماتهم: كجدّه عبد المطلب، والنجاشي، وخُفاف بن نَضْلةَ، ورقيقة بنت أبي صيفي، وأسعد بن زرارة، وعمرو بن مُرّة الجُهني، وغير ذلك من المرائي الكثيرة العجيبة، وأُغْمي على عُمير بن حُبيب فانتبه وأخبر بأنه أتاه آتٍ فأخبره بنبوّة النبي صلى الله عليه وسلم.

* * *

فصل

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أن نوره كان يزهر في جبين أبيه عبد الله، وقَبْلَهُ في جبين عبد المطلب، وهكذا في جبين كل جدّ من أجداده وجدَّاته إلى آدمَ. قال الحافظ أبو علي بن القطان في كتاب «البشائر والأعلام». وقد كان الآباء الكرامُ خمسين والأمهات كذلك، وإن ظهور النور مرةً واحدةً لكبيرٌ وعجيبٌ ومعجزٌ، فكيف بظهوره مائة مرة؟ وكانوا كلّهم يحسّون باختصاص الله تعالى لهم بأمر عظيم هم من أجله محافظون على الطهارة.

ومنها: أن عبد المطلب كان نذر ذبْح العاشر من أولاده إذا بلغوا عشرةً، فكان العاشر عبد الله، فضرب بالقِداح عليه وعلى الإبل عَشْرَ مرات، والقُرعة تصيب الإبل، فذبحها فديةً عنه. وعرضتْ نفسها عليه كاهنةٌ، لِما علمت ورأت من نوره، فعصمه الله حتى تزوج بآمنة فانتقل النور إليها. ومنها إلهامُ أجداده جميعاً أن يتزوَّجوا بالنكاح لا بالسِّفاح، وكان كل واحد منهم أفضلَ قومه، وهكذا جدّاته.

فصل

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ما وقع في مدة حمله وولادته من الآيات وخوارق العادات. قال الإمام الماوردي: ولما دنا مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاطرت آيات نبوته، وظهرت آيات بركته، فكان من أعظمها شأناً، وأظهرها برهاناً وأشهرها عياناً وبياناً، قصة أصحاب الفيل، أي حينما قدِم أَبْرَهةُ بجيشه وفيله لهدْم الكعبة، فعصاه الفيل قبل الوصول إليها، وأرسل الله عليه وعلى جيشه طيراً أبابيل، أي جماعاتٍ، فأهلكتهم بحجارة من سجّيل، وكان وقت ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حملاً في بطن أمه بمكة، وولد بعده بخمسين يوماً، وذلك يوم الاثنين ثاني عشر من شهر ربيع الأول، ووافق من شهور الروم العشرين من شُباط[1] في السنة الثانية عشرة من ملك هرمز بن أنو شروان، وكانت آيته صلى الله عليه وسلَّم في قصة الفيل لحرمة الكعبة التي هي قِبلته وحفْظ قومه من السّباء والاسترقاق لو ظفروا بهم، فأهلكهم الله تعالى لصيانةِ رسوله صلى الله عليه وسلم. ويدُلُّ لذلك أن قريشاً كانت عبدةَ أصنام لا تستحق هذه العناية من الله تعالى. لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى كلام الماوردي.

---

(١) ذكر المؤلف في كتابه «الأنوار المحمدية» أن مولده في (٢٠) نيسان وكذا السهيل في روضة الأنف، ا هـ مصححة.

ومنها تنكيس الأصنام عند ولادته صلى الله عليه وسلم وعند الحمل به، ومنها: انشقاق إيوان كسرى وكان مبنياً بناء في غاية الإحكام ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم، وسقوط أربع عشرة شُرَّافةً منه، عددَ ما بقي منهم من الملوك. ومنها خمود نار فارس في جميع بيوتها التي كانت تعبدها فيها المجوس، ولم تخمد قبل ذلك بألفِ عام. ومنها غَيْض بحيرةِ ساوةَ بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها. ومنها رؤيا المُوبِذان(١) المشهورُةالتي فسَّرها سَطيحٌ الكاهنُ. ومنها ما روي عن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه وهو رضيعٌ في المهد يناغي القمرَ، ويشير إليه باصبعه، فحيثما أشار إليه مال.

ومنها: ما ذكره في فتح الباري من أنه صلى الله عليه وسلم تكلم في أول ما ولُد. وروى السهيلي أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلّم فقال: جلالُ ربي الرفيعُ. وروى أيضاً أنه قال: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً. ومنها عن زيد بن أسلم أن مرضعته حليمة لما أخذته صلى الله عليه وسلم قالت لها أمه: اعلمي أنِك قد أخذتِ مولوداً له شأن، فوالله لقد حملْتهُ فما كنت أجدُ ما تجد النساءُ من الحمل، ولقد أتاني آتٍ فقال لي: إنكِ ستلدين غلاماً فسمّيه أحمد، وهو سيدُ العالمين. ولقد وقع معتمداً علي يديه، رافعاً رأسه إلى السماء. ورأت امُّه آمنةُ في حَمْلها وولادتها في منامها ويقظتها عجائبَ كثيرة، منها: النور الذي خرج منها فأضاءت له قصورُ الشام. ومنها ما ذكره ابن سبع في الخصائص أن مهده صلى الله عليه وسلم كان يتحركُ بتحريك الملائكة.

(١) هو فقيه الفرس أو حاكمهم.

فصل

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم: ما رأته مرضعتهُ حليمةُ السعدية حتى رغبت في رضاعه من البركةِ والآياتِ وخوارقِ العادات، وهي كثيرةٌ، منها: سعةُ عيشها وإدرارُ شارفِها أي ناقتها الهزيلة، وقوةُ أتانها أي حمارتها الضعيفةِ، وكثرةُ حليبِ معزاها، وَشِبَعُهَا مع شدة الجدْب وعدم الرعي ولا لبنَ ولا مرعى لغيرها.

ومنها: أنه كان صلى الله عليه وسلم يشبُّ شباباً لا يشبُّه الغلمانُ. ومنها؛ ما قالته حليمةُ: إنه كان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم كلّ يوم نورٌ كنور الشمس ثم ينجلي عنه. ومنها أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يمسُّ شيئاً إلا قال: بسم الله. ومنها تطييبُ منازل بني سعد بريح المسك من حين نزوله فيهم، وكان أحدُهم إذا نزل به أذى في جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها موضعَ الأذى فيبرأُ بإذن الله تعالى سريعاً، وكذا إذا اعتلّ لهم بعيرٌ أو شاةٌ. ومنها: شقُّ الملائكة صدرَه الشريفَ. قال الحافظ ابن حجر: وقصة شقِّ صدره صلى الله عليه وسلم تعددت وجاءت في كتب الحديث بروايات كثيرة. ومنها: أن مرضعته حليمة وبنتها الشَّيْماء رأت كلُّ واحدة منهما غمامةً تظلّ عليه، إذا وقفَ وقفتْ وإذا سار سارتْ

فصل

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أن الله تعالى حَفِظَهُ مما كان عليه الجاهليةَ من معايبهم بحسب ما آل إليهِ شرعهُ لِما يُريد الله تعالى به من الكرامة، حتى صار أحسنَهم خُلْقاً وأعظمَهم تنزُّهاً عن الفحش والأخلاقِ التي تُدَنِّسُ الرجال، وأفضلَهم مروءةً، وأكرَمهم مُخالطة، وخيرَهم جِواراً، وأكثرَهم حلماً، وأحفظهم أمانةً وأصدقَهم حديثاً، لِما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدهِ، والفعالِ السديدةِ من الحلمِ والصبرِ والشكرِ والعدلِ والزهد والتواضعِ والعفِة والجود والشجاعة والحياءِ، وغير ذلك من الأوصافِ الجميلة والأخلاق الجليلة، ما رُئي ممُارياً ولا مُلاحياً أحداً، حتى سّماه قومُه الأمينَ.

ومن ذلك: أنه كان ينقلُ وهو غلام، مع قريش لبناء الكعبة، الحجارةَ، فانكشفتْ عَوْرَتهُ فنودي: يا محمد عورتَكَ، فذلك أول ما نُودي، فما رُئيتْ له عورة بعدُ ولا قبلُ. رواه البيهقي. وأخرج أبو نُعيم عن علي رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: هل عَبَدْتَ وَثناً قطُّ قال: لا. قالوا: هل شَرِبْتَ خمراً؟ قال: لا، وما زلتُ أعرِفُ أن الذي هم عليه كُفْرٌ، وما كنتُ أدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ؟ أيْ كيفيةَ الدعوة إليهما. وعنه صلى الله عليه وسلم قال: لما نشأتُ بُغِّضَتْ إليَّ الأصنامُ وبُغِّضَ إلي الشعرُ. وروى ابن رَاهُويَة عن علي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما هممت بقبيح مما همَّ به أهلُ الجاهلية حتى

أكرمني الله بالنبوةِ، إلاّ مرتين من الدهر، كلتاهما عصمني الله عزوجل عن فعلهما. وبيَّنَ أن ذلك همَّة مرتين بسمَاع غناءٍ وصوتِ دفوف ومزامير، فغلبته عيناه فنام صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يذهب في حاجةٍ إلا أنجحَ فيها[1]. ومنها أن عمه أبا طالب كان فقيراً وذا عيال، فكانوا إذا أكل معهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم شبعوا وأَفْضَلُوا من طعامِهم وإلاّ فلا، وإذا شَرِبوا لَبَنَاً شرب أوّلَهم فَيَرْوُونَ وإلاّ فلا. فيقول أبو طالب: إنَّك لَمُبَارَكٌ. ومنها أن الصبيانَ كانوا يُصبحون شُعْثاً رُمْصاً[2] مُصْفَرَّةً ألوانُهمَّ ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دَهيناً كحيلاً صَقيلاً، كأنه في أنعم عيش، لُطفاً من الله به. ومنها أن أبا طالبٍ استسقى مع الناس في قَحْطٍ، والنبيّ غُلامٌ، فأشار صلى الله عليه وسلم باصبعه إلى السماء كالمتضرِّع الملتجىء، وما في السماء من قزْعةٍ[3]، فأقبل السحابُ من ههنا وههنا، وآغْدَوْدَقَ الوادي أي كَثُر قَطْرُه، وأخصبَ النادي والبادِي، فقال أبو طالب بعد البعثِة يذكر ذلك:

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل[4]
يلوذ به الهُلاَّك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمةٍ وفواضل[5]

ومنها أنه سافر إلى اليمن وعمره بِضع عَشْرةَ سنةً مع عمه الزبير، فمّروا بوادٍ فيه فحلٌ من الإبل يمنعُ من يجتازه، فلما رآه الفحل بَرَكَ

---

(١) أي نجح في قضائها وإنجازها.
(٢) أرمص، وهو الذي اجتمع في مؤق عينه وسخ أبيض.
(٣) قطعة من الغيم.
(٤) ثمال: ملجأ.
(٥) الهلاك: الفقراء.

وحَكَّ الأرض بصدرِهِ، فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحلَ حتى جاوزَ الوادي، ومرُّوا برجوعهم بوادٍ مملوءٍ ماءً فاقتحمه واتَّبعوه، فأيبس الله الماء. فلما وردوا مكةَ وأخبروهم قال الناس: إن لهذا الغلامِ شأناً.

ومنها أن قريشاً حين بنتِ الكعبةَ وعمْرُه صلى الله عليه وسلم خمسٌ وثلاثون سنةً - اختصموا فيمن يَضَعُ الحجرَ الأسودَ، واتفقوا على تحكيم أولِ من يدخل من بابِ بني شيبة، فكان صلى الله عليه وسلم أولَ من دخل منه، فأمَر بوضعِ الحجَرِ في ثوبٍ، وأن يأخذوا بأطرافه، من كل قبيلة رجل، ويرفعوه. ففعلوا، فأخذه صلى الله عليه وسلم منهم ووضعه مكانه بيده الشريفة. وكانوا يتحاكمون إليه صلى الله عليه وسلم في الجاهليةِ قبل الإسلام.

ومنها: أن عمَّه أبا طالب شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم العطشَ بذي المَجازِ فأهوى بعقبهِ الى الأرض فركضَها[1] برجله فاذا بالماء، فَشرِبَ حتى رَوِيَ، ثم ركَضَهَا فعادتْ كما كانت.

ومنها: أنه سافر وهو صغير مع عمه أبي طالب إلى الشام فرآه بحيرا الراهبُ وهو جالس مع الركب تحت شجرةٍ، وظلُّها يمتد عليه أينما جلس، يدور معه حيثما دار، فدعاهم لأجله وعرّفهم أنه نبيٌّ آخر الزمان المبشَّرُ به في الكتب السماوية وحذَّرهم عليه من اليهودِ.

ومنها: أنه سافر وعمره خمس وعشرون سنة إلى الشام ومعه مَيْسَرَةُ غلام خديجة بتجارة لها، فربحت ضعف ما كانت تَرْبحُ، ورأى ميسرةُ اعتناء

---

(١) أي: ضربها.

نَسْطُورا الراهبِ في شأنه صلى الله عليه وسلم، وتنويهه بنبوته، للعلامات التي عَرَفَها. وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكَيْن يُظلَّانه من الشمس، ورأتهما خديجة يُظلّانه عند رجوعِهم إلى مكة، وهي في عُلِّيتها، وأخبرها ميسرة بجميع ما رأى وبما سمع من نسطورا، وقد أعيا[1] بعيران فأخبره ميسرة فوضع يدَه الشريفةَ على أخفافهما وعوَّذهما فانطلقا في أول الركب.

ومنها: أن خديجة رضي الله عنها كانت أجملَ نساء قريش وأكثرَهن مالاً وأعظمهن عقلاً وفضلاً وكمالاً، رغبتْ في تزَوُّجه صلى الله عليه وسلم لِما سمعت من شأن نبيٍّ آخر الزمان، وتَفَرَّسَتْ فيهِ أنه هو لِما رأت فيه من العلامات والكمالات وقد حقق الله فِراسَتَها، رضي الله عنها.

* * *

---

(١) تعب وعجز عن السير.

فصل

قد وردَ له صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرة. ودلائل النبوة الظاهرة. ما تَعْجزُ عن حصره الأقلام. ولا يمكن استيفاؤه بالكلام. فمن ذلك بل أعظم ما هنالك القرآنُ. الذي عجز عن معارضته عوالمُ المَلَك والإنس والجان. وهو معجزته الدائمة إلى يوم القيام. وقد استوفيت في كتابي «حجة الله على العالمين» الكلام على أوجه إعجازه، وما اشتمل عليه من العلوم، والإخبار بالمغيبات السابقة واللاحقة، مما لا يعلم علمه إلا الله، فجاء كما أخبر على الوجه الذي به أخبر.

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما وقع في الإسراء والمعراج من الآيات البينات والدلائل الواضحات والفضل العظيم الذي خصّه به العزيز الحكيم.

ومنها: رؤْية كثيرٍ من أصحابه صلى الله عليه وسلم الملائكةَ كجبريلَ عليه السلام وغيره، في مواطن كِثيرة، ورؤْيتهم الجنَّ في وقائع متعددة، ورؤيتهم اختلافَ حالته إذا نزل عليه الوحي عما كانت عليه قبل نزوله.

أخرج الطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كنت أكتب

الوحيَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا نزل عليه أخَذَتْهُ بُرَحاء[1] شديدةٌ وعرِق عرقاً شديداً مثلَ الجُمَانِ[2] ثم سُرِّيَ عنه، وكنتُ أكتبُ وهو يُملي عليَّ، فما أفْرُغ حتى تكادَ رجلي تَنْكسِرُ من ثقلِ القرآن حتى أقولُ لا أمشي على رجلي أبداً.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي اربَدَّ لذلك وجهه وجسده، وأمسك عنه أصحابهُ، ولم يكلّمُه أحد منهم». وورد في ذلك أحاديث كثيرة.

ومنها: محاربة الملائكة معه صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر، وقد رآهم بعضُ الصحابة وسَمِعَ بعضهم أصواتهم، وحضورُهم لنصرته في غزوة أُحُدٍ، والخندقِ، وبني قريظة، وحُنين.

ومنها: معجزة انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم. قال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدِ لها شيء من آيات الانبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماوات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركَّبِ من الطبائع، فليس مما يُطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهرَ. وقال ابن عبد البّر: رَوى حديثَ انشقاق القمر جماعةٌ كثيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجمُّ الغفيرُ إلى أن انتهى الينا، وتأيّد بالآية الكريمة: ﴿إِقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[3]. وقال ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن انشقاقَ القمر متواترٌ منصوص عليه في القرآن، مرويٌّ

---

(١) البُرَحاء: الشدة والمشقة، ومنه بُرَحاء الحمّى.

(٢) الجمان: اللؤلؤ.

(٣) سورة القمر الآية ١.

في الصحيحين وغيرهما، وله طرق شتى بحيث لا يُمْتَرى في تواتره ا هـ.
ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُرِيَهم آيةً، فأراهم انشقاقَ القمر شِقَّتين، حتى رأوا حِراءَ[1] بينهما. ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا.

ومنها ردّ الشمس له صلى الله عليه وسلم عليه وسلم. رواه الأئمةُ في كتبهم، كما في «المواهب» عن أسماء بنت عُمَيْس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُوحَى إليه ورأسُه في حِجْرِ علي رضي الله عنه، فلم يُصَلِّ العصرَ حتى غربتِ الشمسُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَصلّيتَ يا عليُّ؟ فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعةِ رسولك فارْدُدْ عليه الشمسَ. قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبال والأرض، وذلك في «الصهباء» في خيبر. رواه الطحاوي، وقال: إن أحمد ابن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن سبيلُه العلمُ التخلفُ عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة ا هـ. وصحح هذا الحديثَ الطحاوي والقاضي عياض. وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمسَ فتأخرت ساعةً من نهار. ورُوي حبسُ الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم لما أُسْرِيَ به، ورجع فأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العِيرِ[2]، قالوا: متى تجيء؟ قال: يوم الأربعاء. فلما كان

(١) جبل حِراء بمكة، وفيه الغار المعروف.

(٢) العير: القافلة.

ذلك اليوم أَشْرَفَتْ قريش ينتظرون، وقد وَّلى النهارُ ولم تجيء، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزيد له في النهار ساعةٌ وحبست عليه الشمسُ. ذكره القاضي عياض عن رواية يونس بن بُكير عن ابن اسحاق. وكذلك رُوي حبسُ الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شُغِلَ عن صلاة العصر.

ومنها: رمي الشياطين بالشهب عند مبعثه صلى الله عليه وسلم. رواه ابن عباس، وذكره كثيرٌ من العلماء. ومنها كما في «المواهب» وغيرها انقطاع الكهانةِ عند مبعثه صلى الله عليه وسلم.

* * *

فصل

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إحياءُ الموتى، ومن ذلك إحياء الله تعالى أبويه الكريمين وإيمانهما به صلى الله عليه وسلم، وقد وقع إحياءُ الموتى كرامةً لكثير من أولياء أمته صلى الله عليه وسلم، كما في رسالة القشيري وغيرها، وكرامات الأولياء كلها معجزات له صلى الله عليه وسلم. ومنها: شفاء الأسقام والعاهات والجروح ببركته صلى الله عليه وسلم. وقد ورد من ذلك شيء كثير لا يمكن حصره. ومنها: تبديل الأعيان والأخلاق والصفات ببركته صلى الله عليه وسلم وهو كثير أيضاً.

ومنها: تكليم الجمادات وشهادتها برسالته، وإجابتُها دعوتَه وطاعتها له، وذلك أيضاً كثير جداً لا يدخل تحت الحصر: فقد كلّمه وسعى إليه الشجر، وسبّحَ في كفه الحصى والطعام، وحنَّ له الجِذْعُ، وأمَّنت أُسْكُفَّةُ البابِ[1] وحوائطُ البيت على دعائه للعبَّاس وبنيه رضي الله عنهم، وتحرَّكَ الجبل تحت قدمه، وتحرَّكَ المنبرُ من وعظه، وأخبره الجدْي المشويُّ والشاةُ المسمومان بذلك، وسقطت الأصنامُ عن ظهر الكعبة بإشارته صلى الله عليه وسلم، وضَرب الكُديةَ[2] التي لا يَعْمَلُ فيها المِعْوَلُ يوم الخندق،

(١) عتبةُ الباب التي يوطأ عليها، وقد تكون من الخشب.
(٢) الكدية: الأرض الغليظة أو الصلبة.

فأنهالت كالكثيب. ومنها: تكليم البهائم له وشهادتُها برسالته وإجابتها دعوته، وطاعتُها له صلى الله عليه وسلم وذلك كثير أيضاً فقد نسج له العنكبوت على باب الغار يوم الهجرة، وباضت الحمامةُ وكلّمته الإبل، وانقادت لأمره وخضعت له وشهدتْ له، وأطاعتْه البغلةُ والحمار والغنم والظبية والذئبُ والضبُّ والأسد والوحش والحُمَّرة[1] والغراب والداجنُ، وتكلَّم الطفلُ برسالته صلى الله عليه وسلم.

ومنها: إخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيَّبات الواقعة قبل الإخبار وبعده، وذلك شيء كثير لا يدخل تحت الحصر. روى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلى قيامِ الساعة إلّا حدّثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. وذلك كثير جداً لا يمكن استيفاؤه. ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم بأشراطِ الساعةِ، وهو أيضاً شيء كثير، ظهر بعضه ولا يزال مستمرَّ الظهور في كل زمان ومكان. ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم مرائيه وما عَبره من المرائي[2] لغيره وهو شيء كثير. ومن معجزاته استجابةُ دعائه وهو من أكثر أنواع معجزاته صلى الله عليه وسلم. ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تبريكه بالماء والطعام والشراب كاللبن حتى كان القليلُ منهما الذي يُشبع ويُروي عادةً شخصاً واحداً أو أشخاصاً دون العشرة، يبارك به الله، معجزةً له صلى الله عليه وسلم، حتى يكفي المئات والألوف الكثيرة. وقد صح ذلك في وقائع كثيرةٍ سَفَراً وحَضَراً، في المشاهد العامَّة والمواطن التي حضرها معظم أصحابه، ولا سيما في غزوة تَبوك التي

---

(١) نوع من العصافير.
(٢) المرائي: الأحلام التي يراها النائم. وعبر الحُلم: فسرّه.

كانت عِدَّتهم فيها نحو الثلاثين ألفاً، وقد أرواهم ودوابَّهم بإداوة[1] من ماء وأشبعهم، وزوَّدهم بمقدار رَبضة الفَصيل[2]، من الطعام. ومن ذلك نبعُ الماء من بين أصابعه، ونزولُ الغيث باستسقائه صلى الله عليه وسلم، وذلك أيضاً شيء كثير.

ومنها: أن الله تعالى عصَمه من أعدائه وغيرهم فلم يظفر أحدٌ به مع كثرة الأعداء الذين جمعوا له الجموعَ، وأوقدوا له الحروبَ، ونصبوا له حبائلَ الكيدِ والمكر في قصصٍ شتى. وقد كان يحرسه بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فلما نزل قوله تعالى: ﴿والله يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3] أخرج رأسَه من القُبَّةِ وقال لهم: ايُّها الناسُ ٱنصرفوا فقد عَصَمني الله. وكان يُقْبَضُ الرجلُ الذي يُريدُ الفتكَ بالنبي صلى الله عليه وسلم فيقول له: لن تُرَاعَ لن تراعَ، لو أردتَ ذلك لم يسلِّطك الله عليَّ. ويعفو عنه صلى الله عليه وسلم. ومنها قصة الإراشيِّ[4] الذي منعه أبو جهل حقّه، فأمر صلى الله عليه وسلم أبا جهل فأعطاه حقه لِما رأى من الآيات التي ألزمته بطاعة أمر النبي صلى الله عليه وسلم. وتكرر ذلك له في غير قصة، ورأى من الآيات شيئاً كثيراً، ولكن غلبت عليه الشقاوةُ هو وجماعة من صناديد قريش، بسبب حسدهم له صلى الله عليه وسلم، وتمسكهم بدينِ آبائهم وأجدادِهم، مع شهادتهم له بأنه صلى الله عليه وسلم من صِغره أصدقُ الناس وأجمعهم لمحاسن الخصال وسائر أوصاف الكمال، حتى أهلكهم

---

(١) إناء صغير يحمل فيه الماء.
(٢) الفصيل: ولد الناقة، ورَبْضته: مقدار جثّته إذا برك على الأرض.
(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.
(٤) رجل من قبيلة إراشة.

الله في غزوة بدر، وعيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم مصارعهم قبل قتْلهم، فقُتل كل واحد منهم في المكان الذي عيّنه صلى الله عليه وسلم.

ومنها معجزات كثيرةٌ في أنواع شتى وقعت له صلى الله عليه وسلم في أثناء غزواته.

* * *

فصل

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أنه ـ كما في السيرة الحلبية ـ حصلت زوبعة سنة ٤٥٤ بخراسان، وسقطت صخرة لها نور عظيم، مكتوب عليها: «لا إله إلا الله فاعبدوه، محمد رسول الله، القرشي». ومنها أنه رئي بطبرستان سحابة مكتوب عليها بخط واضح: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». ومنها: ما روي عن ابن عباس أن طائراً ألقى من فمه لؤلؤةً وجدوا فيها دودةً مكتوباً عليها: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» كما في السيرة الحلبية. ومنها: أنه وجد مكتوباً على بعض الحجارة القديمة: «محمد تقيّ مصلح وسيّد أمين». ومنها: أنهم وجدوا في الهند شجراً له ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض «لا إله إلا الله، محمد رسول الله». ومنها أنه رئي في جزيرةٍ شجرةُ لها ورق مكتوب عليها: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، إنَّ الدينَ عند الله الإسلام».

ومنها: أنه وُجد في جزيرة من جُزُر الهند وَرْد مكتوب عليه: «براءة من الرّحمن الرحيم إلى جنات النعيم لا إله إلا الله محمد رسول الله». ومنها: أنه وجد في الهند شجرة ثمرها كاللوز تخرج منها ورقة. مكتوب عليها: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». ومنها أنه وجد في سنة ٨٠٧ حبةِ عنب مكتوب عليها بخط بارعٍ بلون أسود: «محمد». ومنها أن بعضهم اصطاد سمكة مكتوباً على جنبها الأيمن: «لا إله إلا الله» وعلى الأيسر:

«محمد رسول الله» ومنها أن بعضهم صاد سمكة مكتوباً خلف أذنها اليُمنى: «لا إله إلا الله» وفي قفاها: «محمد» وخلف أُذُنها اليُسرى: «رسول الله»، ومنها أن بعضهم شاهد في بلاد خراسان مولوداً مكتوباً على أحد جنبيه: «لا إله إلا الله» وعلى الآخر: «محمد رسول الله». ومنها: أنه ولد سنة ٩٧٤ جَدْيٌ أسود غُرّته بيضاء على شكل الدائرة، مكتوب فيها: «محمد» بخط حسن. ومنها: أنه شوهد بالمغرب رجل مكتوب في بياض عينه اليمنى بعرق أحمر كتابة مليحة: «محمد رسول الله».

ومنها: ما ذكره الإمام الشعراني في «لواقح الأنوار» أنه رأى رأس خروف مكتوباً فيها(١) بخط آلهي على الجبين: «لا إله إلا الله محمد رسوله أرسله بالهدى ودين الحق، يهدي به من يشاء، من يشاء» بالتكرار. ومنها ما رأيته في «تحفة الرصّاع» أنه رأى عنزاً مكتوباً على أذنيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم. ومنها ما رأيته في كتاب: « فتح المتعال» للعلامة المقري، نقلاً عن الإمام محمد التوزري، أنه ولد بتوزر في المغرب ليلة غرة رجب سنة ٦٧٤ جدّي أسود بغرة بيضاء، وفيها مكتوب بالأسود: «محمد» بخط بيّن يقرؤه كل أحد، وأنه رآه وألّف فيه مؤلفاً. ومنها ما حكاه القاضي عياض في الشفاء، وابن مرزوق في شرح البردة، من كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم بقلم القدرة على الحجارة وغيرها في حكايات كثيرة. ومنها ما ذكره المقري في «فتح المتعال» من انه رأى في فاس سنة ١٠٢٦ حجراً أسود قدر الكفّ مكتوباً فيه بقلم القدرة: «لا إله إلا الله» في ناحية، و«محمد رسول الله» في الناحية الأخرى، ولون الكتابة أسودُ. قال: وقد ثقبت لاختباره حرفاً بآلة حديد حتى نفذت من الناحية الأخرى، فوجدته كذلك في داخل الحجر، وأنه لامرأة وجدتْه بساحل البحر المحيط، وأنه مشهور بفاس يأخذه النساء الحوامل لتسهيل الولادة.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب «فيه» لأن الرأس مذكر. وتأنيثه وهم قديم.

فصل

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ما وقع بعد وفاته من خوارقِ العادات الدالة على صحة نبوته وصدقِ رسالته وهي كثيرةٌ جداً. ومنها كراماتُ أولياء أمته المستمرة في كل زمان ومكان ولا يَجْحَدُها إلاّ من استولى على قلبه الشيطانُ فانها لا يخلو منها بلد من البلدان، ولا زمان من الأزمان، وقد جمع منها القليل فملأ كتباً كثيرة، ولو جمع ما يَقَعُ منها في كل يوم في سائر أقطار الارض لكان ذلك كتاباً كبيراً وهي كلها معجزات له صلى الله عليه وسلم، دالَّةٌ على صدقه وصحة دينه دينِ الاسلام، يُقرُّبها ذوو الأحلام، ولا يشك فيها إلا الطّغام. والعجبُ لمن أنكرها من جهّال الاسلام، وهي كلها من جملة معجزات نبيهم عليه الصلاة والسلام.

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم قضاءُ حاجات المستغيثين به وذلك شيٌء كثير لا يَدْخُلُ تحت الحصر وقد أُلِّفَتْ فيه كتب مخصوصة، منها. «مصباح الظلام» لأبي عبدالله بن النعمان، و«بغية الأحلام» لنور الدين الحلبي. وقد ذكرت جميع ما فيهما. مع زيادات، في كتابي «حجة الله على العالمين».

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم شريعتهُ الواسعةُ وعلماء أمته وأنوارُ دينه التي هيِ في كل عصر ومصر لا تزَالُ ظاهرةً ساطعةً. ومن دلائل

نبوته صلى الله عليه وسلم ما يَظْهَرُ من الآيات في أماكنَ مخصوصةٍ في مكة كـالكعبة، والملتَـزم، ومقام إبـراهيم، والبركـة الظاهـرة التي تحصل في المعيشة فيها وفي المدينة المنورة. ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ما رآه ويراه كثير من الصالحين، بل وغيرهم، من المنامات الدالة على حِّقية دين الإسلام وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام، وذلك شيء كثير لا يدخل تحت الحصر. وقد ذكرت في كتابي المذكور شيئـاً كثيراً من ذلـك ومن جميع ما تقدم من معجزاته ودلائل نبوته الواقعة قبل وجوده حياته وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

* * *

فصل

أنقل فيهِ كلام عدةٍ من الأئمة الاعلام من أهل المذاهب الأربعة، مذاهب الإسلام، في الاستدلال على صحة نبوته عليه الصلاة والسلام لينتفع به من قدَّر الله هدايته من ذوي الأحلام، أما من طبع الله على قلبه، وجعل على سمعه وبصره غشاوة فلا ينفع معه الكلام. قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الشافعي رحمه الله تعالى في «الإحياء»:

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم، وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه، وسياسته لأصناف الخلق، وهدايته إلى ضبطهم، وتألّفه أصنافَ الخلق وقَوْده إياهم إلى طاعته، مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن إشارته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يَعجزُ الفقهاءُ والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم، لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلةٍ تقوم بها القوة البشرية، بل لا يتصور ذلك إلا باستمداد من تأييد سماوي وقوة إلٰهية، وأنّ ذلك كله لا يتصور لكذّاب ولا مُلبِّس، بل كانت شمائله صلى الله عليه وسلم شواهدَ قاطعةَ بصدقه، حتى إن العربِّي القُحَّ كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذاب، فكان يشهد له بالصدق بمجّرد شمائله، فكيف من شاهد أخلاقه،

ومارس أحواله، صلى الله عليه وسلم، في جميع مصادره وموارده. وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتُعْرَفَ محاسنُ الأخلاق وليُتَنَبَّه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلّو منصبه ومكانته العظيمة عند الله، إذ آتاه الله جميع ذلك، وهو صلى الله عليه وسلم رجل أميٌّ لم يُمَارِس العلم ولم يطالع الكتبَ، ولم يسافر قطّ في طلب علم، ولم يزل بين أظهر الجُهّال من الأعراب يتيماً ضعيفاً مستضعفاً، فمن أين حصل له صلى الله عليه وسلم محاسن الأخلاق والآداب، ومعرفة مصالح الفقه مثلاً فقط، دون غيره من العلوم، فضلاً عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواصِّ النبوة، لولا صريح الوحي؟ ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك؟ فلو لم يكن له صلى الله عليه وسلم إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية، وقد ظهر من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ما لا يَسْتَرِيبُ فيه مُحَصلٌ».

ثم سَرَدَ الغزالي رضي الله عنه جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم، وقال في آخرها: فأعظِمْ بغباوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته، ثم في استمرار شرعه إلى الآن، ثم في انتشاره في أقطارِ العالَمِ، ثم في إذعان الملوك له في عصره وبعد عصره، مع ضعفه ويُتمه صلى الله عليه وسلم، ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه. وما أعظمَ توفيق مَن آمن به وصدّقه وتبعَه في كل ما ورد وصدَر، فنسأل الله تعالى أن يُوَفِّقَنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده» اهـ. كلام الغزالي.

* * *

فصل

وقال الإمام القاضي عياض المالكي رحمه الله تعالى في »الشفاء«:

«وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سِيَرِه، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجملة كماله وجميع خصاله، وشاهَد حاله وصوابَ مقاله، لم يَمْتَرِ[1] في صحة نبوته صلى الله عليه وسلم، وصدّقه في دعوته، وقد كفى هذا غيرَ واحد في إسلامه والإيمان به، صلى الله عليه وسلم:

فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبدالله بن سلام قال: قَدِمَ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لِأَنْظُرَ إليهِ، فلما آسْتَبَنْتُ وجهَهُ عرفت أن وجهه ليس بوجه كَذَّابٍ. وروى مسلم وغيره أن ضِماداً لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الحمد لله نحمد ونستعينهُ فمن يَهْدِه الله فلا مضلَّ له ومن يُضْلِلِ فلا هاديَ لهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله» قال له: أَعِدْ عليَّ كلماتِك هؤلاء فلقد بلغنَ قاموسَ البحر، هاتِ يدَكَ أُبايعكَ.

وقال جامع بن شداد: كان رجل منّا يقال له: طارق، فأخبر أنه رأى

(١) لم يشكّ.

النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فقال: هل معكم شيء تبيعونه؟ قلنا: هذا البعير، قال: بِكَمْ؟ قُلنا: بكذا وكذا وَسْقاً[1] من تمر. فأخذ بِخِطَامِه وسار إلى المدينة فقلنا: بعنا من رجلٍ لا ندري مَن هو؟ ومعنا ظعينة، فقالت: أنا ضامنة لثمن البعير، رأيت وجه رجل مثلَ القمر ليلة البدر لا يَخيس[2] بكم. فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إليكم، يأمُـركم أن تأكلوا من هـذا التمر، وتكتـالوا حتى تستوفوا. ففعلنا.

وفي خبر الجَلندَي مَلِكِ عُمَان: لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام، قال الجلندَي: والله لقد دلّني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أولَ آخذٍ به، ولا ينهى عن شرّ إلا كان أولَ تاركٍ له، وأنه يَغلِب فلا يَبطَر، ويُغلب فلا يضجَر، ويفى بالعهـد ويُنجِزُ الموعود، وأشهد أنه نبيٌّ. وقال نفطويه في قوله تعالى: «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيُء وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ»[3]. هذا مثَل ضربه الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام، يقول: يكاد منظرُه يدل على نبوته وإن لم يتل قرآناً، كما قال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

«لو لم تكن فيه آيـاتٌ مبينـة. لكـان مَنظـرُهُ ينبيـك بـالخبَر». ا هـ. كـلام عياض.

---

(١) الوسْق: مكيال مقداره ستّون صاعاً.

(٢) خاس بالعهد: غدر ونكث. ولا يخيس: لا يغدر.

(٣) سورة النور الآية ٣٥.

فصل

وقال الإمام كمال الدين بن الهمام الحنفي رحمه الله تعالى في كتابه: «المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة» مع شيء قليل من عبارة شرحها للإمام كمال الدين ابن أبي شريف الشافعي رحمه الله تعالى: «الأصل العاشر في إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: نشهد أن محمداً رسول الله، أرسله إلى الخلقِ أجمعين بالهدى ودينِ الحق، خاتماً للنبيين، وناسخاً لما قبله من الشرائع، لأنه صلى الله عليه وسلم ادَّعى النبوةَ وأظهر المعجزة تصديقاً لدعواه. أما دعواه النبوّةَ فقطعيٌّ لا يحتمل التشكيكَ، وإما إظهارُه للمعجزة فِلأنهُ أتى بأمور خارقة للعادة مقرونة بدعوى النبوة، بمعنى جعلها بياناً لصدقه فيما يدعيه عن الله تعالى. ولا نَعْنِي بالمعجزة إلا ذلك. ووجه دلالتها على الصدق أنها لما كانت مما يعجز عنه الخلق لم تكن إلا فعلاً لله سبحانه وتعالى فمهما جعلها بينةً على صدقه فيما ينقل عن الله، وهو معنى التَّحَدِّي، فأوجده الله تعالى موافقاً لقوله، كان ذلك الإيجادُ على وَفقِ ما قال تصديقاً له من الله تعالى، وذلك التصديق للرسول ـ بايجاد الخالق على وَفقِ دعوى النبوة ـ كتصديق القائم بين يَدَيِ المَلِك من ملوك الدنيا حالَ كون ذلك القائم مقبلاً على قوم بحضرة الملك يدّعي أنه رسولُ ذلك الملك إليهم، فان ذلك المدّعي الرسالة عن الملك إذا قال للملك المرسِل له إنْ كنتُ صادقاً فيما نقلتُ عنك من الرسالة إلى هؤلاء فقم على سريرِك على خلاف عادتِك، ففعل،

حصل للحاضرين علمٌ قطعيٌّ بأنه صدقه بمنزلة قوله، أي الملك، صدقتَ.

والذي أظهره الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم من المعجزات ثلاثة أمور، أعظمها القرآن، ثم حاله في نفسه التي استمر عليها صلى الله عليه وسلم من عظيم الأخلاق وشريف الأوصاف ومن الكمالات العلمية والعملية، مع ضميمةِ أنه لم يصحب معلِّماً أدّبه، ولا حكيماً هذّبه. ثم ما ظهر على يديه من الخوارق للعادات كانشقاق القمرِ له فِرقتين، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة وبعدها، وسعي الشجر إليه، وحنينِ الجذْعِ الذي كان يخطب عليه لما انتقل إلى المنبر عنه، ونبْعِ الماء من بين أصابعه بالمشاهَدة ممن حضره، وشُربِ القوم والإبل الكثيرِ عددُهم وعَددُها من الماء القليل الذي مجَّ فيه بعد ما نزَحت البئرُ(١) في الحديبية وكانوا ألفاً وأربعمائة، وأكْلِ الجمّ الغفير كما في حديث أبي طلحة، وكانوا ألفاً، من أقراصٍ يأكلها رجل واحد، وإخبارِ الشاة المشويّة بأنها مسمومة. وقد صحَّ في البخاري أنهم كانوا يسمعون تسبيحَ الطعام وهو يُؤكل وغيرِ ذلك مما أفرد بالتصنيف.

وقولُ السهيلي في بعض هذه: إنها علامة للنبوة لا معجزة، أي لا تسمي معجزة بذلك بناءً على عدم اقترانها بدعوى النبوة ليس بذاك، أي ليس بمقبول، فإنه صلى الله عليه وسلم لما ادّعى النبوة انسحب عليه ذلك فهو منسحب عليه دعوى النبوة من حين ابتدائها إلى أن توفاه الله تعالى كأنه في كل ساعة يستأنفها فكل ما وقع له من الخوارق كان معجزة، لاقترانه بدعوى النبوة حكماً، وكأنه يقول في كل ساعة: إني رسول الله إلى الخلق، وكأنه يقول في كل وقت وقع فيه خارق للعادة: هذا دليل صدقي.

وأما القرآن فهو المعجزة العقلية الباقية على طول الزمان الذي أعيا

---

(١) مجّ: تفل. ونزحت البئر جفّت وغار ماؤها.

كل بليغ بجزالته وغرابة أسلوبه وبلاغته. وأما حاله صلى الله عليه وسلم فما استمر عليه من الآداب الكريمة والأخلاق الشريفة التي لو أُفني العمرُ في تهذيب النفس لم تحصل كذلك كما حصلت له صلى الله عليه وسلم: كالحلم وتمامِ التواضع منه صلى الله عليه وسلم للضعفاء، بعد تمام رفعته وانقيادِ الخلق له، والصبرِ، والعفوِ مع الاقتدار عن المسيء إليه، ومقابلةِ السيئة بالحسنة، والجودِ، وتمامِ الزهد في الدنيا، وشدةِ الخوف من الله تعالى، حتى إنه ليظهر عليه ذلك الخوفُ الشديد إذا عصفت الريح وفي نحوه من الأوقات التي تعرض فيها عوارضُ سماوية من الكسوف وغيره، ونحوِ ما ذُكر من الأخلاق الكريمة الشريفة: كالوفاء بالوعد، وأداءِ الأمانة، وصلةِ الرحم، والحياءِ، وما يَنْتَظِمُ في هذا السلك، فقد كان صلى الله عليه وسلم أعلى الخلقِ مقاماً في كلٍ منها ودوامِ فكره وتجديدِ التوبة والإنابةِ في اليوم سبعين مرة، كلما بدا له من جلال الله وكبريائه قدرٌ فيستصغر بنظره إليه ما هو فيه من القيام بشكره تعالى على تلك الإنعامات العظيمة، وطاعتُه والفراغُ عن هوى النفس وحظوظها مما لا يقع إلا لمن استولت عليه معرفة الله تعالى حتى زهد في نفسه، حتى إنه صلى الله عليه وسلم ما انتصر لنفسه قطُّ إلا أن تُنْتَهَكَ حُرَمُ الله تعالى، وما خُيِّرَ بين أمرين إلا اختار أَيْسَرَهما، ولَعَمري إن من رآه طالباً للحق لم يَحْتَجَّ عند مشاهدة وجهه الكريم إلى غيره لظهور شهادة طلعته المباركة بصدق لهجته وصفاء سريرته، كما قال المرتاد للحق عبد الله ابن سلام، فما هو إلا إن رأيتُ وجهه علمت أنه ليس بوجه كذاب».

قال ابن الهمام: «وقلت في قصيدة أمتدحه بها:

إذا لحظتْ لِحاظُك منه وجهاً ونازلتَ الهوى بعضَ النِّزالِ
شهدتَ الصدقَ والإخلاصَ طُرّاً ومجموعَ الفضائلِ في مِثالِ

وفي أخرى قلت أيضاً:

إذا لحظتْ لِحاظُك منه وجهاً — شَهِدْتَ الحقَّ يَسْطَعُ منه فجرا
خَلِيًّا عن حظوظ النفس ما إنْ — أرَقَّتْ منه يوماً قطُّ ظُفْرا

ومعنى ما أرّقت: أي ما جعلته رقيقاً عبداً لها. وتفاصيل شيمه الكريمة صلى الله عليه وسلم تستدعي مجلّدات تُؤلَّف فيها ولا تستوفيها. هذا كله مع العلم بأنه صلى الله عليه وسلم نشأ بين قوم لا يعلمون علماً ولا أدَبًا، يرون الفخرَ ويتهالكون عليه، والإعجابَ ويتغالَوْن فيه، معبوداتُهم حظوظُ النفس، لم يُؤثَر عنه أنه خرج عنهم إلى حَبْر[1] من أهل الكتاب تردَّد إليه ليتعلمَ منه، ولا إلى حكيم عَوَّل عليه ليتهذب به، بل استمر بين أظهُرهم إلى أن ظهر بمظهر علم واسع وحكمة بالغة، مع بقائه صلى الله عليه وسلم على أمّيته لا يقرأ ولا يكتب، وذلك أبهرُ لشأنه وأظهرُ لبرهانه.

وأخبر صلى الله عليه وسلم عن مغيبات ماضية من أخبار قرون سالفة وأحوالٍ وأمم خالية لا يطّلع عليها إلاّ من مارس الكتب، واختلف إلى أفراد يشار إليهم في ذلك الزمان بالعلم لندرة سعة المعرفة في أولئك الكائنين من أهل الكتاب، مع ضِنَّة أحدهم - أي بُخله - باليسير الكائن عنده من ذلك، فلا يَسْمَحُ بتعليم شيء منه لأحد، بل قد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسأله الواحدُ أو العددُ منهم عن شيء فينزل عليه من القرآن ما يبيّن ذلك، كقصة موسى والخَضِر، ويوسف وإخواته، وأصحاب الكهف، ولقمان وابنه وأشباه ذلك وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه

---

(١) الحبر، بفتحح الحاء: العالِم.

فيه العلماء بها، ولم يقدروا على تكذيبه.

وأخبر صلى الله عليه وسلم عن أمورٍ مستقبَلة فوقعت كما أخبر، مثل قوله تعالى في الروم لما غلبتْهم فارس ﴿آلم غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِي أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُمْ منْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ في بِضْعِ سِنِينَ﴾. وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ آمِنِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾[2]. فكان جميع هذا كما قال. واذا ثبتت نبوته صلى الله عليه وسلم ثبتت نبوة سائر الأنبياء لثبوت كل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، ومن جملة ذلك نبوة سائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام». اهـ كلام الكمال.

* * *

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٧.

(٢) سورة النور الآية ٥٥.

فصل

وقال الإمام أبو العباس أحمد بن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه «الجواب الصحيح في الرد على من بدّل دين المسيح». وهو أربعة مجلدات، ومنه نقلت: «وسيرةُ الرسول صلى الله عليه وسلم من آياتـه، وأخلاقهُ وأقواله وأفعالهُ وشريعتهُ من آيـاته، وأمتُـه من آياتـه، وعلمُ أمته ودينُهم من آياته، وكرامةُ صالحي أمته من آياته، وذلك ـ أي صدقه بدعوى النبوة ـ يظهر بتدبر سيرته من حين وُلد إلى أن بُعث، ومن حين بعث إلى أن مات، وتَدَبُّرِ نسبه وبلده وأصله وفضله، فانه كان من أشرف أهل الأرض نسباً، من سلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوةَ والكتابَ فلم يَأتِ نبي من بعد إبراهيم إلا من ذريته، وجعل له ابنين اسماعيل وإسحاق، وذكر في التوراة هذا وهذا، وبشّر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل، ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات غيره صلى الله عليه وسلم، ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يَبْعَثْ فيهم رسولاً منهم ثم من قريش صفوة بني إبراهيم، ثم من بني هاشم صفوة قريش ومن مكـةَ أمّ القرى وبلدِ البيتِ الذي بنـاه إبراهيم ودعـا الناس إلى حَجِّـه، ولم يزل محجوجاً من عهدِ إبراهيم، مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف.

وكان صلى الله عليه وسلم من أكمل الناس تربيةً ونشـأةً، لم يزل معروفاً: بالصدق والبِر والعدل ومكارم الأخلاق وترك الفواحشِ والـظلمِ

وكلِّ وصف مذموم، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة وبعدها، لا يُعْرَفُ له شيء يُعَابُ به لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه، ولا جُرِّب عليه كذبةٌ قطُّ ولا ظلمٌ ولا فاحشة. وكان خَلْقُهُ وصورتُه من أكمل الصُّوَرِ وأتمِّها وأجمعها للمحاسن الدالَّة على كماله. وكان أُمِّيّاً من قومٍ أُمِّيين لا يَعرف لا هو ولا هم ما يَعرفه أهلُ الكتاب التوراة والانجيل، ولم يقرأ شيئاً من علوم الناس ولا جالس أهلَها، ولم يدَّعِ نبوةً إلى أن كمَّل الله له أربعين سنة، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمُها، وبكلام لِم يَسمع الأولون والآخرون بنظيره، وأخبر بأمر لم يكن في بلده وقومه من يَعْرِفُ مثلَه، ولم يُعرف قبله ولا بعده لا في مصر من الأمصار ولا في عصر من الأعصار من أتى بمثل ما أتى به، ولا من ظهر كظهوره، ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به، ولا من دعا إلى شريعةٍ أكملَ من شريعته، ولا مَن ظهر دينهُ على الأديان كلها بالعلم والحجة واليد والقُوَّةِ كظهوره.

ثم إنه اتّبعه أتباع الأنبياء، وهم ضعفاء الناس، وكَذّبه أهلُ الرياسة وعادَوْه، وسَعَوْا في هلاكه وهلاك من اتَّبعه بكل طريق، كما كان الكفَّار يفعلون بالأنبياء وأتباعِهم. والذين اتَّبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة، فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جِهاتٌ يُوليهم إياها، ولا كان له سيف، بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه، وقد آذَوْا أتباعَه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة، وكانت مكة يحجُّها العرب من عهد إبراهيم فتجتمع في الموسم قبائلُ العرب، فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذِّب، وجفاء الجافي، وإعراض المعرِض، إلى أن اجتمع بأهل يثرِبَ، وكانوا جيران اليهود، قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه، فلما دعاهم علموا أنه النبيُّ المُنْتَظَر الذي تُخبرهم به اليهودُ، وكانوا قد

سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته، فَإِنَّ أمرَه كان قد انتشر وظهرَ في بضعَ عشْرةَ سنة، فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم وعلى الجهاد معه، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة وأصحابه المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حَسُنَ إسلام بعضهم.

ثم أُذن له في الجهاد ثم أُمر به ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمّها من الصدق والعدل والوفاء، لا يُحفظ له كَذِبة واحدةٌ ولا ظلمٌ لأحد ولا غدْر بأحد، بل كان أصدقَ الناس وأعدَلهم وأوفاهم بالعهد، مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وَسلم، وأمْن وخوف، وغنى وفقْر، وقلة وكثرة، وظهوره على العدوّ تارةً، وظهور العدو عليه تارة، وهو على ذلك كله لازمٌ لأكملِ الطرق وأتمها، حتى ظهرت الدعوةُ في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان، ومن أخبار الكهان وطاعة المخلوق، والكفر بالخالق، وسفك الدماء المحرَّمة وقطيعة الأرحام، لا يعرفون آخرة ولا معاداً، فصاروا أعلمَ أهل الأرض وأدْيَنَهم وأعدلَهم وأفضلَهم، حتى إنَّ النصارى لما رأوهم قَدِمُوا الشامَ قالوا: ما كان الذين صحبوا المسيحَ بأفضلَ من هؤلاء، وهذه آثارُ علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم، يَعرف العقلاءُ فرقَ ما بين الأمرين.

وهو صلى الله عليه وسلم مع ظهور أمره وطاعةِ الخلق له وتقدِيمهم له على الأنفس والأموال مات ولم يخلف درهماً ولا ديناراً ولا شاة ولا بعيراً، إلا بغلته وسلاحه ودِرْعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعيرٍ ابتاعها لأهله. وكان بيدهِ عَقار يُنفق منه على أهله والباقي يصرفه في مصالح المسلمين فحَكم بأنه لا يورث، ولا يَأخذ ورثَتُهُ شيئاً من ذلك، وهو في كل وقت يَظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول

وصفه، ويخبرهم بخبر ما كان وما يكون، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحِلُّ لهم الطيباتِ، ويُحَرِّم عليهم الخبائثَ، ويشرع الشريعة شيئاً بعد شيء، حتى أكمل الله دينه الذي بُعثَ به وجاءت شريعته أكملَ شريعة لم يبقَ معروف تَعرف العقولُ أنه معروف إلا أَمَرَ به، ولا منكرٌ تعرف العقول أنه منكر إلاّ نَهَى عنه، لم يأمر بشيء فقيل: ليته لم يأمر به، ولا نهى عن شيء فقيل: ليته لم ينهَ عنه، وأحلَّ الطيباتِ لم يُحَرِّمْ شيئاً منها كما حُرِّم في شرع غيره، وحرَّم الخبائثَ لم يُحِلَّ منها شيئاً كما استحلَّه غيره، وجمَع محاسن ما عليه الأممُ فلا يذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخير عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخِر إلا وقد جاء به على أكمل وجه وأخبر بأشياء ليست في هذه الكتب فليس في تلك الكتب إيجابٌ لعدلٍ، وقضاءٌ بفصلٍ، وندبٌ إلى الفضائلِ، وترغيبٌ في الحسناتِ، إلا وقد جاء به وبما هو أحسنُ منه.

وإذا نظر اللبيبُ في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر فضلها ورجحانها، وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع، وأمّته أكمل الأمم في كل فضيلة، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضلُ علمهم، وإن قيس دينهم وعباداتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدْينُ من غيرهم، وإذا قيس شجاعتهم وجهادُهم في سبيل الله، وصبرهم على المكاره في ذاتِ الله ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلوباً، وإذا قيس سخاءُهم وبذلُهم وسماحة أنفسهم بغيرهم تبيّن أنهم أسخى وأكرم من غيرهم. وهذه الفضائل به نالوها، ومنه تعلموها، وهو الذي أمرهم بها، لم يكونوا قبله متّبعين لكتابٍ جاء هو بتكميله، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة، فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضُها من التوراة وبعضها من الزبور وبعضها من النُّبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده كالحواريين ومَن بعد الحواريين، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى

أدخلوا في دين المسيح أموراً ليست منه. وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكونوا قبله يقرؤون كتاباً، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والإنجيل والزبور إلا من جهته، فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء، ويُقرّوا بجميع الكتب المنزلة من عند الله، ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من الرسل، وأمّتُه لا يستحلّون أن يأخذوا شيئاً من الدين من غير ما جاء به، ولا يبتدعوا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، لكن ما قصَّه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم اعتبروا به، وما حدّثهم به أهله موافقاً لما عندهم صدّقوه، وما لم يعلموا صدقَه ولا كَذِبه أمسكوا عنه، وما عرفوا أنه باطل كذّبوه، ومن أدخل في الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس أو اليونان أو غيرهم كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع، وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون، وهو الذي عليه أئمةُ الدّين الذين لهم في الأمة لسانُ صدقٍ، وعليه جماعة المسلمين وعامّتهم، ومن خرج عن ذلك كان مذموماً مدحوراً عند الجماعة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وهم الظاهرون إلى قيام الساعة، الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقومَ الساعة».

وقد تنازع بعضُ المسلمين، مع اتفاقهم على هذا الاصل الذي هو دين الرسل عموماً، ودين محمد خصوصاً، ومن خالف هذا الاصلَ كان عندهم مُلحداً مذموماً، والله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح، فمن اتّبع الرسل حصل له سعادة الدنيا والآخرة، وإنما دخل في البدع مَن قصّر في اتّباع الحق والأنبياء علماً وعملاً. ولَمّا بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق تَلقّى ذلك عنه المسلمون أمته، فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم

أخذوه عن نبيهم، مع ما يظهر لكل عاقل أن أمتـه صلى الله عليه وسلم أكملُ الامم في جميع الفضائل العلمية والعملية، ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلِّم فهو من الأصل المعلِّم، وهذا يقتضي أنـه صلى الله عليه وسلم كان أكملَ الناسِ علماً وديناً. وهذه الأمور تُوجبُ العلم الضروري بأنه كان صادقاً في قوله: ﴿إني رسولُ الله إليكم جميعاً﴾[1]. انتهى كلام ابن تيمية.

* * *

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٨.

فصل

وقال الإمام القسطلاني في «المواهب اللدنية»: «اعلم أنه لا سبيلَ لأحد إلى الإحاطة بنقطة من بحارِ معارفه، أو قطرة مما أفاضه الله تعالى عليه من سحائب عَوَارِفهِ صلى الله عليه وسلم. وأنت إذا تأملتَ ما منحه الله تعالى به من جوامع الكَلِم، وخصّه به من بدائعِ الحِكمِ، وحُسنِ سيرته، ومن حديثه وإنبائه بأنباء القرون السالفة، والأمم البائدةِ، والشرائعِ الدَّاثرة، كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى مع الخَضِر، ويوسف مع إخواته وأصحابِ الكهف وذي القرنين، وأشباهِ ذلك، وبدءِ الخلق وأخبارِ الدار الآخرة، وما في التوراة والانجيل والزبور وصحفِ إبراهيمَ وموسى، وإظهارِ أحوال الأنبياء وأممهم وأسرار علومهم ومُستودَعاتِ سِيرِهم، وإعلامه بمكتوم شرائعهم ومُضَمَّنات كتبهم، وغيرِ ذلك مما صدّقه فيه العلماء بها، ولم يقدروا على تكذيب ما ذكَر منها، بل أَذْعنوا لذلك، فضلاً عما أفاضه من العلم ومحاسن الأدب والشِّيَمِ والمواعظ والحِكم والتنبيه على طرق الحجج العقليات، والرد على فرق الأمم ببراهين الأدلة الواضحات، والإشارة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامَه فيها قُدوة، وإشارتَه فيها حجةً، كاللغة والمعاني والبيان والعربية وقوانين الأحكام الشرعية والسياسيات العقلية ومعارفِ عوارفِ الحقائقِ القلبيةِ، الى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون

المعارف الشاملةِ لمصالح أمته، كالطبِّ وعَبْرِ الرؤْيا[1] والحساب، وغير ذلك مما لا يُعَدُّ ولا يُحَدُّ، قضيتَ بأن مَجال هذا البابِ في حقه عليه الصلاة والسلام مُمتدّ، تنقطع دون نَفَادِه الأدِلَّاء، وأن بحر علمه ومعارفه زاخر لا تكدره الدِّلاء[2]، وأن ذلك يستحيل أن يكون من بشر دون أن يكون امتدادهُ من بحار القدرة الآلهية ومواهبها اللدنية» اهـ كلام القسطلاني.

* * *

(١) أي: تفسير الأحلام.

(٢) الأدلّاء: مفردها دليل. والدِّلاء: مفردها دلو.

فصل

في مناظرة ابن القيّم مع أحد علماء أهل الكتاب

قال الإمام شمس الدين ابن القيم الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه «زاد المعاد في هدى خير العباد»، «دار بيني وبين بعض علماء أهل الكتاب مناظرة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت له في أثناء الكلام: لا يتم لكم القَدْحُ في نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم إلا بالطعن في الربّ تبارك وتعالى، والقدح فيه سبحانه ونسبتِه إلى أعظم الظلمِ والسَّفَه والفساد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فقال: كيف يلزمنا ذلك؟.

قلت: بل أبلغ من ذلك لا يتم لكم إلا بجحوده وإنكار وجوده تعالى، وبيانُ ذلك أنه إن كان محمد صلى الله عليه وسلم عندكم ليس بنبي صادق، وهو بزعمكم ملك ظالم، فقد تهيَّأ له أن يَفْتَرِي على الله، ويتقوَّل عليه ما لم يقله، ثم يُتممُ له ذلك ويستمرُّ حتى يُحرِّمَ ويُحلِّلَ، ويَفرِضَ الفرائَض، ويَشرعَ الشرائعَ، ويَنسخَ المِللَ، ويَضرِبَ الرِّقابَ، ويَقتلَ أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبيَ نساءَهم ويغنمَ أولادهم وذراريهَم، ويتم له ذلك حتى فتح الأرض، ونسب ذلك كله إلى الله وأنه تعالى أمره به، والربُّ تعالى يشاهده وما يَفعلُ بأهل الحق وأتباع الرسل، وهو مستمرٌّ في الافتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كلِّه يُؤيِّده وينصرُه ويُعلي أمره

ويُمكِّن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر. وأبلغُ من ذلك أنه يجيب دعواته ويُهلك أعداءَه من غير فعلٍ منه نفِسه، بل تارة بدعائه، وتارة يَسْتَأْصِلُهم سبحانه من غير دعاء منه صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك يَقضي له كلّ حاجة سأله إياها، ويَعِدُه كلَّ وعد جميل، ثم يُنجزُ له وعده على أتم الوجوه وأهنئها وأكملِها. هذا وهو عندكم في غاية الكذب والافتراء والظلم فانه لا أكذب ممن كذب على الله واستمر على ذلك، ولا أظلم ممن أبطل شرائع أنبيائه ورسله، وسعى في رفعها من الأرض وتبديلها بما يريد هو، وقَتل أولياءه وحزبَه وأتباعَ رسله، واستمرت نصرته عليهم دائماً، والله تعالى في ذلك كله يعزّه ولا يأخذُ منه باليمين ولا يقطع منه الوَتين. وهو يخبر عن ربهِ تعالى أنه أوحى إليه أنه لا أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أُوحِيَ اليَّ ولم يُوحَ إليه شيء، ومن قال: سأُنزلُ مثلَ ما أنزل الله، فيلزمكم معاشَر من كذَّبه أحدُ أمرين لا بدّ لكم منهما: إما أن تقولوا لا صانعَ للعالم ولا مدبّر، ولو كان للعالم صانع مدبّرٍ قدير حكيم لأخذ على يديه وقابله أعظمَ مقابلة، وجعله نكالاً للظالمين، إذ لا يليق بالملوك غيرُ هذا، فكيف بملك الأرض والسمواتِ وأحكمِ الحاكمين؟ الثاني: نسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به من الجور والسفه والظلم وإضلال الخلق دائماً أبدَ الآباد، ونصرة الكاذب والتمكين له في الارض، وإجابتهِ دعواتهِ، وقيام أمره من بعده، وإعلاء كلماته دائماً، وإظهار دعوته والشهادة له بالنبوة قرناً بعد قرن، على رؤُوس الأشهادِ في كل مجمع ونادٍ، فأين هذا من فعل أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين؟ فلقد قَدحْتُم في رب العالمين أعظم قَدْح، وطعنتم فيه أشدَّ طعن، وأنكرتموه بالكلية، ونحن لا ننكر أنَّ كثيراً من الكذابين قام في الوجود وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم له أمر ولم تطل مدته بل يسلط عليه رسله وأتباعه، فيمحقون أثره ويقطعون دابره ويستأصلون شافته، هذه سنةُ الله تعالى في عباده منذ قامتِ الدنيا وإلى أن يرثَ الله الأرضَ ومن عليها.

قال: فلما سمع مني هذا الكلام قالَ: معاذَ الله أن نقولَ إنَّه ظالم أو كاذبٌ، بل كلٌّ منصفٍ من أهل الكتاب يقرُّ بأنَّ من سلك طريقه واقتفى أثره، فهو من أهل النجاة والسعادة في الأخرى. قال: قلت له: فكيف يكون سالك طريق الكذاب بزعمكم. ومقتفي أثره من أهل النجاة والسعادة؟ فلم يجد بدّاً من الاعتراف برسالته ولكن لم يرسل إليه. قلتُ: فقد لزمك تصديقه ولا بدَّ، وهو قد تواتر عنه الأخبار بأنه رسولُ رب العالمين إلى الناس أجمعين، كتابيِّهم وأُميِّهم، ودعا أهل الكتاب إلى دينه، وقاتل من لم يدخل في دينه منهم، حتى أقرّ بالصغَّارِ والجِزية. قال فبُهتَ الكافرُ ونهض من فورهِ». انتهت مناظرة ابن القيم، فاعلم ذلك والله الهادي.

* * *

الخاتمة

في الإيمان به وطاعته وتعظيمه ومحبته والاستغاثة به وزيارته صلى الله عليه وسلم لخصت معظمها من «كتاب الشفاء» للقاضي عياض رحمه الله تعالى، وهي تشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول

في وجوب الإيمان به وطاعته صلى الله عليه وسلم

قد ثبت بمعجزاته ودلائل نبوته وآياته صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين، ورسول الله إلى الإنس والجن أجمعين، فيجب الإيمان به على كل فردٍ فردٍ من المرسَل إليهم، وهم جميع الإنس والجانّ، من زمنه صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾(١). يعني محمدا صلى الله عليه وسلم. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣). فالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعّين لا يتم الإيمان إلاّ به، ولا يصح الإسلام إلا معه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً﴾(٤).

---

(١) سورة التغابن الآية ٨.
(٢) سورة الفتح الآيتين ٨ و٩.
(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٨.
(٤) سورة الفتح الآية ١٣.

روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أمِرْتُ أن أُقَاتِلَ الناسَ حتى يَشْهَدُوا أَنْ لا إله إلا الله ويُؤمنوا بي وبما جئتُ به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم إلاّ بحقها، وحسابُهم على الله». وفي رواية البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله». إلى آخر الحديث السابق. والإيمانُ به صلى الله عليه وسلم هو التصديق بنبوته ورسالةِ الله تعالى له، وتصديقُه فيما جاء به وما قاله، ومطابقةُ تصديقِ القلبِ بذلك شهادةَ اللسان بأنه رسولُ الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطقُ بالشهادة بذلك باللسان، تمَّ الإيمان به والتصديقُ له صلى الله عليه وسلم.

وأما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ﴾(١). وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا ٱللهَ وَالرَّسُولَ(٢)﴾.وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾(٤). وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ﴾(٥). وقال تعالى: ﴿وَمَا آتاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنْتَهُوا﴾(٦). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ

---

(١) سورة الانفال الآية ٢٠.
(٢) سورة آل عمران الآية ٣٢.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٢.
(٤) سورة النور الآية ٥٤.
(٥) سورة النساء الآية ٨٠.
(٦) سورة الحشر الآية ٧.

رَفِيقاً، ذَٰلِكَ ٱلْفَضْـلُ مِنَ ٱللهِ وَكَفَىٰ بِٱللهِ عَلِيمـاً﴾[1]. وقال تعـالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللهِ﴾[2]. فجعل طاعة رسوله طاعته، وقرن طاعته بطاعته، ووعد على ذلك بجزيل الثواب. وأوعد على مخالفته بسوء العقاب. وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه. قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام سنته. والتسليم لما جاء به من شريعته. وقالوا: ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليهم. وروي البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أَطاعني فقد أطاعَ الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أَطاعني». وطاعة الرسول من طـاعة الله تعـالى إذ الله أمر بـطاعته، فطاعته صلى الله عليه وسلم امتثال لما أمر الله تعالى وطاعة له.

ومن طاعته صلى الله عليه وسلم اتباع سنته وامتثال أوامره والاقتداء بهديه، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ فَٱتَّبِعُـونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللهُ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[3]. ومحبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمرا ونهيا، ومحبة الله له عفوه عنه وإنعامه عليه، وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِـٱللهِ وَرَسُـولِـهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِيِّ ٱلَّـذِي يُؤْمِنُ بِـٱللهِ وَكَلِمَـاتِـهِ وَٱتَّبِعُـوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[5]. أي ينقادوا لحكمك. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

---

(١) سورة النساء الآيتين ٦٩ و ٧٠.
(٢) سورة النساء الآية ٦٤.
(٣) سورة آل عمران الآية ٣١.
(٤) سورة الأعراف الآية ١٥٨.
(٥) سورة النساء الآية ٦٥.

لِمَنْ كَانَ يَرْجُو آللهَ وَٱلْيَوْمَ الآخِرَ﴾[1]. قال الحكيم الترمذي: الأسوة في الرسول: الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل.

وروى الترمذي، وقال: حسن صحيح، عن العِرْباض بن سارية رضي الله عنه، في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين الْمَهديين، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإياكم ومُحْدَثَاتِ الأمورِ، فَإِن كلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعة ضلاَلة.

وروى مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما بعد فإن أَصدَقَ الحديث كتابُ الله تعالى، وإن أفضلَ الهدي هدْي محمد، وشرّ الأمور مُحْدَثاتها، وكل مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار». وقد ورد في الحديث: «من سنَّ سنة حسنة فله أجرُها وأجر من عِمَل بها» وذلك كما ورد عن عمر رضي الله تعالى عنه في التراويح: «نِعْمتِ البدعةُ هذه».

وقد ورد عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله عنهم، من اتّباعهم سنته صلى الله عليه وسلم واقتدائهم بهديه وسيرته وحثّهم على ذلك، شيء كثير. قال ابن عمر رضي الله عنهما، فيما رواه عنه الإمام مالك رحمه الله تعالى: إن الله بعث إلينا محمداً عليه الصلاة والسلام ولا نعلم شيئاً وإنما نفعل كما رأيناه يفعل. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاةُ الأمر، أي الخلفاء الراشدون، بعده سُنَناً، الأخذُ بها تصديقٌ لكتاب الله، واستعمالٌ لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من خالفها، من اقتدى بها مهتدٍ، ومن استنصر بها منصورٌ،

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١.

ومن خالفها واتّبع غير سبيل المؤمنين، ولاّه الله ما تَوَلَّى، وأصلاه جهنم وساءتْ مصيراً. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتّباعها. وحكي عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال: كنت يوماً مع جماعة تَجَرَّدوا ودخلوا الماء، فاستعملت الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَدخل الحمّامَ إلاّ بِمئزرٍ» ولم اتجرَّدْ، فرأيت تلك الليلة قائلاً يقول لي: يا أحمد، أبشِر، فإن الله قد غفر لك باستعمالِك السنة، وجعلك إماماً. قلت: من أنت؟ قال جبريل.

ومخالفة أمره وتبديل سنته صلى الله عليه وسلم ضلال وبدعة ومُتوَعَّدٌ من الله تعالى عليه بالخِذْلان والعذاب قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾(٢). روى أبو داود عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن النبي عليه الصلاة والسلام، قال: «لا أُلِفينَّ أحدَكم مُتَّكئاً على أريكته يأتيه الأمرُ من أمري مما أُمرت به، أو نهيت عنه، فيقولُ: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه» زاد في حديث المقدام: «ألَا وإنَّ ما حَرَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلُ ما حرم الله تعالى». أي فيجب اجتناب ما حرّمه صلى الله عليه وسلم لأنه ما يَنْطِقُ عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى، فالكتاب وحي جَلِيّ، والسنّة وحي خفيّ، وروى الدارمي وغيره عن يحيى بن جعدة رضي الله عنه أنهُ قال: جِيءَ بكتاب، أي بمكتوب، من التوراة في كتفٍ، أيْ من الشاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بقومٍ حُمقاً ـ أو قال ضلالاً ـ أن يرغبوا ـ أي يميلوا ـ عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير

(١) سورة النور الآية ٦٣.

(٢) سورة النساء الآية ١١٥.

كتابهم» فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾[1] وزاد في رواية: «ولو كان موسى حيّاً لما وَسِعَه إلا اتّباعي». وروى أبو داود وغيره عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال: لستُ تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْمَلُ به إلا عملت به، إني أخشى إن تركتُ شيئاً من أمره أن أزِيغَ.

* * *

(١) سورة العنكبوت الآية ٥١.

المطلب الثاني

في محبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم

وأما محبته عليه الصلاة والسلام فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُم وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ ٱللهُ بِأَمْرِهِ وَٱللهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ﴾[1]. قال في الشفاء: فكفى بهذا حضّاً وتنبيهاً ودلالةً وحجةً على إلزام محبته صلى الله عليه وسلم ووجوب فرضها وعِظم خَطَرها واستحقاقه لها عليه الصلاة والسلام، إذ قرَّع الله تعالى مَن كان ماله وأهله وولده أحبَّ إليهِ من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حتى يأْتِيَ آلله بأَمرِهِ﴾ ثم فسقّهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله تعالى.

وروى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أَحَبَّ إليه من ولده ووالدِه والناسِ أُجمعين». وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حلاوةَ الإيمان: أَن يكون الله تعالى ورسولُه أَحبَّ إليهِ مما سواهما، وأن يُحب

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٤.

المرءَ لا يُحِبُّه إلا لله تعالى، وأن يَكْرَهَ أن يَعُودَ في الكفر كما يكره أن يُقذَفَ في النار».

وروى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لأنتَ أحبُّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي التي بين جنبيَّ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لن يُؤمِنَ أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليهِ من نفسه». قال عمرُ: والذي أَنْزَلَ عليك الكتاب لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي التي بين جنبيَّ. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر». وروى البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: متى الساعةُ يا رسولَ الله؟ قال: ما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ لها من كثيرِ صلاةٍ ولا صوم، ولكني أُحبُّ الله ورسولَه. قال: «أنت مع من أَحْبَبْتَ». وروى الترمذي والنسائي عن صفوان بن قدامة رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله إني أُحِبُّك. فقال: «الْمَرْءُ مع من أحبَّ». وروى الترمذي عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيدِ حسنٍ وحسينٍ فقال: «من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معي في درجتي يوم القيامة».

وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: يا رسول الله، لأنتَ أحبُّ إليَّ من أهلي ومالي، وإني لأذكرك فما أصبرُ حتى أجيءَ فأنظرَ إليك، وإني ذكرتُ موتي وموتكَ فعرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنةَ رُفعتَ مع النبيين، وإن دخلتُها لا أراك فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ ٱللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾[1]

---

(١) سورة النساء الآية ٦٩.

فدعا به فقرأها عليه. وهذا الرجلُ هو ثَوْبان، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه. وفي حديث آخر: كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لا يُطرِقُ، فقال: ما بالُك؟ قال: بأبي أنتَ وأمي، أَتَمَتَّعُ من النظر إليك، فإذا كان يوم القيامة رفعك الله تعالى بتفضيله. فأنزل الله الآية أيْ السابقة. وروى الأصفهاني عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحبني كان معي في الجنة»، أي وإن تَفَاوتتِ الدرجةُ. وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مِن أشدِّ أمتي لي حبّاً ناسٌ يكونون بعدي يَوَدُّ أحدهم لو رآني بأهلِهِ وماله». وروى ابن عساكر عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنهُ قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «والذي بعثَك بالحقِّ لَإسلَامُ أبي طالب كان أقرَّ لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قُحافةَ، وذلك أنَّ إسلامَ أبي طالب كان أقرَّ لعينك».

وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب، قال للعباس رضي الله عنهما: والله لأنْ تُسْلِمَ أحبُّ إليّ من إسلام الخطّاب، لأن ذلك أحبُّ إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

- وروى ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قُتل أبوها وأخواها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيراً، هو بحمدِ الله كما تُحِبِّينَ قالت: أرِنِيهِ حتى أنْظُرَ إليهِ. فلما رأتْهُ قالت: كل مصيبة بعدك جَلَلٌ، أي هَيِّنة.

وسئل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتِنا ومن الماء البارِدِ على الظَّمَأ. وروى ابن السني في «عمل اليوم والليلة» أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما خَدِرَتْ رجلُه فقيل له:

اذْكُرْ أحبَّ الناس إليك يَزُلْ عنك. فصاح: يا محمَّداه. فانتشرتْ. ولما آحْتُضِر بلالٌ رضي الله تعالى عنه نادتِ امرأتهُ واحُزْنَاه، فقال: واطرَباه، غداً ألقى الأحبَّة. محمداً وحِزبَه.

ويروى أن امرأةً قالت لعائشة رضي الله تعالى عنها: اكشفي لي قبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكشفته لها فبكتْ حتى ماتتْ. وروى البيهقي أن أهل مكة، أي كفارهم، لما أخرجوا زَيدَ بن الدَّثِنَّةِ رضي الله عنه من الحرم ليقتلوه، قال له أبو سفيان بن حرب، وذلك قبلَ إسلامه أَنشُدُك الله تعالى يا زيدُ، أَتُحِبُّ أنّ محمداً الآن مكانك يُضرب عنقه وأنك في أهلِك؟ فقال زيدٌ: والله ما أحبُّ أن محمَّداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبهُ شوكَةٌ وإني جالس في أهلي: فقال أبو سفيان: ما رأيتُ من الناسِ أحداً يحبُّ أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً. ثم أسلم أبو سفيان رضي الله عنه فشاركهم في هذه المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنّه أصيب بعينه في إحدى الغزوات فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، وهي في يده، فخيَّرَه بين أن يعيدها إليه وبين عينٍ أحسنَ منها في الجنة، فاختار الجنة ورمى بها من يده. وهذا دليل على قوة إيمانه والاسلام يَجُبُّ ما قبله رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين.

قال في الشفاء: اعلم أنه من أحب شيئاً آثره وآثرَ موافقَته وإلاَّ لم يكن صادقاً في حبه وكان مُدَّعياً فالصادق في حبِّ النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه، أوَّلها: الاقتداء به واستعمالُ سنّته واتباعُ أقواله وأفعاله، وامتثالُ أوامره واجتنابُ نواهيه، والتأدب بآدابه في العسر واليسر والمَنْشَطِ والْمَكْرَةِ. وشاهدُ هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آللهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ آللهُ﴾(١) وإيثارُ ما شرعه صلى الله عليه وسلم

(١) سورة آل عمران الآية ٣١.

وحضّ عليه على هوى نفسه وموافقةِ شهوته وإسخاطُ العباد في رضا الله تعالى.

روى الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بُنَيَّ إن قدَرْتَ أن تُصْبِحَ وتُمْسِيَ ليس في قلبك غشٌ لأحد فافعل». ثم قال لي: «يا بُنَيَّ وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة». فمن اتَّصَفَ بهذه الصفة بتمامها فهو كامل المحبة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبةِ، ولا يخرج عن اسمها، ودليله قوله عليه الصلاة والسلام للذي حدَّه في الخمر فلعنه بعضُهم وقال: «ما أكثر ما يُؤتَى به؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تَلْعَنْهُ فإنه يحب الله ورسولَه».

ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرةُ ذكره له فمن أحبَّ شيئاً أكثرَ من ذكره. ومنها كثرة شوقِه إلى لقائِه، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه. وفي حديث الأشعريّين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون.

غداً نلقى الأحبَّهْ. محمداً وصحبَهْ.

ومن علاماتها مع كَثْرة ذكره صلى الله عليه وسلم تعظيمه وتوقيره عند ذكره وإظهار الخضوع عند سماع اسمه صلى الله عليه وسلم قال أبو إسحاق التُّجِيبي: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خَشَعُوا واقشعرَّتْ جلودهم وبكوا، وكذلك كثير من التابعين، منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقاً إليه صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يفعله تهيُّباً وتوقيراً. ومنها محبته لمن أحب النبي أو أحبه النبي صلى الله عليه وسلم، ومحبةُ من هو بنسبه من آل بيته وزوجاته محبةَ إجلال وتوقير، فمن أحب

شيئاً أحب من يحبه. قال الله تعالى في حقهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١). وقال تعالى: ﴿قُلْ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَى﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(٣). أي في وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن. وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُنْشُدُكم الله في أهل بيتي» ثلاثاً، أي أسألكم الله في حق أهل بيتي بالإحسان إليهم والشفقة عليهم. قال يزيد بن حبّان الراوي، عن زيد بن أرقم، قلنا لزيد: من أهلُ بيته؟ قال: آلُ عليّ، وآل جعفر، وآل عقيل وآل العباس.

وروى الترمذي عن زيد بن أرقم وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تَضِلُّوا، كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما» أي في حقهما. وقال عليه الصلاة والسلام كما رواه البخاري وغيره في الحسن والحسين رضي الله عنهما: «اللهم إني أحبهُّما فأَحِبَّهما». وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحبَّهما فقد أحبَّني، ومن أحبني فقد أحبَّ الله تعالى، ومن أبغضهما فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله تعالى».

وفي رواية في الحسن رضي الله عنه: «اللهمّ إني أحبُّه فأَحِبَّ من يحبه». وروى البخاري وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال في فاطمة رضي الله عنها: «إنَّها بَضْعَة مني، يُغْضِبُني ما أغضبها». وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في أسامة بن زيد: «أَحِبِّيه فإني أُحِبُّه».

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.
(٢) سورة الشورى الآية ٢٣.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٦.

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم توقير أصحابه المهاجرين والأنصار، ومعرفة حقهم والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهَلة الرواة. . والمبتدعين، القادحة في أحد منهم، وأن يلتمس لهم، فيما نُقل عنهم من مثل ذلك، فيما كان بينهم من الفِتَن، أحسنَ التأويلات ويُخرج لهم أصوبَ المخارج إذ هم أهل لذلك، ولا يذكر أحداً منهم بسوء، بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سِيَرهم ويسكت عما وراء ذلك، كما قال عليه الصلاة والسلام: «إذا ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا». وقال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(١) إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّابِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾(٣). وروى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقتدوا بالذين من بعدي، أبي بكر وعمر». وروى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم». وقال صلى الله عليه وسلم: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غَرَضاً ـ أي هَدَفاً للطعن ـ بعدي، فمن أحبَّهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يُوشِكُ أن يأْخُذَهُ». ذكره في الشفاء.

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٠.

(٣) سورة الفتح الآية ١٨.

وروى مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّهُ قال: «لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أَحَدَكُم مثلَ أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَهُ». وروى أبو نُعيم في الحلية عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سبَّ أصحابي فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يَقْبَلُ الله منه صَرْفاً ولا عَدْلاً». الصَّرْف: الفريضةُ، والعدل: النافلةُ. وروى الديلمي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالَمين، سوى النبيّين والمرسلين، واختار لي منهم أربعة، أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلَهم خيرَ أصحابي». وفي حديث آخر: «أصحابي كلهم خير». وقال في الشفاء: قال رجل للمعافَى بن عمران، وكان أحدَ الأئمةِ الأعلام: أين عُمرَ بن عبد العزيز من معاوية؟ فَغَضِبَ وقال: لا يُقَاسُ على أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ، معاوية صاحبه وصهرُه وكاتبه وأمينُهُ على وحي الله عزوجل. قال الملا على القاري في شرح الشفاء بعد ما ذكر: لا أحد من علماء هذه الأمة ومشايخِ هذه الملة يبلغ مرتبة الصحابة ومنقبة الخدمة، فان رؤيته عليه الصلاة والسلام كانت إكسيراً[1]، تُؤثِّر تأثيراً كثيراً لمن رآه صلى الله عليه وسلم وآمن به، صغيراً أو كبيراً ا هـ.

ومن علامات محبته تعظيم جميع ما ينسب إليه ويُعْرَف به صلى الله عليه وسلم، وإكرام مشاهده، وأمكنته من مكةَ والمدينة، ومعاهِده، وما لَمَسَه عليه الصلاة والسلام أو عُرِفَ به، وكان مالك لا يَرْكَبُ بالمدينة دابَّة ويقول: أستحيي من الله أن أطأ تُرْبَةً فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة، ومن علامات محبته كثرة الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه

---

(١) الإكسير، بكسر الهمزة: لفظ معّرب، وهو في أصل معناه شراب كان الأقدمون يزعمون أنه يطيل الحياة.

وسلم. قال الله تعالى: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً»(1). وورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «مَن صلى عليَّ واحدةً صلى الله عليه بها عشراً». وكفى بذلك فضلاً وأَعْظِمْ بهِ فخراً.

وقد ورد في فضل الصلاة والتسليم على هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أحاديث وآثار وأخبارٌ كثيرة استوفيتها مع ما يناسبها من فرائد الفوائد في كتبي، ولا سيما كتاب «سعاد الدارين في الصلاة على سيد الكونين» صلى الله عليه وسلم، الذي لم يُؤلَّفْ في هذا الشأن مثلهُ فيما أعلم أما صيغها الفاضلة المأثورة وغير المأثورة الواردة عن أئمة الدين من العلماء والأولياء فقد جمع منها كتابي «جامع الصلوات» ما لم يجتمع في كتاب قبله، فعليك به فانك لا تجد نظيره.

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة جنسهِ العربِ. ففي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أحبَّ العربَ فبحبي أُحبهُم، ومن أبغضَهم فببغضي أبغضهم». ورواه الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه، كما في الشفاء، قال الملّا علي القاري في شرحه: «وبالجملة فيجبُ على كل أحدٍ أن يحب أهل بيت النبوة وجميعَ الصحابة من العرب والعجم، لا سيما جنسه عليه الصلاة والسلام، وأن لا يكون من الخوارج في بغض أهل البيت فإنهُ لا ينفعه حينئذٍ حبُّ الصحابة، ولا من الروافضِ في بغض الصحابة فإنه لا ينفعه حينئذ حبُّ أهل البيت، ولا يكون من جملة الجهلاء العوام من الأعجام حيث يكرهونَ العربَ بالطبع المُلَام. ويذمُّونَهم على الاطلاق بسوءِ الكلام، فإنَّه يُخْشى عليهم من سوء الختام» اهـ.

---

(1) سورة الأحزاب الآية ٥٦.

قال في الشفاء فبالحقيقة من أحبَّ شيئاً أحبَّ كل شيء يحبُّه، وهذه سيرةُ السلفِ حتى في المباحات وشهواتِ النفس، فقد كان أنس رضي الله عنه يحب الدُّبَّاءَ أي القَرْع لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبُّه، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يَلْبَسُ بالنعـال السِّبْتِيَّة - أي التي لا شَعَرَ فيها - ويَصْبغُ بالصُّفرة - أي بالحنَّاءِ - إذ رأى النبـي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك. وورد من ذلك عن الصحابة والسلف الصالح شيء كثير، حتى إن الإمام أحمد لم يأكـل البطيخ لأنه لم يَثْبُتْ عنده كيفيةُ أكل النبي صلى الله عليه وسلم له.

ومن عـلامـات محبتـه صلى الله عليـه وسلم بغضُ من أبغض الله ورسوله، ومعاداةُ من عاداهما، ومجانبةُ من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتدع في دينه، واستثقاله كل أمر يُخَالِفُ شريعته صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُـونَ بِٱللهِ وَٱلْيَـوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أو إِخْوَانَهم أو عَشِيرَتَهُمْ﴾[1]. وهؤلاء أصحابه قد قتلوا أحباءهم، وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته، فقد قتل أبو عبيدة رضي الله عنه أباه يوم أُحُدٍ، ودعا أبو بكر رضي الله عنه ابنهُ للبِراز يوم بدر وقَتَلَ مُصْعَبُ بن عمير أخاه يوم أحد وقتل عمر خاله العاص ابن هشام يوم بدر، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عبدالله بن أُبيّ بن سَلول، وكان أبوه رأسَ المنافقين: لو شئتَ لأتيتك برأسهِ يعني أباه، ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم أن يُحبَّ القرآن الذي أتى به عليه الصلاة والسلام، وحبُّه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه، ويحبُّ سنتَه ويَقِفُ عند حدودها. قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يَسْأَل أحدٌ عن نفسه إلا القرآنَ، فان كان يحب القرآن فهو يحبُّ الله ورسوله، ومن علامات تمام

---

(١) سورة المجادلة الآية ٢٢.

محبته صلى الله عليه وسلم زهدُ مُدَّعيها في الدنيا، وإيثاره الفقر واتصافه بـه.

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته وسعيهُ في مصالحهم ورَفع المضار عنهم، ونصحه لهم ومناصحته. ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم نصح مُدَّعيها لله ولرسوله وأمته قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لله وَرَسُوله، مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ، وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١). قال أهل التفسير: إذا نصحوا لله ورسوله: إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية. وروى مسلم وغيره عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الدينَ النصيحةُ» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله وأئِمة المسلمين وعامَّتهم» قال في الشفاء: قال أئمتنا: النصيحة لله ولرسولِه وأئمة المسلمين وعامَّتهم واجبة. فالنصيحة لله تعالى: الاعتقاد له بالوحدانية، ووصفه بما هو أهله، وتنزيهه عما لا يجوز عليه، والرغبة في محابّه، والبعد من مساخطه، والإخلاص في عبادته. والنصيحة لكتابه: الإيمان به، والعمل لما فيه، وتحسين تلاوته، والتخشع عنده، والتعظيم له، والتفقه فيه، والذبّ عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين. والنصيحة لرسوله: التصديقُ بنبوته وبذل الطاعة لهُ فيما أمر به ونهى عنه قاله أبو سليمان الخطابي. وقال أبو بكر الخّفاف: مؤازرته ونصرته وحمايته حياً وميتاً واحياء سنته بالطلب، أي مع العمل بها والذبّ عنها ونشرها، والتخلّق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة. وقال أبو إبراهيم، إسحاق التُجيبيّ: نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به، والاعتصام بسنته ونشرها، والحض عليها، والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله، وإليها

(١) سورة التوبة الآية ٩١.

وإلى العمل بها. وقال أحمد بن محمد: من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أبو بكر الآجرّي وغيره: النصحُ له يقتضي نصحين: نصحاً في حياته ونصحاً بعد مماته، ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه، ومعاداة من عداه، والسمع والطاعة لهُ، وبذل النفوس والأموال دونه، كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾(1). وقال تعالى: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾(2) الآية.

وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته صلى الله عليه وسلم: فالتزام التوقير والإجلال، وشدة المحبة لهُ، والمثابرة على تعلم سنته، والتفقه في شريعته، ومحبة آل بيته وأصحابه، ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها، وبغضه والتحذير منه، والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه، والصبر على ذلك، فعلى ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم وعلامةً من علاماتها. وحكى الإمام أبو قاسم القُشيري أن عمر وبن الليث أحد ملوك خراسان رُئي في النوم، فقيل لهُ. ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقيل له: بماذا؟ فقال: صعدت ذروة الجبل يوماً فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم، فتمنَّيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته، فشكر الله لي ذلك وغفر لي.

وأما النصح لأئمة المسلمين: فطاعتهم في الحق، ومعونتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم إياه على أحسن وجه، وتنبيههم على ما غفلوا عنه،

---

(1) سورة الأحزاب الآية ٢٣.

(2) سورة الحشر الآية ٨.

وكُتِمَ عنهم من أمور المسلمين، وترك الخروج عليهم، وترك إغراء العامة وإفساد قلوبهم عليهم. والنصح لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم، ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل، وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم، ورفد محتاجهم وستر عوراتهم، ودفع المضارّ عنهم، وجلب المنافع إليهم، قال سفيان: المحبة اتّباع الرسول عليه الصلاة والسلام، كأنه التفتَ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1]. وقال بعضهم: محبةُ الرسول صلى الله عليه وسلم اعتقادُ نصرته، والذبُّ عن سنته، والانقيادُ لها، وهيبةُ مخالفته. قال في الشفاء: وحقيقة المحبة هو الميل إلى ما يوافق الإنسان، ويكون موافقته له إما لاستلذاذه لادراكه كحّب الصُّوَرالجميلة، أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسَّة عقله، وقلبه معانَي باطنه شريفة، كحبِّ الصالحين والعلماء وأهلِ المعروف، والمأثورِ عنهم السيرُ الجميلةُ والأفعالُ الحسنةُ، فان طبعَ اللإنسان مائلٌ إلى الشَّغف بأمثال هؤلاء، أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه إليه وإنعامه عليه فقد جبلتِ النفوسُ على حب من أحسن إليها. قال رحمه الله تعالى: فإذا تقرر لك هذا نظرتَ هذه الأسباب كلَّها موجودةً في حقه عليه الصلاة والسلام فعلمتَ أنه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة.

أما جمالُ الصورة والظاهرِ، وكمالُ الاخلاق والباطن، فقد قررنا منهما قبلُ ما لا يحتاج إلى زيادة. وأما إحسانهُ وإنعامه على أمته صلى الله عليه وسلم فكذلك قد مرَّ منه في أوصاف الله تعالى له، من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم، وشفقته عليهم، واستنقاذهم به من النار، وأنه

(١) سورة آل عمران الآية ٣١.

بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، ورحمةٌ للعالمين، ومُبَشِّراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنهِ، ويتلو عليهم آياته ويُزَكِّيهِم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم إلى صراطٍ مستقيمٍ، فأيُّ إحسانٍ أجلُّ قدراً وأعظمُ خطراً من إحسانه صلى الله عليه وسلم إلى جميع المؤْمنين، وأيُّ إفضال أعمُّ منفعةً وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين، إذ كان ذريعتَهم إلى الهداية، ومُنْقِذَهم من العماية وداعيَهم إلى الفلاح والكرامةِ، ووسيلتَهم إلى ربِّهم، وشفيعَهم المتكلم عنهم، والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمدَ، فقد استبان لك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوجبٌ للمحبة الحقيقية شرعاً بما قدمناه من صحيح الآثار، وعادة وجبلَّةً بما ذكرناه آنفاً لإفاضة الإحسانِ وتعميم الإجمال، فإذا كان الإنسان يُحبُّ من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفاً، أو استنقذه من هلكة أو مضرةٍ مدةً، التأذي بها قليلٌ منقطعٌ، فمن منحه ما لا يَبيد من النعيم، ووقاه من عذاب الجحيم، أولى بالحب. وإذا كان يُحَبُّ بالطبع ملِكٌ لحسن سيرته، أو حاكم لما يُؤثر عنه من قِوام طريقته، أو قاضٍ بعيد الدار لما يُشاد من علمه أو كرم شيمته، فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل. وقد قال عليٌّ رضي الله تعالى عنه في صفته عليه الصلاة والسلام: من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفةً أَحبَّه، يقول ناعتُه: لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم.

وأما تعظيمه صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾(١). ومعنى تعزّروه: تجُلّوه وتبالغوا في تعظيمه. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا

---

(١) سورة الفتحح الآية ٩.

تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَاتَّقُوا اللهَ، إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١). نهى الله تعالى عن التقدم بين يديه سبحانه، وبين يدي رسوله صلى الله عليه وسلم، بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام، أي لا تقولوا قبل أن يقول، وإذا قال فاستمعوا لهُ وأنصتوا. ونهُوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمرٍ قبل قضائه فيه، وأن يفتاتوا بشيء(٢) في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾(٣). أي مخافة حبوط أعمالكم وأنتم لا تدرون بذلك، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ أي يخفضونها ﴿عِندَ رَسولِ اللهِ﴾ مراعاةً للأدب والإجلال ﴿أولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقوى﴾ أي درَّبها على التقوى ومرّنها عليها ﴿لَهُمْ مَغْفِرَة وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾(٥) أي برفع الصوت فوق صوته أو بندائه بأسمائه صلى الله عليه وسلم، فلا تقولوا: يا محمدُ، يا أحمد، ولكن عظّموه ووقّروه ونادوه بأشرفِ ما يحب أن يُنادَى به، بأن تقولوا: يا رسول الله، يا نبيَّ الله، يا حبيب الله، يا خليل الله، ونحو ذلك. وهذا في حياته، وكذا بعد وفاته في جميع مخاطباته صلى الله عليه وسلم، كما خاطبه به الله تعالى، فأوجب الله تعزيرَه وتوقيره، وألزم إكرامَه وتعظيمَه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة الحجرات الآية ١.
(٢) افتأت برأيه وبأمره: استبّد به وانفرد. وتخفف الهمزة فيقال: افتات.
(٣) سورة الحجرات الآية ٢.
(٤) ما بين الأهلة هي الآية ٣ من سورة الححجرات.
(٥) سورة النور الآية ٦٣.

وكانت أصحابه رضي الله عنهم في غاية الأدب معه والتعظيم والتوقير له صلى الله عليه وسلم. روى مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: «ما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأً عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلتُ أن أصِفه ما أطَقْتُ، لأني لم أكن أملأُ عيني منه صلى الله عليه وسلم». وروى الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس، فيهم أبو بكر وعمر، فلا يَرْفَعُ أحدُ منهم إليهِ بَصَرَه، إلا أبا بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليهِ وينظر إليهما ويتبسَّمان إليهِ ويتبسَّم اليهما». وروى الترمذي، وصححه، عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير. وأخرج الترمذي في الشمائل عن هند بن أبي هالة، رضي الله تعالى عنه، في حديثِ صفتِه صلى الله عليه وسلم: إذا تكلم أطرقَ جلساؤُه كأنما على رؤوسهم الطير. وروى البخاري عن المِسْوَر بن مَخرمة رضي الله عنه أن عروة ابن مسعود رضي الله عنه حين وجّهتْه قريش عام القضيةِ، قضيةِ صلح الحديبية، إلى النبي صلى الله عليه وسلم في طلب الصُّلح، ورأى من تعظيم أصحابه له صلى الله عليه وسلم ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وَضوءه، أي بقية الماء الذي توضأ به، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يَبْصُقُ بُصاقاً ولا يتنّخم نُخَامةً إلا تَلَقَّوْهَا بِأكُفّهم فَدَلَكُوا بها وجوهَهم وأجسادَهم، ولا تَسْقُطُ منه شعرةٌ إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمرَه، وإذا تكلم خَفَضُوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون إليهِ نظراً، تعظيماً لهُ. فلما رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش، إني جئت كِسْرَى في مُلكه، وقيصرَ في ملكه، والنجاشيَّ في ملكه، وإني والله ما رأيتُ مَلِكاً في قومٍ قطُّ مثلَ محمد في أصحابه. وفي رواية: إنْ رأيتُ ـ أيْ ما رأيتُ ـ مَلِكاً قطٌّ تُعَظِّمه أصحابه ما يُعظِّم محمداً

أصحابُه، وقد رأيتُ قوماً لا يُسْلِمونه أبداً. وروى مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحَلَّاقُ يَحْلِقُه، وأطاف به أصحابهُ فما يريدون أن تَقَعَ شعرةٌ إلا في يد رجل.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في «الشفاء». واعلم أن حُرْمَةَ النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، وتوقيرَه وتعظيمه لازم كما كان حالَ حياته، وذلك عند ذكرِه عليه الصلاة والسلام، وذكرِ حديثِهِ وسنتِهِ، وسماعِ اسمه وسيرتِهِ، ومعامَلَةِ آله وعِتْرتــه، وتعظيم أهل بيته وصحابته رضي الله عنهم، فالواجب على كل مؤمن متى ذكرَه صلى الله عليه وسلم، أو ذُكِرَ عنده، أن يَخْضَعَ ويَخْشَعَ ويَتَوَقَّرَ ويُسَكِّنَ من حركتِهِ، ويأْخُـذَ في هَيْبَتِهِ وإجلالِهِ بما كان يأْخُذُ به نَفْسَه لو كان بين يديه، ويتأَدَّب بما أدبنا الله به، أي من وجوب تعظيمه وتكريمه، وخفض الصوتِ ونحوه، وهذه كانت سيرةَ سَلَفِنا الصالح وأئمتنا الماضين. وقد ناظر أبو جعفر المنصور الإمامَ مالكاً في مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا أميرَ المؤمنين لا تَرْفَعْ صوتَك في هذا المسجد، فان الله تعالى أَدَّبَ قـوماً فقـال: ﴿لا تَرْفَعُـوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[1] الآية، ومدح قوماً فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ﴾[2] الآية. وذم قوماً فقال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ﴾[3] الآية. وإن حرمتـه صلى الله عليه وسلم ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبو جعفر، أي خضع وخشع لمقالة مالك، رحمهما الله تعالى. وكان السلفُ الصالح من الصحابة فمَن بعدَهم

---

(١) سورة الحجرات الآية ٢.

(٢) سورة الحجرات الآية ٣.

(٣) سورة الحجرات الآية ٤. وتمام الآية: ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾.

على غاية ما يُرام من الأدب في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته فيتطهَّرون ويتطيَّبون ويتهيئون بأحسن هيئة، ويَجْلِسُون بالخشوعِ والوقار، ويُحَدِّثون وهم على أكملِ الحالات.

* * *

المطلب الثالث

في الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم

قال الإمام تقي الدين السبكي في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» عليه الصلاة والسلام: اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنُه من الأمور المعلومة لكل ذي دينٍ، المعروفةِ من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين. وقال الإمام ابن حجر الهيتمي في حاشية المناسك للإمام النووي: لا فرق بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع والتوجه به صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء وكذا الأولياء، لأنه ورد جواز التوسل بالأعمال مع كونها أعراضاً، فالذوات الفاضلة أولى، ولأن عمر توسل بالعباس رضي الله عنهما في الاستسقاء ولم يُنكَر عليه. وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه إذ هو حيٌّ يعلم سؤال من سأله، وقد صح في حديث طويل أن الناس أصابهم قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، استسقِ لأمتك. فأتاه في النوم وأخبره بأنهم يُسقَوْن، فكان كذلك. وقد صح عند الإمام مالك أن أبا جعفر المنصور قال له في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال ولِمَ

تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به يشفّعه الله. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا ٱللهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا ٱللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[1].

قال رحمه الله: ومما يدل لطلب التوسل به صلى الله عليه وسلم وأنّ ذلك هو سيرة السلف الصالح، الأنبياء والأولياء وغيرهم، ما أخرجه الحاكم وصححه: أنه صلى الله عليه وسلم قال لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم إلا ما غفرت لي. فقال: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب إنك لما خلقتني بيدك ونفختَ فيّ من روحك رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تُضف لاسمك إلا أحبَّ الخلق اليك. فقال له الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحبُّ الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد لما خلقتك. وأخرج النسائي والترمذي وصححه أن رجلاً ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادْعُ الله أن يعافيني. قال: إن شئتَ دعوتُ وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك، فقال: فادعُ. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبيِّ الرحمة، يا محمّد، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتُقضَى لي، اللهم شفعه فيّ. وصححه البيهقي وزاد: فقام وقد أبصر. قال: والأحسن أن نقول نحن إذا دعونا بهذا الدعاء: يا رسول الله، بدل يا محمد، لحرمة ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه. وما ذكر في هذا الحديث مستثنى لتصريحه صلى الله

---

(١) سورة النساء الآية ٦٤.

عليه وسلم بالإذن فيه لذلك الرجل اهـ. وخصص الشهاب الرملي في فتاويه تحريم ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه فيما إذا لم يقترن بما يدل على التعظيم كالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم.

واعلم أنه قد شاع وذاع، وثبت بالتواتر وملأ الأسماع، وتحقق في سائر الأعصار وجميع البقاع، أنه لا يستغيث به صلى الله عليه وسلم أحد، ويتشفع به إلى الله تعالى، إلا ويحصل له جليل الفوائد، ويزول عنه عظيم الشدائد، وهذا مما لا يحتاج إلى برهان، ولا يشك به أحد من أهل الايمان، وأخبار ذلك كثيرة جدّاً في حياته وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فما التجأ إليه محتاج إلا بلّغه الله حاجته، ولا استغاث به مكروب إلا فرّج الله كربته، وبسط الكلامَ على ذلك الإمامُ القسطلاني في «المواهب اللدنّية» وغيره من أئمة الدين، وهذه الكتب مشحونة بأخبار المستغيثين به صلى الله عليه وسلم وقضاء حاجاتهم، منها كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد ابن النعمان التِّلِمْساني، وكتاب بغية الأحلام بأخبار من فرّج كربه برؤيا المصطفى في المنام عليه الصلاة والسلام، لنور الدين علي الحلبي، وقد اختصرتهما بأخذ جميع ما فيهما من الفوائد والأخبار وجمعت إليها غيرها، وذكرتها في الباب الثاني من القسم الرابع من كتابي حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

ولقد اتفق أئمة العلماء العارفين الهادين المهديّين جيلاً بعد جيل، من عهده صلى الله عليه وسلم إلى الآن، على استحسان التوسل به عليه الصلاة والسلام إلى الله تعالى في قضاء الحاجات في الحياة وبعد الممات، وقد صار من المجربات أن من استغاث به صلى الله عليه وسلم باخلاص نيةٍ وصدق التجاءٍ تُقضى حاجته مهما كانت، ولو جُمع ما يقع من

ذلك في كل عصر ومصر لبلغ مجلدات كثيرة، ولا يخلو أحد من المسلمين عن معرفة شيء من ذلك، إما أن يكون وقع له بنفسه، أو وقع لأحد حدّثه به. وقد فاجأني منذ سنتين كرب عظيم وبلاء جسيم فاشتغلت بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والاستغاثة إلى الله تعالى به، ففرّجه الله عني بأسرع وقت بصفة عجيبة لم يسبق لها نظير، وتعجب الناس من ذلك، وحصل لي ولغيري من المسلمين اليقين الذي لا يشُوبه شك أن ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

* * *

المطلب الرابع

في زيارته صلى الله عليه وسلم

ألف العلماء في فضلها كتباً مستقلة منهم الإمامان السبكي وابن حجر. فمن الأحاديث التي نقلاها في ذلك، وبسط السبكي الكلام عليها، قوله صلى الله عليه وسلم: «من زار قبري وجبت له شفاعتي». رواه الدارقطني والبيهقي وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال السبكي: وهو حسن أو صحيح. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة». رواه الطبراني والدارقطني وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه ابن السكن. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي». رواه الدارقطني وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني» رواه ابن عدي في الكامل وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما، والدارقطني عن أنس رضي الله عنه. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً». رواه الدارقطني عن ابن عمر أيضاً رضي الله عنهما. وفي رواية: «بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً». وفي أخرى: «من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة». رواهما البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من زار قبري ـ أو من زارني ـ كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة». رواه أبو داود الطيالسي عن عمر رضي الله عنه. وفي رواية للحافظ العقيلي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «من زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً، أو قال: شفيعاً». ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة». رواه أبو جعفر العقيلي وغيره عن رجل من آل الخطاب. وفي رواية زيادة: «ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة». ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أمتي له سعةٌ ثم لم يزرني فليس له عذر». رواه ابن النجار في فضائل المدينة عن أنس رضي الله عنه.

قال ابن حجر في كتابه «الجوهر المنظم». وقد أجمعت الأمة، كما نقله غير واحد من الأئمة، على أن زيارته صلى الله عليه وسلم من أفضل القربات وأنجح المساعي، وكما أجمع العلماء على مشروعية الزيارة والسفر إليها، كذلك أجمع المسلمون من العلماء وغيرهم على فعل ذلك، فان الناس لم يزالوا من عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وإلى اليوم، يتوجهون من سائر الآفاق إلى زيارته صلى الله عليه وسلم قبل الحج وبعده، ويقطعون فيه، أي في السفر إلى زيارته صلى الله عليه وسلم، مسافات بعيدة شاقة، وينفقون فيه الأموال، ويبذلون المهج، معتقدين أن ذلك من أعظم القربات اهـ.

وقال القاضي عياض في الشفاء، وهو من أئمة المالكية: وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنّة من سنن المرسلين مجمع عليها، وفضيلة مرغَّب فيها. وقال شارحه الملاّ علي القاري: وممن ذكر الإجماعَ عليها الإمام النووي من أئمة الشافعية، والإمام ابن الهمام من أئمة الحنفية، قال

القاري: بل قيل: إنها واجبة ا هـ. ونقل الإمام السبكي في كتابه شفاء السقام عن علماء المذاهب الأربعة أن زيارته صلى الله عليه وسلم من أفضل الطاعات وأجلّ القربات التي أجمعت عليها الأمة المحمدية من السلف والخلف.

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: ولقد شاهدنا كثيرين تركوا الزيارة مع القدرة عليها فأورثهم الله عزّ وجل بذلك ظلمة محسوسة ظهرت على وجوههم، وفترةً عن الخيرات قطعتهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى، وشغلتهم بالدنيا إلى أن ماتوا على ذلك، وشاهدنا كثيرين غلبت عليهم مظالم الناس إلى أن مُنعوا من الزيارة قهراً. قال: ولقد أُخبرت عن بعضهم من أهل مكة المشرفة أنه كلما أراد أن يتجهز لها منعه عائق عنها فلا زال الناس يوبخونه بترك الزيارة إلى أن أخذ في أسبابها فجهّز حاله وأخذ جميع أهله وصرف عليهم مصروفاً كثيراً وقال لهم: أخرجوا قبلي وألحقكم قريباً، فلما جهّز مركوبه وأراد أن يركب عليه صب الدم بكثرةٍ فاحشةٍ، فتخلّف وذهب أهله للزيارة فباء بواسطة ظُلمه بأعظم الحرمان. قال: وقد وقع لغير واحد من الظَّلَمة أيضاً أنه أخذ في أسبابها وسافر لها إلى أن وصل إلى قريب من المدينة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ورأى آثارها فخرج بعض خَدَمَةِ الحجرة الشريفة النبوية إلى الركب يقول: أين فلان بن فلان؟ فدُل عليه، فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك: لا تدخل إليه. فجلس يبكي على نفسه إلى أن دخل الناس للزيارة وخرجوا إليه فرجع معهم خائباً وهو على غاية من الأسف والندم والعار والكآبة والظلم. قال: فحينئذٍ ينبغي لك قُبيل أخذك في أسباب الزيارة أن تقدّم بين يدي نجواك توبةً صحيحة مستوفية لشروطها، ماحيةً لذنوبك، ساترةً لعيوبك، مؤهلّة لك إلى المثول في حضرة سيد المرسلين ووسيلة النبيين. حقق الله ذلك لنا آمين آمين. والحمد لله رب العالمين.

ختْم الكتاب بهذا الدعاء المستجاب إن شاء الله تعالى

اللّهم إني أسألك وأتوسل إليك بإسمك الأعظم، وحبيبـك الأكرم صلى الله عليه وسلم، أن تؤيد أمته المحمدية في سائر الأقطار والأعصار، وتعزّ دينه المحمديّ ما تعـاقب الليل والنهـار، وأن تتفضل بـدوام النصر والتأييد على خليفتك في هذا العصر وخليفته، الممدودِ بمدَد رحمانيتك وروحانيته، عبدِك القائم بخدمة دينك وشريعته، نصره الله وحماه، وكفاه شر حساده وأعدائه، ووفّق لطاعته وحسن خِدمته جميعَ عمالـه ورعايـاه، وأسألك اللّهم وأتوسل إليك باسمك الأعظم، وحبيبك الأكرم، صلى الله عليـه وسلم، أن تغفر لي ولـوالديّ، وأولادي وذَوِيّ، ومن أحسن إليهم وإليّ، جميعَ الآثام، وتمنّ علينا بنعمة زيـارته والإقـامة في جـواره عليه الصلاة والسلام، إلى أن ترزقنا عنده ـ على أحسن الأحوال ـ حسنَ الختام.

فهرس «المحتوى»

فهرس الموضوعات الواردة في كتاب «الفضائل المحمدية»

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
المقدمة في تلخيص سيرته النبوية ﷺ	١١
الباب الأول: في أسمائه الشريفة ﷺ مرتبة على الحروف وهي نحو الثمانمائة	٢٥
تنبيهات	٣٦
الباب الثاني: في الآيات القرآنية الواردة في فضائله ﷺ وتفسيرها من البيضاوي باختصار	٤٥
الباب الثالث: فيما ورد في الكتب السماوية المتقدمة وما أوحاه الله تعالى الى النبيين من فضائله ﷺ من رواية الائمة المحدثين	٧٣
الباب الرابع: فيما ورد في فضائله عنه ﷺ من الأحاديث مرتبة على حروف المعجم	٨٧
الباب الخامس: في شمائله الشريفة (وهو فصلان)	١١٣
الفصل الأول: في وصف صورته الشريفة ﷺ	١١٣
الفصل الثاني: في وصف اخلاقه الكريمة	١٢٩
الباب السادس: في ذكر شيء من دلائل نبوته ومعجزاته ﷺ	١٥٥
فصل	١٥٩
فصل	١٦١

الموضوع	الصفحة
فصل	١٦٣
فصل	١٦٥
فصل	١٦٩
فصل	١٧٣
فصل	١٧٧
فصل	١٧٩
فصل	١٨١
فصل	١٨٣
فصل	١٨٥
فصل	١٩١
فصل	١٩٧
فصل في مناظرة ابن القيم مع احد علماء اهل الكتاب	١٩٩
الخاتمة	٢٠٣
المطلب الأول: في وجوب الايمان به وطاعته ﷺ	٢٠٥
المطلب الثاني: في محبته وتعظيمه ﷺ	٢١١
المطلب الثالث: في الاستغاثة به ﷺ	٢٢٩
المطلب الرابع: في زيارته ﷺ	٢٣٣